معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

الجزء الثالث

حققه

الدكتور محمد حجي و الدكتور محمد الأخضر

الشركة الجديدة
دار الثقافة
34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26·23·75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981

شكـر واعتـذار

يشكر المحققان الأخ الكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال الذي تفضل بقراءة الأجزاء الثلاثة من **زهر الأكم** قراءة فاحصة بعد تمام تصفيفها وتصحيحها وقبيل سحبها على (الأوفسيط) فأمكن بذلك تدارك عدد من الأخطاء المطبعية وغيرها ؛ ويشكران كذلك الأستاذ الكريم الدكتور أمجد الطرابلسي الذي تكرم بقراءة الجزء الأول بعد طبعه والتنبيه على أخطاء أخرى أدمجناها في الاستدراكات؛ ويعتذران للقراء الكرام مع ذلك عمّا قد يكون بقي في الكتاب من أخطاء ندّت عن الذهن أو زاغ عنها البصر.

بـاب الذال المعجمـة

الذِّئْبُ يُغْبَطُ بِذِي بَطْنِهِ.

الذِّئْبُ معروف، مهموز، ويُترك همزه تخفيفًا ؛ والأنثى ذِيبَةٌ . والغِبْطَةُ : المَسَرَّةُ، وتكون للحسد تارة، وهو أن يتمنَّى أن يعطى ما للغير من النِّعمة مع زوالها عن الغير وهو مذموم، وتارة لا مع محبَّة زوالها عن الغير وهو المحمود . والغبطة بهذا المعنى خلاف الحسد . يُقال : غَبَطَهُ يَغْبِطُهُ ـ كضَرَبَهُ يَضْرِبُهُ ـ، وغَبِطَهُ يَغْبَطُهُ ـ كسَمِعَهُ يَسْمَعُهُ ـ، غِبْطَةً . والبَطْنُ معروف، وذُو البَطْنِ : صاحب البطن، وهو ما فيه .

ومعنى المثل أنَّ الذئب يُظَنّ به أبدًا الشبع والبطنة لِمَا يروى[1] من عدوه على النَّاس والمواشي، ولا يظنّ به الجوع، وإن كان مجهودًا من الجوع . فيُضرب للرجل يتَّهم بالمال ولا مال له .

ومثل هذا قول الشاعر :

ومَنْ يسكُنِ البحْريْن يعظُمْ طحالُه ويُغْبَطْ بما في بطنِهِ وهْو جائعُ

ونحو هذا في أمثال العامَّة قولهم :

مَن رأى الجَمَلَ الأبْيَضَ ظَنَّهُ كُلَّهُ شَحْمًا .

ذِيَابٌ فِي ثِيَابٍ .

الثِّيابُ جمع ثَوْبٍ . وهذا المثل مشهور في ذمّ النَّاس وأنَّهم كالذياب مكرًا وخداعًا وإن كانوا في الصورة خلافها .

ورُوي أنَّه لمَّا وُلد عبد اللَّه بن الزبير، رضي اللَّه عنه، نظر إليه النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فقال : هُوَ هُوَ ! فلمَّا سمعت بذلك أمّه أسماء، رضي اللَّه عنها، أمسكت عن

1) كذا في د. وفي ب : «يرى».

إرضاعه . فقال لها النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم : **أرْضِعِيه ولَوْ بِمَاءِ عَيْنَيْكِ، كَبْشٌ بين ذياب، وذِيابٌ عليها ثِياب، لَيَمْنَعَنَّ البيتَ أو لَيُقْتَلَنَّ دُونَه !**
انتهى . وفي حديث آخر عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في ذمّ علماء السوء أنّه أوْحَى اللّهُ تَعالَى إلى بَعْضِ الأنْبِيَاءِ : قُلْ: لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ العَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ يَلْبَسُونَ مُسُوكَ الكِبَاشِ وقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّيَابِ، ألْسِنَتُهُمْ أحْلَى مِنَ العَسَلِ، وقُلُوبُهُمْ أمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، إيَّايَ يَخْدعُونَ، وبِيِ يَسْتَهْزِئُونَ، لأتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ فيهم حَيْرانَ . انتهى .
وقال الشاعر :

وأنتَ كجِرْوِ الذّيبِ ليسَ بِآلِفٍ   أبى الذّيبُ إلاّ أن يخُونَ ويظْلِما !

الذّيبُ يُكْنَى أبَا جَعْدَةَ .

الذيب مرّ، والكُنْيَة والكُنْوَة ـ بضمّ الكاف وكسرها فيهما ـ : الاسم . وكَنَيْتُ الرجل أبا فلان، وكنَّيته بالتضعيف ـ، وأكْنَيْته، كُنْيَةً ـ بالكسر والضمّ ـ سمَّيته به . وكنَّيته بأبي فلان أيضًا . وأبو جَعْدة : كنية الذيب . ويُقال : أبو جُعَادة أيضا . قال الشاعر :

فقُلْت له : يا أبَا جُعَادَةَ إن تمُتْ   تَمُتْ سَيِّىءَ الأخْلاقِ لا تَتَنَقَّل[2]

وكُنّي الذيب أبا جَعْدَة، وإن لم تكن له بنت تُسمَّى بذلك . ومن ثَمَّ قال الكُمَيْت يصفه :

ومُسْتَطْعِمٍ يُكْنَى بغير بناتِهِ   جَعَلْتُ له حَظًّا من الزّاد أوفَرا

والجَعْدَة يكون وصفا للمؤنّث، من الجُعُودة في الشّعر، ضدّ السُّبُوطة، والمذكّر جَعْدٌ . والجَعْدُ أيضا الثَّرَى النّدِيّ . وقول امرىء القيس :

ويَأكُلْن بُهْمَى جعْدةً حَبَشِيَّةً   ويَشْرَبْنَ بَرْدَ الماء في السَّبَرَاتِ

---

2) في أ : «لا تتنصل» بدل «لا تتنقل»، ورسمت فوق ألف «أبا جعادة» ثلاث نقط علامة على أنه لا يقرأ : «يا اباجعادة» حتى يستقيم الوزن.

أراد به النَّدِيَّة، أي بهمى نديَّة حبشية، أي شديدة الخضرة تضرب إلى السَّواد .
ورَجُل جَعْد" : كَريم" أو بَخِيل" . وجَعْدُ اليَدَيْنِ : بَخِيل" . والجعدة أيضا نبت ينبت على شاطىء الأنهار، وهو المراد في المثل . ويُقال إنَّه نبت طيب الريح، ينبت في الربيع ويجفّ سريعًا . والجعدة أيضا : الشَّاة . فقيل : كنّي الذيب بها لكثرة افتراسه إيَّاها، وقيل : كُنّي أبا جعدة لأنَّه بخيل، والبخيل يُقال له الجعد كما مرَّ .
وأنشدوا :

أخْشى أبا الجعْدِ وأمَّ العَمْرِ

يعني الذيب . وقيل من النبت السَّابق .
ومعنى المثل أنَّ الذيب كنيته حسنة وفعله خبيث منكر . يُضرب للرجل يُظهر لك إكرامًا وهو يريد بك غائلة .
ويُروى هذا المثل أيضا :

هِيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلاَءَ كَمَا الذِّيبُ يُكْنَى أبَا جَعْدَة .

ويُحكى أنَّه لعبيد بن الأبرص لمَّا همَّ المنذر بن ماء السَّماء بقتله قال له عبيد :
وقالوا : هيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطّلاَ كما الذّيبُ يُكْنَى أبا جَعْدَةِ
ويُروى :

هي الخَمْر يُكْنونَها بِالطّلاَ كما الذّيبُ يُكْنَى أبا جَعْدَةِ

أي أنَّه يُظهر لي الاكرام وهو يريد قتلي، كما أنَّ الخمر وإن سمّوها الطّلاء وحسَّنوا اسمها ففعلها قبيح . وكذا الذيب وإن كان اسمه حسنا فإنَّ فعله قبيح .
ويُحكى عن ابن الزبير أنَّه سُئل عن المُتْعَة فقال : الذيب يُكْنَى أبا جعدة . والمعنى أنَّ المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى، لأنَّها طلاق، كما أنَّ الذئب حسن الاسم قبيح المعنى .

ذكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وكُنْتُ نَاسِيًا .

الذّكْرُ والتّذْكَارُ : الحِفْظُ للشيء، ذكره وتذكَّره، وذكَّرته إيَّاه - بالتضعيف -،

وأذكرته . وما زال مني على ذُكْرٍ - بالضمّ والكسر - أي تَذَكُّر . والطّعْنُ : الضرب بالرمح ونحوه، والوَخْزُ به، طَعَنَهُ - بالفتح - يَطْعَنُهُ - بالفتح والضم - طعنًا : ضربه، فهو مَطْعُون وطَعِين ؛ والنّسْيانُ ضدّ الحِفْظ، نَسيَ الأمر - بالكسر - ينساه، نِسْيًا ونِسْيَانًا ونِسَاوَةً - بكسر الثلاثة -، ونَسْوَةً - بالفتح -: ضدّ حفظه .

وهذا المثل يُضرب في ذكر الشيء بغيره، وفي الرجل يسمع كلمة فيتذكّر بها شيئا .

وأصله - فيما يقال - أنّ رجلا حمل على آخر ليقتله، وكان مع المحمول عليه الرمح، فنسيه دهشا، فقال له الحامل : ألْقِ الرمح ! فقال عند ذاك : ذكّرتني الطعن وكنت ناسيًا - أي ذكّرتني ما أطعن به، أو ذكّرتني الطعن بتذكير الرمح الذي أطعن.به - فذهبت مثلا . ثمّ كرّ عليه فهزمه .

ويقال إنّ الحامل في هذه القصّة هو صخر بن عمرو بن الشريد[3]، والمحمول عليه هو يزيد ابن الصّعِق . وقد ذكر ذلك أبو عُبيد، إلاّ أنّه قال : فَكَرّ عليه فقتله أو هَزَمَهُ على الشكّ - فوهّمه البكري بما ثبت من أنّ صخرا إنّما مات بطعنة ربيعة بن ثور الأسدي . وسيأتي لنا ذكر قصّته، إن شاء اللّه تعالى .

ويروى أيضا أنّ رُهَيْم[4] بن حزم الهلالي عرّج بأهله وماله يريد النقلة في البلاد من أرض إلى أرض. فبينما هو يسير إذ لقيه ثلاثون رجلا من تغلب، فقال لهم : يا بني تغلب، شأنكم بالمال وخَلّوا الظعينة ! فقالوا : قد رضينا إن ألقيت الرمح ! فقال : وإنّ رمحي لمعي ! فقتل رجلا وصرع آخر وقال ذلك[5].

ذِكْرُ مَا فَاتَ، يُكَدِّرُ الأوقَات .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى، وقريب من قولهم :

ذِكْرُ أيّامِ الجَفَاءِ في أيامِ الصَّفَاءِ جَفَاء .

---

3) سقط من جميع النسخ اسم «الحارث» من هذا النسب المشهور : صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، وهو أخو الخنساء ومرثيها الشهير.

4) حرف في ب و د فكتب «زهير».

5) ذكر الميداني في هذا المثل (1 : 280) أن رهيم بن حزم شد على خصومه وجعل يقتلهم واحدا بعد واحد وهو يرتجز ويقول :

ردّوا على أقربها الأقاصيا   إن لها بالمشرفيّ حاذيا
ذكّرتني الطّعنَ وكنتُ ناسِيا

مُذَكِّيَةٌ تُقَاسُ بالجِذَاعِ .

المُذَكِّي من الخيل : المُسِنّ الذي جاوز القراح بعام، كما مرّ في الجيم . والجِذَاع جمع جذعة وهو الصغير السنّ، والقياس : اعتبار الشيء بالشيء وإلحاقه به في أمر . وهذا المثل يُضرب عند الخطإ في التشبيه وقياس الكبير بالصغير . واشتهر في هذا المعنى على ألسنة الناس قولهم :

قِيَاسُ البَيْضِ عَلى البَاذِنْجَانِ .

وزعموا أنّ أصله أنّ رجلا كان ساق إلى آخر باذنجانًا أو نحوه، فَوجد مسكنه مغلقًا ولم يجد صاحبه هنالك، فلم يمكنه أن يُدخل إلى المسكن ما أتى به . فلمّا جاء صاحبه قال له: إذا جئت بشيء من ذلك فَارْمه من الخَوْخَة إلى البيت ثمّ إنّه يوما اتفق لهذا أن جاء ببيض فرماه من الخوخة، عملاً بوصيّة صاحبه وظنّ أنّ البيض والباذنجان سواء . فوقع البيض وانكسر وفسد، وذهب ذلك مثلا .

أذْكَى مِن إيَاس .

الذّكَاءُ سُرعة الفِطْنَة : يقال : ذَكِيَ الرَّجُلُ يَذْكَى - كَرَضِيَ يَرضَى -، وذَكَى يَذْكَى - كَسَعَى يَسْعَى -، وذكُوَ يَذْكُو - كَكَرُمَ يَكْرُمُ - ذَكَاءً - بالمدّ -، فهو ذَكِيٌّ . وإيَاس - بوزن كِتَاب - هو إياس بن معاوية بن قرة، قاضي البصرة. وكان أعجوبة الزمان في الذكاء وسرعة الجواب . ومن ثمّ قال أبو تمام .

إقْدامَ عمْرٍو في سمَاحَةِ حاتمٍ   في حِلْمِ أحْنَفَ في ذكَاءِ إيَاسِ

ولذكاء إياس وفراسته وفطنته أخبار عجيبة وحكايات غريبة . ومن أول ما عرف من ذكائه أنّه دخل الشام وهو صغير ونازع رجلا في أمر وقدّمه إلى قاضي عبد الملك بن مروان، وكان القاضي يعرف الرجل فقال لإياس : أما تستحيي أن تقود شيخا كبيرا ؟ فقال : الحقُّ أكبر منه ! قال القاضي : اسكت ! قال إياس : فمن يتكلّم بحجتي إذا سكتُّ ؟ فقال له القاضي:

ما أظنـّک تتكلـّم بحقّ حتـّى تقوم . قال إياس : أشهد أنّ لا إله إلا اللـّه وأن محمـّدا رسول اللـّه ! فوثب القاضي قائما ودخل على عبد الملک فأخبره خبره . فقال له عبد الملک : اقض حاجته ! واصرفه عن الشام لا يفسد علينا النـّاس !

ثمّ ولي القضاء في خلافة عمر بن عبد العزيز ـ رضي اللـّه عنه ـ وكان سبب ذلک أنّ عمر بعث رجلا من أهل الشام فقال له : اجمع بين القاسم بن ربيعة وإياس، فولّ القضاء أيـّهما أنفذ ! فجمع بينهما وتمنع كل منهما . فقال إياس للشامي : سل عني وعن القاسم فقيهي المصر : الحسن وابن سيرين ! فعلم القاسم أنـّه إن سألهما أشارا به . فقال للشامي : لا تسل! فواللـّه الذي لا إله إلاّ هو إنّ إياسا لأفضل منـّي وأعلم بالقضاء . فإن كنت ممـّن يصدّق فينبغي لک أن تصدّق قولي، وإن كنت كاذبا فما يحلّ لک أن تولـّيني القضاء وأنا كاذب ! فقال إياس للشامي : إنـّک جئت برجل فأقمته على شفير جهنـّم، فافتدى نفسه من النـّار بيمين كاذبة سيستغفر اللـّه عزّ وجلّ منها وينجو من النـّار . فقال الشامي : أمـّا إذ فطنت لها فأنا أوليک القضاء[6] . فاستقضاه . وكان إياس قيل له : إنّ فيک عيبـْين : إعجابا بقولک وعجلة في الجواب . فقال : أمـّا الاعجاب، فأنتم أليس يعجبكم ما أقول ؟ قالوا : بلى! قال : فأنا أحقّ بالإعجاب بقولي ؛ وأمـّا العجلة، فكم هذه ؟ وأمدّ أصابع يده . فقالوا : خمس قال : عجـّلتم بالجواب ولم تعدّوها أصبعـًا أصبعـًا . قالوا : وكيف نعدّ ما نعلم ؟ قال : كذلک أنا في الحكم ! وسيأتي شيء من أخباره وفراسته بعد، إن شاء اللـّه تعالى .

ذَلـِيلٌ عَاذَ بـِقـَرْمَلـَةٍ .

الذ ّلّ ضدّ العزّ، ذلّ الرّجـُلُ يذلّ فهو ذَلـِيلٌ، والعياذ : الالتجاء، يقول : عَاذَ بـِهِ يـَعـُوذُ ـ بذال معجمة ـ عَوْذًا وعـِيـَاذًا ومـَعـَاذًا ومـَعـَاذَةً . والقـَرْمـَلـَةُ شجرة ضعيفة لا شوک لها، تنفطح إذا وُطـِئت، والجمع قـَرْمـَلٌ . قال الشاعر :

قـَتيلانِ لا تبـْكي المـَخـَاضُ عليهـِما : إذا شـَبـِعـَتْ من قـَرْمـَلٍ وأفـَانِ

---

6) في ب : « أما إذا... » وهو تحريف.

وهذا المثل يُضرب في الضعيف يلتجىء إلى أضعف منه أو مثله، والذَّلِيل يأوي إلى أذلّ منه . قال جرير :

كانَ الفَرَزْدَقُ إذ يعوذُ بخَالِه مثْلَ الذّليل يعوذ تحت القَرْمَلِ

ويقال أيضا في المثل :

ضَعِيفٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ .

ومثله قول العامّة :

اسْتَنَدَ المَرِيضُ إلَى المَرِيضِ .

أذَلُّ مِن بَيْضَةِ البَلَدِ .

الذُّلُّ مرٌّ، والبَيْضَةُ معروفة، واحدة البَيْض ؛ والبَلَدُ ـ بفتحتَيْن ـ أُدْحِيُّ النَّعام، وهو حفرة يتّخذها في الأرض لبيضه . قال علقمة يصف الظّليم :

حتّى تَوافَى وقَرنُ الشّمس مُرتفعٌ أُدْحيَّ عِرْسَين فيه البيضُ مركُومُ

وبَيْضَةُ البَلَدِ هي بيضته التي يتركها فيه، ضُرب بها المثل في الذلّة لأنّها لا تمتنع من كلّ مَن ظفر بها، كما قيل : فَقْعُ القَرقَرِ، على ما يأتي . قال الشاعر :

لو كُنْتَ من أحدٍ يُهْجَى هَجوْتُكُمُ يابْنَ الرّقاعِ ولكن لَسْتَ من أحَدِ

تَأْبى قُضاعَةُ أن تَدْري لكُم نسبًا وابْنا نِزارٍ فأنتُم بَيْضةُ البَلَدِ

وجوّز أبو عبيدة في قولهم : كان فلان بيضة البلد أن يُراد به المدح على ما قيل في بيضة العقر، كما سيأتي . وزعم البكري أنّه قد يُضرب هذا مثلا للمنفرد عن أهله وأسرته، فلا يكون مدحًا ولا ذمًّا، وأنشده :

لَو كان حَوْضَ حِمارٍ ما شَرِبتُ به إلاّ بإذْنِ حِمارٍ آخِرَ الأبَدِ

لكنّهُ حوضُ مَن أوْدَى بإخْوتِهِ رَيْبُ الزّمانِ فأضحى بَيضَةَ البَلَدِ !

وفيه نظر : لأنّ الشاعر يخبر بأنّه قد هان وذلّ بذهاب إخوته وأنصاره، لا بمجرّد فقد الأنصار وأنّه منفرد .

أذَلُّ مِن حِمَارٍ .

الحِمَارُ معروف، وهو يوصف بالذلّة والهوان، كما يوصف بالجهل والبلادة . قال الشاعر :

ولا يُقيمُ عَلى ضَيْمٍ يُرادُ بِهِ   إلاّ الأذَلاّنِ : عَيْرُ الحَيِّ والوتِدُ
هذا على الخَسْفِ مَربوطٌ بِرُمَّته   وذا يُشَجُّ فَلا يَرثِي لَه أحَدُ

والخَسْفُ : الهَوَانُ، كما قيل :

حَراجيجُ ما تَنْفَكُّ إلاّ مُناخةً   على الخَسفِ أو نَرْمي بها بلداً قفْرا

والرُّمَّةُ : القطعة من الحبل . وقوله في الوتد، يُشَجُّ أي يُضرب على رأسه، فلا يرثي له أحد، أي لا يرقّ له أحد ولا يرحمه . ومثله قول عبد الرحمان بن حسَّان بن ثابت الأنصاري يهاجي عبد الرحمان بن الحكَم بن العاصي الأمويّ :

فأمَّا قَولُكَ : الخُلَفاءُ منَّا   فهُم مَنَعوا وريدَكَ من وداجِ
ولولاهُمْ لكُنتَ كَركْبِ بَحْرٍ   هَوى في مُظْلِمِ الغَمَراتِ داجِ
وكُنتَ أذلَّ من وتِدٍ بقاعٍ   يُشجَّجُ رأسُهُ بالفِهْرِ واجِ

ولمَّا وقع هذا بينهما كتب معاوية، رضي اللّه عنه، إلى مروان بن الحَكَم ان يؤد بهما، وكانا قد تقاذفا . فضَرب عبد الرحمن بن حسَّان ثمانين، وضَرب أخاه عشرين . فقيل لعبد الرحمان بن حسَّان : قد أمكنك في مروان ما تريد، فشنّع أمره وارْفَعْه إلى معاوية ! فقال: إذاً، واللّه، لا أفعل، وقد حدّني كما يُحدّ الرجال الأحرار، وجعل أخاه كنصف عبد، فأوجعه بهذا الكلام .

أذَلُّ مِن حِمَارِ قَبَّانَ .

ويقال : عَيْرُ قَبَّان دُوَيْبَّة صغيرة من دوابّ الأرض ؛ وقَبَّان ـ بفتح القاف والباء المشدّدة، على وزن فَعْلان، من قَبّ، وكأنّه من القَبَب وهو ضمور البطن . قال الشاعر :

[يَمشينَ مشْيَ قَطا البطاحِ تأوُّداً   قُبَّ البُطونِ رَواجِحَ الأكْفَالِ
وذلك لضمور بطنه . والدّليل على أنّه فَعْلان مَنْعُ الصرف فيه . قال الشاعر][7] :

---

7) ما بين معقوفتين ساقط من بـ.

يا عجبًا لقد رأيتُ عجبًا : حِمارَ قَبَّانَ يسوقُ أرنَبًا
خالطَها يَمْنَعُها أن تَذْهَبا فقال : أرْدِفيني ! قالت : مَرحبا !

ولو كان فَعَّالاً لصرفه، إلاّ أن يلاحظ فيه تركيبا .

أذلُّ من السُّقْبانِ بين الحَلائِبِ .

السُّقْبانُ - بالضمّ - جمع سَقْبٍ - بفتح فسكون -، وهو لد الناقة مطلقًا أو ساعة يولد . قال علقمة :

رِغافَوقَهُم سقْبُ السَّماء فداحِصٌ بشكّتِه لم يُسْتَلَبْ وسَلِيبُ

أراد ابن ناقة ثمود، والأنثى سَقْبَةٌ . وقيل : السَّقْبُ مخصوص بالذكر ولا يقال للأنثى سَقْبَة، وإنّما يقال لها حَائِل وأمّها أمّ حائل، كما مرَّ . وجمع السَّقْب : أسْقُب وسُقُوب وسِقاب وسُقْبَان . وناقة مِسْقَابٌ إذا كانت عادتها أن تلد السقبان . قال الراجز :

غرّاءُ مسْقابٌ لفحْلٍ أسْقَبِ

والحَلائِبُ جمع حَلُوبَة، والحَلُوبَة من النوق المحلوبة . قال الشاعر يرثي رجلا :

يبيتُ النَّدى يا أمَّ عَمرٍو ضَجِيعَهُ إذا لم يكُن في المُنقِياتِ حلُوبُ

وجمع الحلوب والحلوبة الحلائب . وضربوا المثل بالسُّقْبان بين الحَلائِب، أي بين النوق التي تُحلب، لأنَّها تقبض وتردد، وتدفع وتشدد، فينالها الهوان والصغار .

أذلُّ من فَراشٍ

الفَراشُ - بفتح الفاء - وتقدَّم في حرف الخاء .

أذلُّ من فَقْعٍ بِقَرْقَرَةٍ .

الفَقْعُ - بفتح فسكون - الكَمْأة البيضاء الرخوة، وتُكسر الفاء . وجمع الكلّ فِقَعَة - كَعِنَبَة - قاله الجوهري . والقرقرة والقرقر : الأرض المطمئنَّة الليّنة، فيقال للذليل : أذَلُّ مِن فَقْعٍ بِقَرقَرَةٍ، وهو فَقْعٌ بِقَرْقَر، لأنَّه لا يتمنَّع على من يجتنيه، أو

لأنَّه يُوطأ بأرجل الناس والبهائم ويُمتهن . ويُنسب للنابغة يهجو النعمان بن المنذر :

حدّثوني بني الشَّقِيقَةِ مَا يمْنَعُ فقْعًا بقرقَرٍ أن يَزُولاَ ؟

وقال بعض العرب لقوم : ما أنتم إلى ريف فتاكلوه، ولا إلى فلاة فتعصمكم، ولا إلى وَزَر فيُنجيكم ! فأنتم نُهْزَة لمن رامكم، ولُعْقَةٌ لِمَنْ قصدكم، وغَرَضٌ لمن رماكم، كالفِقَعَة الشرباخ، يَشْدَخُها الواطِىءُ ويَذْرِيها السّافي . الشرباخ، الفاسدة المسترخية.

ذهَبُوا أيَادِي سَبَأ .

الذّهَابُ معروف، يقال : ذهَبَ - بالفتح - يَذهَبُ ذهابًا، والأيادِي جمع أيْدٍ،والأيْدِي جمع يَدٍ، وهو بمعنى الجارحة وبمعنى النعمة وبمعنى الطريق . وسَبَأ أبُو قبائل اليمن، وهو لقب، واسمه عبد شمس بن يَشْجُب بن يَعْرب . وسميّ سَبَأ قيل لأنَّه وّلُ من سَبَى السَّبْي . وقيل سَبَأ اسم امّهم، وتسمَّى البلدة سبأ باسم سكّانها، وكانت أخصب بلاد اللّه، كما قال اللّه تعالى : جَنَّتَانِ عَن يَمينٍ وشمَالٍ . قيل : وكانت مسافة شهر في شهر للراكب المجدّ، يسير الماشي في الجنان من أوّلها إلى آخرها لا يفارقه الظلّ، مع تدفّق الماء، وصفاء الهواء، واتساع الفضاء. فمكثوا مدّة في أمن، لا يعاند ملك إلاّ قصموه . وكانت في بدء الأمر تركبها السيول، فجمع ملك حمير أهل مملكته وشاورهم، فاتّخذوا سدًّا في بدء جريان الماء، ورصفوه بالحجارة والحديد، وجعلوا فيه مخارق للماء . فإذا جاءت السيول انقسمت على وجه يعمّهم نفعه في الجنّات والمزدرعات . ويقال بانيه هو لقمان بن عاد، ووقع في شعر الأعشى أنّ حميرًا هو بُنَاتُه حيث قال :

رُخامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ إذا جَاءَ مَاؤُهُم لَم يرم

فلمَّا كفروا نِعَم اللّه تعالى ورأوا أنّ ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس، سلّط اللّه على سدّهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل فمَزّقَهُمُ اللّه كلّ ممزّق وأباد خضراءهم، كما في القرآن .

فحكي أنَّه لمَّا انتهى الملك إلى عمرو بن عامر، المعروف بمُزَيْقِيَاء، وسُمّي بذلك

لأنَّه كان يلبس حلَّة حتَّى إذا أمسى مزَّقها أنفة من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره، أو لأنَّه مزَّق الأزد في البلاد . وكان أخوه عمران كاهنا، فأتته كاهنة وأخبرته بدنوّ فساد السدّ وفيض السيل وأنذرته، فقال لها : وما آية ذلك ؟ فقالت : إذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر، ويقلب برجليه الصخر، فاعلم أنَّه قد اقترب الأمر . قال : وما الأمر ؟ قالت : وعد من اللّه ينزل فيغيرك ياعمرو ! ثمَّ إنَّ عمرًا يومًا نظر في السدّ فرأى جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا . فرجع وهو يقول :

أبْصرتُ أمرًا هاجَ لي بَرْحَ السَّقَمْ | من جُرَذٍ كَفَحْلِ خِنْزيرٍ أجَمّ
لَهُ مَخَالِيبُ وأنْيَابٌ قُضُمْ

فأجمع على الخروج منها . واحتال في بيع ماله وأن لا ينكر النَّاس عليه . فقال لابنه : إنّي صانعٌ طعاما وداعٍ إليه أهل مَأرِب، فرُدَّ عليَّ كلامي إذا تكلَّمت ! ففعل وردَّ عليه ابنه بأقبح الردّ، فتغاضب عمرو وصاح : واذُلاه ! يجيبني صبيٌّ ! وحلف ألاَّ يقيم ببلدضيم فيه . فجعل يبيع أمواله وقومه يقولون بعضهم لبعض : اغتنموا غضبة عمرو قبل أن يرضى ! واشتروا منه . فلمَّا باع واجتمعت له أمواله أخبرهم خبر السدّ والسيل، وأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران : إنّي أصف لكم بلدانا، فاختاروا أيَّها شئتم، مَن كان منكم ذا غنم بعيد، وجمل غير شرود، فَلْيَلْحَقْ بالشعب من كؤود ! فلحق به همدان . ثمَّ قال : ومن كان منكم ذا سياسة وصبر، على أزمات الدهر، فَلْيَلْحَقْ ببطن مُرّ ! فلحق به خُزاعة . قال : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوَحْل، المُطعمات في المَحْلِ، فَلْيَلْحَقْ بيثربَ ذاتِ النخل ! فنزلها الأوس والخزرج . قال : ومن كان يريد الخمر والخَمِير، والأمْرَ والتَّأْمِير، فليلحق ببُصْرَى وسَدِير ! وهي من أرض الشام . فلحق بها غسَّان . قال : ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، والذهب والأوراق، فليلحق بالعراق ! فلحق بها مالك بن فهم الأزدي . وتخلَّف مالك بن اليماني في قومه حتَّى أخرجهم السيل منها، فنزلوا نجران وانتسبُوا في مذحج، ودخلت جماعة منهم على معدّ، فأخرجتهم معدّ بعد حروب، ونزلوا بجبل السَّراة[8]، على تخوم الشام . فلمَّا

8) حرفت «السراة» في ب فكتبت «المسرات». والسراة - كما في معجم البلدان - جبل أو مجموعة جبال تمتد من اليمن إلى الشام.

تفرّقت قبائل سَبَإٍ هذا التفرّق، وتمزّقوا هذا التمزّق، ضربت العرب بهم المثل فقالوا : ذَهَبَ القَوْمُ أيْدِي سَبَأ وأيَادِي سَبَأ، أي تفرّقوا في كلّ طريق ووجهة، إمَّا على أنّ اليد بمعنى الجارحة، لأنَّهم كانوا، إذ كانوا مجتمعين، يداً واحدة . فلمَّا تفرّقوا صارت اليد أيادي كثيرة ؛ أو بمعنى النعمة، أي تفرّقوا تفرُّق نِعَم سبأ، أو كائنين كنعم أهل سَبَا ؛ أو بمعنى الطريق، أي تفرُّقوا في كلّ طريق أهل سَبَا، حيث تمزّقوا . وأيدي سبا جعل اسما مركَّبا - كمَعْدِي كَرِب - وسُكّنت الياءُ تخفيفًا وإن انتصب .

ذهَبُوا تَحْتَ كَوْكَبٍ .

هذا كالذي قبله في المعنى أيضًا، وهو التفرُّق، وألفاظه ظاهرة.

ذهَبَ دَمُهُ أدْرَاجَ الرِّيَاحِ

الذّهَابُ مرّ، وكذلك الدّم، والأدْرَاجُ جمع دَرَج - بفتحتين - وهو الطريق - تقول : رجَعْتُ أدْرَاجِي، أي في الطريق الذي جئت فيه . والرِّيَاحُ جمع ريحٍ، قُلبت الواو ياء في المفرد والجمع لانكسار ما قبلها . وهذا المثل يقال في بطلان الشيء . فإذا قيل : ذَهَبَ دَمُهُ أدْرَاجَ الرِّيَاحِ، أريد أنَّه ذهب هَدَرًا . والمعنى أنَّه سلك مسالك الرياح الذاهبة، أو كان في مسالكها فنَسَفَته وأذهبته . وكذا في غير الدّم .

ذَهَبَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِهَا .

الذّهَابُ مرّ ؛ والهَيْف - بالفتح - ريح حارّة تهبُّ من نحو اليمن نكباء بين الجَنوب والدّبور . قال ذو الرُّمّة :

هَيْفٌ يَمَانيَّةٌ في مرّها نكبٌ

وهي تيبّس ما مرّتْ به وتعطّش الحيوان . والهَيْفُ أيضا شدّة العطش، والأوّل المراد، والأدْيَانُ جمع دِينٍ - بكسر الدّال - وله معان كثيرة : منها العادة، وهو المراد هنا . قال امرؤ القيس :

كَدِينِكَ من أمّ الحُوَيرثِ قَبْلها وجارتِهَا أمّ الرَّبابِ بمَأسَلِ

أي كعادتك . ويُروى كَدأْبِكَ، بمعناه . وقال الآخر :

تقول إذا دَرأتُ لها وضِيني : أهَذا دينُه أبداً وديني ؟

ومعنى ذهَبَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِهَا : ذهَبَتْ لعَادتِها، لأنَّها تُجفِّفُ كل شيء . فيُضرب عند تَفَرُّق القوم كلٌّ لشأنه، أو لِمَنْ يلزم عادته . وقال أبو عُبيد : يُضرب في نظر الرجل لنفسه وإقباله على شهوته وهواه . وقيل إنَّه يُضرب في الشيء إذا انقضى .

الذَّودُ إلى الذَّوْد إبِلٌ .

الذَّودُ ـ بفتح الذَّال وسكون الواو بعدها دال مهملة ـ، من الابل ما بين الثلاث والعشر، مؤنَّث ولا واحد له، والجمع أذْوادٌ . قال النابغة :

لعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على يَزيدٍ من الفخْرِ المُضَلَّلِ ما أتاني

كأنَّ التَّاجَ مَعْصُوبًا عَلَيْهِ لأذْوادٍ أُصِبْنَ بِذِي أبَـان

وقال امرؤ القيس :

أرى المرءَ ذا الأذوادِ يصبحُ مُحرَضًا كإحْراضِ بكْرٍ في الدِّيار مريضِ

والابِلُ معروف، لا واحد له، وقد تُسكَّن الباء . قال

ألْبانُ إبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافرٍ ما دام يمْلكُها عليَّ حَرَامُ

والجمع آبـال .

والمعنى أنَّ الذَّوْدَ ـ وهي القليلة العدد ـ مجموعة إلى ذَوْدٍ أخرى تكوّن إبلاً . أو إلى بمعنى مَعَ، أي الذَّوْدُ مَع الذَّوْدِ . يُضرب عند اجتماع القليل إلى القليل، وأنَّه يكون كثيرا . وتقدَّم مثله .

ذلكَ الفَحْلُ لا يُقْدعُ أنْفُهُ .

ذلِكَ : إشارة إلى البعيد، شخصًا كان أو مكانا . وأصله ذَوَيَ، أو ذَيَيَ، على الخلاف المعروف في علم النحو ؛ والفَحْلُ من الابل معروف، ويكون في غيرها، والجمع فُحُولٌ وفِحَالٌ وفِحَالَةٌ . قال :

فِحَالَةٌ تُطْرَدُ عَنْ شِوالِها

والقَـدْعُ ـ بالدال المهملة ـ: الكَـفُّ والضَّرب . تقول : قَـدَعْت الفرس، إذا كَـبَحْتَـه ؛ وقَـدَعْت الفَحْل إذا ضَرَبْت أنفه بالرمح حتَّى يرجع، وذلك إذا كان [غير][9] كريم فيريد أن يطرق النَّاقة الكريمة، فيُضرب حتَّى يرجع . قال الشَّمَّاخ :

إذا ما اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ منه مكان الرُّمْحِ من أنْفِ القَدُوعِ

يصف حمارًا يَسْتَافُ أُتُنًا أي يشمُّهنَّ، لأنَّ الاستياف والسَّوْف هو الشَّمّ، كما قال امرؤ القيس :

على لاحِبٍ لا يهْتَدي بمنارهِ إذا سافَهُ العودُ النّباطيُّ جَرْجرا

ومن ذلك سمّيت المسافة من الأرض، لأنَّ الدليل يشمّ التراب ليعرف أين هو . وقوله : مَكَانَ الرُّمْحِ، أي المكان الذي يصيبه الرمح من أنف القَدُوع . والقَدُوع : المَقْدُوعُ، وهذا البناء يكون بمعنى مفعول، أو بمعنى فاعل أيضا . فمن الأوّل قولهم : دابَّةٌ رَكُوب، وناقة حَلُوب، وحُوَار رَغُوث، وفَحْلٌ قَدُوع، أي مَرْكُوبَة ومَحْلُوبَة ومُرْغَثٌ ومَقْدُوع ؛ ومن الثاني قولهم : رجل قَدُوع ورَكُوب للدوابّ، وناقة رَغُوثٌ، أي قَادِع ورَاكِبٌ ومُرْغِث . وقال الحجَّاج في خطبة له : أيُّها النَّاس، اقْدَعُوا هذه الأنفس فإنَّها أسْألُ شيء إذا أُعطيت، وأمْنَعُ شيء إذا سُئلت . فرحم اللَّه امرءًا جعل لنفسه خِطَامًا وزِمَامًا فقادها بخِطامها إلى طاعة اللَّه، وعَطَفها بِزِمامها عن معصيَة اللَّه ! فإنّي رأيتُ الصبرَ عن محارم اللَّه أيْسَرَ من الصبر على عذابه .

وهذا المثل قاله وَرَقَةُ بنُ نَوْفَل بن خُوَيلد لمَّا قيل له إنَّ محمَّدَ بن عبد اللَّه خطب خديجة بنت خُوَيلد، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فقال وَرَقة : ذلِكَ الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنْفُهُ، أي كريم يروم كريمة، فلا سبيل إلى التعرّض له دونها وصدّه عنها، وهو أشرف أكفائها . ويقال إنَّه تمثَّل به فقط . ويقال : تمثَّل به أبو سفيان بن حرب لمَّا خطب النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ابنته أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان . فقيل له إنَّ محمَّدا تزوَّج ابنتك، وأبو سفيان يومئذ مشرك، فقال ذلك ؛ غير أنَّ اللفظ المرويّ من كلام أبي سفيان هو: الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنْفُهُ، واللَّه أعلم .

---

9) سقط من د

ومن هذا الباب قولهم :

ذهَبَ دمُهُ خِضْرًا مِضْرًا .

ـ بكسرهما وسكون الضاد المعجمة ـ، أي هَدَرًا .
وقولهم :

لأذْهَبَنَّ فَإمَّا هُلْكٌ وإمَّا مُلْكٌ،

ومعناه قول امرىء القيس :

بكى صاحِبي لمَّا رأى الدَّربَ دونَه   وأيْقنَ أنَّا لا حِقَانِ بقَيْصَرا
فقلت لهُ : لا تَبْكِ عَينُك إنَّما   نُحاولُ مُلكًا أو نموتَ فنُعْذَرا !

وقولك :

أذهَلُ من صَبٍّ .

والذُهُولُ : الغَفْلَةُ والنسيان، والصَّبُّ : العَاشِقُ ذو الصَّبابة، وهو لما به يغلب عليه ذلك .
وممَّا يجري على ألسنة القرَّاء تمثّلاً قول اللّه تعالى، إخبارًا عن نبيّه موسى عليه السَّلام:

ذَلِكَ ما كنا نَبْغِ .

وينبغي أن يكون المتمثّل بشيء نحو هذا أن يلاحظ فيه ما يلاحظ عند الاقتباس، ليكون أحفظ للأدب وأبعد عن الاستخفاف والتبذّل، وترك كلّه أحوط وأسلم .
وقوله صلّى اللّه عليه وسلّم :

ذُو الوجْهَيْنِ لا يكُونُ عنْدَ اللّهِ وجِيهًا .

ويُحكى أنَّه لمَّا نصَّب معاوية، رضي اللّه عنه، ابنه يزيد لولاية العهد، أقعده في قبَّة حمراء . فجعل النَّاس يسلّمون على معاوية ويميلون إلى يزيد، حتَّى جاء رجل ففعل

ذلك . ثمَّ رجع إلى معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين، اعلم أنَّك لو لَمْ تُولِّ هذا أمورَ المسلمين لأضَعْتَها . وكان الأحنف بن قيس جالسًا فقال له معاوية : مالك لا تقول . يا أبا بحر ؟ـ وهو كنية الأحنف ـ. فقال الأحنف : أخاف اللَّه إن كذبت، وأخافكم إن صدقت . فقال معاوية : جزاك اللَّه عن الطاعة خيرا ! وأمر له بألوف . فلمَّا خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بحر، إني لأعلم أنَّ شرَّ من خلق اللَّه هذا وابنه، ولكنَّهم استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال . فلسنا نطمع في استرجاعها إلا بما سمعت ! فقال له الأحنف : يا هذا، أمسك ! فإنَّ ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند اللَّه وجيها .

وقول عمر، رضي اللَّه عنه :

ذلك الظَّنُّ بك يا أبا اسحاق !

وهو سعد بن أبي وقَّاص، أحد العشرة، رضي اللَّه عنه، لمَّا شكاه أهل الكوفة، فقال له عمر، رضي اللَّه عنه، : إنَّهم شَكَوْكَ في كلّ شيء حتَّى الصلاة ! فقال : إنِّي أفعل ما رأيت النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يفعل، أركد في الأوَّلين وأحذف في الأخِيرَيْن .

فقال عمر : ذلك الظَّنّ بك !

وأمَّا الشعر، فقال ضابىء :

لكُلِّ جديدٍ لذَّةٌ غيْرَ أنَّني ... وجَدتُ جَدِيدَ الموتِ غيرَ لذيذِ !

وقال الآخـر :

طلبتَ الجميعَ ففَاتَ الجميعُ ... فمِنْ طولِ حِرْصِكَ لا ذا وَذا !

غيــره :

ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبَهُ ... حتى وهَى وتقَطَّعَتْ أفْلاذُهُ !

وقال الصَّابىء :

والعُمرُ مثلُ الكاسِ يَرْ ... سُبُ في أوَاخِرِهِ القَذَا

ومنه قول ابن النَّبيه :

خُذْ من زمانِكَ ما أعْطاكَ مُغتبطًا ... وأنتَ ناهٍ لهذا الدَّهْرِ آمِرُهُ

فالعُمرُ كالكاسِ تُسْتحْلى أوائِلُهُ ... لكنَّهُ رُبَّما مُجَّتْ أواخِرُهُ !

ويقال إنَّه، لمَّا سمع ابن التَّعاويذي قول الصَّابىء، قال :

فمن شبَّهَ العمْرَ كاسًا يقرُّ قَذاهُ ويرسُبُ في أسْفَلِهْ

فإنِّي رأيتُ القَذَى طافيًا على صفْحةِ الكاسِ من أوَّلِهْ !

ومن ذلك قول القاضي الفاضل :

إلَيْكَ بعْد انقضاءِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ عنِّي فلم أرَبي ما يقْتضِي أرَبِي

فالعمرُ كالكاسِ والأيَّامُ تمْزجُه والشَّيبُ فيه في مَوضِعِ الحَبَبِ[10]

أقول إذْ فاضَ منِّي فيضُ فضَّتِهِ : يا وحْشَةً لشبَابٍ ذاهبِ الذَّهَبِ !

وقول الخالدي :

لقد فرحْت بما عايَنْتُ من عَدمٍ خَوفَ القبيحَيْنِ من كبْرٍ ومن بَطَرِ

وربَّما ابْتَهَجَ الأعْمَى بحَالَتِهِ لأنَّهُ قَد نجا من طِيرَةِ العَوَرِ

ولستُ أبْكي على شيءٍ مُنِيتُ به يبكي على الشَّيبِ من يأسَى على العُمر

وما بَكَيتُ زماني وهْوَ يُصْعِدني فكيفَ أشْكُرهُ في حالِ مُنْحَدَرِ ؟

وقال الشيخ ابن الفارض، رحمه اللّه :

أهْوَى رشًا هَواهُ لِلرُّوحِ غِذَا ما أحْسَنَ فِعْلَهُ ولو كان أذَى

لم أنْسَ وقَدْ قُلْتُ له الوصْلُ متى مَولايَ إذا مِتُّ أسًى قال إذَا

وقال أبو نواس في مجونه، عفا اللّه عنَّا وعنه !

وقائلٍ : هل تُريدُ الحجَّ قُلتُ له: نَعَم إذا فنيَتْ لذَّاتُ بَغْدَاذِ

فكيفَ بالحَجِّ لي ما دُمْتُ مُنْغَمِسًا في بيتِ قوَّادةٍ أو بيتِ نبَّاذِ ؟

ومثله قول الآخر :

ألم تَرني وبشَّارًا حَجَجْنَا وكان الحَجُّ من خَيْرِ التِّجَارَهْ ؟

خرجْنا طالبَيْ سفَرٍ بَعيدٍ فمالَ بنا الطَّريقُ الى زُرَارَهْ

فآبَ الناسُ قد حجُّوا وبرُّوا وأبْنا مُوقَرَيْنِ من الخَسَارَهْ !

ونحوه ما يُحكى أنَّ موسى بن داوود الهاشمي عزم على الحجِّ، فقال لأبي دُلامة : أحْجُجْ معي ولك عشرة آلاف درهم ! فقال له : هاتها ! فدفعها إليه فقبضها وهرب إلى

---

10) في د : «يمزجه» والشطر الثاني كذلك في المخطوطات كلها، إلا أن بها مش أ :«لعل الصواب : والشيب يوضع فيه موضع الحبب».

السَّواد، فجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يجده وخشي فوت الحجّ فخرج . فلمَّا شارف القادسيَّة إذا هو بأبي دُلامة خارجا من قرية إلى أخرى سكران . فأمر به فأخذوه وقُيّد وطُرح في محمل بين يديه . فلمَّا سار غير بعيد أقبل على موسى وقال :

يأيّها النَّاسُ قولوا أجْمَعُونَ معًا: صلَّى الالَـهُ على موسى بن داوُودِ !
كأنَّ ديباجَتيْ خدَّيْه من ذهبٍ إذا بَدالَكَ في أثْوابِهِ السُّودِ
إنّي أعوذُ بداوودٍ وأعْظِمُهُ من أن أكَلَّفَ حجًّا يا ابن داوودِ
خُبِّرتُ أنَّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ من الشَّرابِ وما شُربي بتَصْريدِ
واللَّهِ ما فِيَّ من أجْرٍ فتطْلُبَه ولا الثَّناءُ على ديني بمحْمُودِ !

فقال موسى : ألقوه عن المحمل، لعنه اللَّه ! فألقي وعاد إلى قصفه بالسَّواد حتَّى أنفق المال .

وقد قلت أنا قصيدة أكثرها يتعلَّق بالباب، فأثبتّها هنا، وهي :

هامَ الفُؤادُ بسُعْدى بعدما نزحَتْ وأصْبَحَ الصبر عنها[11] وهْوَ مجذوذُ
والعينُ منها سوابِقُ الدُّمُوعِ على ميْدانِ خدٍّ رديَّاتٌ مَهابيذُ[12]
وأصبحَت في الحَشَى من بينِها حُرَقٌ يَصْلَى بها بل جِراحاتٌ مغَاذيذُ[13]
كأنَّما القَلبُ إذ بانَتْ ركائِبُها من الجَوَى صُلُبٌ في النَّارِ محْنوذُ
وكُنت قِدمًا بها في روضَةٍ أنُفٍ من الودادِ ثَراها الدَّهرَ مرذوذُ[14]
أيَّام وردُ المُنى عذْبٌ مَشَاربُه وغُصنُ الودِّ مَهْصورٌ ومجْبوذُ[15]
وإذْ غَفَتْ مُقلُ الأحْداثِ وابْتَسَمَت سنُّ المُنى ولنا في الدَّهْر تمْليذُ[16]

---

11) في هامش المخطوطات : «في نسخة : القلب منها».

ملاحظة : في د طرر متعددة نثبتها فيما يلي (من رقم 12 إلى 29) وقد أدمجها ناسخ ب في صلب الكتاب.

12) الرديّ : فعيل من ردَى الفرسُ يردي، إذا جرى.
والمَهابِيذ : جمع مُهْبِذ، من الهَبْذ وهو الاسراع في العَدْو.
والرَّديان، والهبْذ، والميدان ترشيحات للاستعارة في السوابق وفي الدموع.

13) المغاذيذ : جمع مغذ . يقال غَذَّ الجرحُ يَغِذُّ إذا سال بما فيه.

14) المرذوذ : المسقي رذاذًا، وهو المطر الساكن الدائم هنا.

15) في د «مقصور» بدل «مهصور».

16) الغَفْو والاغفاء : النعاس.
والتَّمْليذ : مبالغة من الملذ، وهو في عدو الفرس أن يمدّ ضبعيه حتى لا يجد مزيدًا، وجُعل هنا كناية عن الاتساع في الأمر.

فلم يدُم والغواني عَهْدُ وصْلَتِها ... آلٌ : من اغْترَّ منه فهْو موْقوذُ[17]

لو أنَّها أحْكَمَت حبْلَ الوصالِ مَسا ... لم يأتِهِ الصُّبحُ إلاَّ وهْوَ مهْذوذُ

وما يُمنِّينَ من جدْوَى ومن صِلةٍ ... خضراءُ في الحزْنِ مرْعاها معاويذُ[18]

إنَّ الهوى لُجَّةٌ سهلٌ مَشارِعُها ... لكن يعِزُّ بها ناجٍ ومنْقُوذُ

وما الفتى غير خِلْوٍ عن عمايَتِه ... ذو هِمَّةٍ ذيلُهُ للْجِدِ مشْمُوذُ[19]

عاطٍ كُؤوسَ رشادٍ لا كُؤوسَ هَوًى ... فالغَيُّ مُطَّرحٌ والرُّشدُ مأخُوذُ

سامٍ إلى كلِّ ما يُعْلِي مُزاولَهُ ... كما سما عن حضيضِ الأرض خِنْذيذُ[20]

فالهُونُ موردُه مُرٌّ مَذاقَتُهُ ... وإنْ حَلا وأُجاجُ العِزِّ مَلْذوذُ

وما المُنى بالهوى يجْرينَ بل بمَنى ... ما أحدٌ كلُّ ما يرجوه مفْلوذُ[21]

والدَّهرُ مخْلوجةٌ أحْداثُهُ تركَتْ ... فكْرَ اللَّبيبِ لديها وهوَ مبذوذُ[22]

دُجى حوالِكُ لا يجْلو مغالِقَها ... إلاَّ فطينٌ ذكيُّ القلب خِنْذيذُ[23]

وللمُفكِّرِ آياتٌ تُبَصِّرُهُ ... لا يَقْطَعُ السَّيفُ إلاَّ وهْوَ مشْحوذُ

والنَّاسُ في الحُبِّ أخْيافٌ وأكثرهم ... وإن بَدا منهُمُ ودٌّ ملاويذُ[24]

بورٌ مناكيسُ لا يزْكو مُعاشرهُم ... جُربٌ يُعادونَ عرًّا كلَّما حُوذُوا

فلا مَنوحٌ نوالاً إن هُمُ سُئِلوا ... في الجهلِ عندهُمُ التَّحقيقُ منبوذُ

سَحْبانُ إن لم يحُزْ وفْرَ الغِنى حصِرٌ ... وباقلٌ عندهم إن جدَّ خِنْذيذُ[25]

---

17) الآل : السَّراب.
والموقوذ : المَصروع.

18) المَعاويذ : جمع مُعَوَّذ، وهو النبت في مكان لا تناله الماشية.
وفي الهامش : «في نسخة : مثواها، يعني بدل مرعاها».

19) المشموذ : المرفوع . يُقال شمذ إزاره إذا رفعه.

20) الخنذيذ هنا : رأس الجبل المشرف، والحضيض ضده.

21) المَنَى الثاني - بالفتح - وهو القدر.
والفَلْذُ : العطاء بلا تأخير ولا عدة.

22) المخلوجة : المضطربة غير المستقيمة، وتقدم في الأمثال في الهمزة.

23) الخنذيذ هنا : الحليم العالم.

24) أخياف : أصناف.
والملاويذ : جمع ملوذ، وهو الذي يقول ولا يفعل ولا يصح وده.

25) جدّ الرجل فهو مجدود.
والخنذيذ هنا : الخطيب البليغ، وضده الحَصِر.

فلا تثِقْ إن هُمُ ذمُّوا وإن مَدحوا :   فهم عن الرُّشْدِ عُمْيٌ أوْممالِيذُ[26]

والصِّدقُ أشرفُ خِيمٍ أنت لابسُه   وخيرُ ما يحْتلي الصِّيد المشاويذُ[27]

وخيرُ ذُخْرِ الفتى دَهْرًا قناعَتُهُ   فَذاكَ أوثَقُ ما عضَّ النَّواجِيذُ

وعِفَّةٌ ونَدًى يحْمي مَسَارِحَهُ   أن تَتحاماهُ ألسُنٌ ملاجِيذُ[28]

والمرءُ يمضي ويبقى بعْدهُ نَبأٌ   مدحٌ يُخلَّدُ أو نيلٌ منافيذُ

والموتُ حتمٌ لديهِ الكُلُّ مُرتهنٌ   إذا أتى الحتْمُ لمْ تُجْدِ التَّعاويذُ[29]

وقلت أيضا :

تحلَّ بسبْطِ الخُلقِ واحتمِلِ الأذى   من النَّاس إن عاشَرتهُم ودعِ البَذا

وكُن مُغْضيًا عمَّا يريبُكَ باذلاً   نَداكَ ولا تَغْلُلْ يَديْكَ فتُنْبَذا

فإنَّ بني الدُّنيا بنو الحاجِ ما اجْتنوا   من العودِ إلاَّ مُثْمرًا غصْنُه غَذا

وإنِّي رأيت الحوضَ يُغْشى إذا صفَا   ويُقْلَى إذا كان المشُوبَ أوِ الوذَا

وللنَّحْلِ فضْلاً دونَ كلِّ ذُبَابَةٍ   وللمسْكِ والكافورِ عن كلِّ ذي شَذا

على أنَّ هذا الجيلَ آسادُ بيشَةٍ   ملاذُكَ منهُم للحُسامِ مُشَحَّذَا

متى تعْتلِقْ أظْفارهُم كاهِلَ امْرِىءٍ   أصاروه رُهْنًا للبَلايَا ولِلأذَا

وإن يعْلقوا قلبًا أعاروهُ حيْرةً   وإن يركَبوا ظهْرًا تفتَّا أو ارتَذَا

فمن يستَطعْ عنهُم نوًى فلْيُجافِهم   بعادًا ومن ألْفَى مَعاذًا تَعوَّذا

فإنَّ البحارَ الخُضْرَ تُحْمى ظُهورُها   زُخورًا وتعلوها مع الرَّكْدةِ الشَّذا

وتعْدو على الشَّاء الذِّيابُ بلا حِمى   وأكْبادها من مَرْبَضِ اللَّيثِ تُهْتذا

وما ذلَّ إلاَّ الفقْعُ يُوطا بقَرقَرٍ   وإلاَّ حمارُ الحيِّ إن رُمْتَهُ خَذَا

---

26) المماليذ : جمع مملذ، من الملذ وهو الكذب.

27) الخِيـم : الطبع.
والصيد : الملوك والسادات (كذا)، جمع أصيد.
وكذا المشاويذ.

28) الملاجيذ : جمع ملجذ، من اللجذ وهو الأكل.
وأطلقت المسارح على العِرض.

29) التعاويذ : الرُّقَى.
بعد هذه الطرر طرة أخرى يظهر أنها بخط محمد ابن زاكور الفاسي، نصها :
«الحمد لله. ما علقه هذا الناسخ ـ عفا الله عنه ـ على طرر هذه القصيدة موهمًا بذلك أنها ليست من الأصل أو كذلك رسمها الناظم ـ رضي الله عنه ـ في المواضع التي رسمهاهو.

وذو الهمَّة العَلْياءِ مَن ليسَ جاعلاً مقادتَهُ للجاهلِ النَّذلِ مأخَذا
ولا تاركَ[30] الأقْذارِ تعْلو ذُيولَهُ إليهِ ولا في عِرْضِهِ النَّاسَ لُجَّذا

ولنكتف بهذا المقدار . من هذا المضمار، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل !

30) في د : «ولا تاركو...»

بَـــابُ الـــرَّاءِ

أرَاكَ بَشَرٌ، مَا أحَارَ مِشْفَرٌ .

الرُّؤيَـةُ : الابْصَارُ . تقول : رأيْتُ الشيءَ أراهُ . وأصله أرْءَاهُ، فألقيت حركة الهمزة على الرَّاء وحُذفتِ الهمزة . والعرب يلتزمون النقل في هذه الكلمة إلاَّ تَـيْم اللات . قال شاعرهم :

أري عينيَّ ما لم تَرءَياهُ : كِلانـا عالـمٌ بالتُّرَّهـاتِ[1]

والبَشَرُ ـ بفتحتيْن ـ: الانسان، وظاهر الجلد كالبَشَرَة، وهو المراد . والحَوْرُ : الرُّجُوعُ، وأحَارَهُ : رَدَّهُ، وتقول : طحنتْ فما أحارتْ شيئًا، أي فما ردَّتْ شيئًا من الدقيق . والمِشْفَرُ ـ بوزن مِنْبَر، ويُفتح ـ للبعير بمنزلة الشَّفة للانسان .

ومعنى المثل أن رؤية الظاهر تغنيك عن رؤية الباطن . وأصله في البعير، وأنَّك إذا رأيت بشرته وجسمه دلَّك ما به من سِمَن أو هُزَال، على ما أحار مشفره، أيْ على كيفيَّة أكله .

أريهَا السُّهَى وتُرِينِي القَمَرَ !

الرُّؤْيَةُ مرَّت، والسُّهَى ـ بالضمّ والقصر ـ نجم خفيّ في بنات نعش الصغرى . والقَمَرُ معروف . وجمع بينه وبين السُّهَى لما بين وصفيْهما من المقابلة بالتَّضادّ، لأنَّ القمر في غاية الظهور، والسُّهَى في غاية الخفاء . فضُرب بهما المثل في الأمر الجليّ والخفيّ .

وهذا المثل يصحّ لك أن تضربه في كلّ من ترمز له وتشير وهو يفصح، أو في مَن تنحو به منحى اللطَّائف والدّقائق وهو يتبع الظواهر، أو مَن تاتيه بالأمر المستغرب العزيز وياتيك بالأمر المبتذل المطروق، ونحو ذلك، واللّه أعلم !

---

1) البيت لسراقة البارقي، وقد رواه الأخفش : «...ما لم ترياه» على التخفيف الشائع عن العرب في هذا الحرف . انظر لسان العرب في مادة رأى.

رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ من مَشْهَدِ الغُلاَمِ .

الرَّأيُ : الاعتقاد، والجمع آراءٌ ورُئىً . والشَّيْخُ والغُلاَمُ معروفان .

وهذا الكلام يُحكى عن عليّ، كرَّم اللَّه وجهه، وهو تفضيل للسنّ، في ملاقاة الخطوب، على الشباب.

وللعرب في هذا مذهبان : تارة يمتدحون بالسنّ والتجريب، وتارة بالشباب والقوّة .

فمن الأوّل كلام علي المذكور، وقول الشاعر وهو زهير بن مسعود :

فلم أرقهِ إن ينجُ منها، وإنيمُت ... فَطَعْنَةُ لاغُسٍّ ولا بمُغمَّرِ

الغُسُّ : اللَّئِيم، والمُغَمَّر : الذي لا تجريب له ولا سنّ . وقول أبي الطَّيّب :

سأطلُب حقّي بالقنا ومشائِخٍ ... كأنَّهم من طول ما التثَموا مُردُ

ومن ذلك قول حارثة بن سراقة الكندي، حين منعوا الزكاة أيَّام الرِّدَّة : يمنعها شيخ بخدَّيه الشَّيْب، لا يحذر الرَّيْب . ومن الثَّاني قول عامر بن الطفيل يخاطب النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : واللَّه لأمْلأنَّها عليك خيلاً جُردًا ورجالاً مُردًا ! وذلك لحالتيْن مختلفتيْن : فإنَّهم إذا أرادوا الحزم وحسن الرأي والتَّدبير والتَّأنّي والثَّبات إذا اشتدَّت الخطوب، فالشيوخ أولى ؛ وإذا أرادوا الجلادة والقوّة، فالشَّباب أولى، مع أنَّ كلاًّ من الأمريْن قد يوجد في كلّ من الطرفين : فإنَّه، كما لا خير في رأي الشَّاب الغمر الجاهل، لا خير في رأي الشيخ الخرف . ومن ثمَّ قيل في الحكمة : إيَّاك ومشاورة شابّ معجب برأيه، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه !

وأمَّا قول قَطَرِيّ بن الفُجاءة :

ولَقَدْ أرانِيَ للرِّماحِ دريئةً ... مِن عَن يمينيَ مرَّةً وأمامي

حتى خَضَبْت بما تحدَّر من دمي ... أحْناءَ سَرجِي أو عِنانَ لجَامِي

ثمَّ انصرفْتُ وقد أصَبْتُ ولم أُصَبْ ... جَذِعَ البصيرةِ قارحَ الاقْدامِ

فقد فُسِّر بمعنيْن : أحدهما ـ وهو الظَّاهر من العبارة ـ أنَّه يقول : انصرفتُ وقد أصبتُ من أعدائي ما أحبّ من القتل والفتك والنكاية، ولم أُصَبْ أنا منهم، بل انصرفتُ سالمًا وأنا جذع البصيرة، أي قويّها، كامل المريرة، لم يضعف عزمي ولا وهَنَتْ بنيتي بما أصاب

جسمي من الجراحة، وأنا أيضا قَارِح الاقْدام - أي كامله شديده -، لأنَّ القَارِح من الخيل الذي تناهت سنّه وكملت قوّته .

والثّاني - هو الخفيّ - أنّه يقول : أصبتُ من الأعداء وانصرفتُ عنهم وأنا لم أُصب، أي لم أُوجد جذع البصيرة قارح الاقدام، بل وُجدتُ قارح البصيرة، جذع الاقدام ؛ لأنَّ بصيرة القارح المجرّب هي التي لا تضطرب ولا تستحيل، وبصيرة الجَذَع - أي الصغير - لا تثبت ولا تدوم، وإقدام الجذَع قويّ ماض، لأنّه لا ينثني ولا يردعه شيء .

واستظهر هذا التفسير الثاني، الذي امتدح فيه بالسنّ على الأوّل الجَلِيّ، أنّه يستحيل أن يقول : انصرفتُ ولم أُصَب من أعدائي بشيء . وكيف وهو يقول قبله : حتّى خَضَبْتُ بِما تَحَدَّرَ من دَمِي : أحْنَاءَ سَرجِي ؟ فهذا اعتراف بأنّه أُصيب بالجراحة . فكيف ينقض كلامه ؟

وأجيب من قِبَل أهل المذهب الأوّل بأنّه أراد بقوله : لَمْ أُصَبْ، لم أُقْتَلْ . يقال : فلان أُصيب، أي قُتل، كما قال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في أمرائه : **أمِيرُكُمْ زَيْدٌ : فإنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرٌ، فَإنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللّهِ بنُ رَوَاحَةَ** . فقُتلوا كلّهم .

وقال أصحاب الرأي الثّاني : كيف يحسن منه أن يقول : لم أُقتل، وهو ينشدهم الشعر، والمصيبة تطلق على أعمّ من القتل ؟ قال تعالى : **الّذينَ أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنّا لِلّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ** .

قلت : وهذا الكلام ضعيف، إذ لا مانع من أن يقول - افتخارًا - : فتلتُهم وأهلكتهم ولم يقتلوني.وأمّا عُموم المصيبة فغير مانع من التّخصيص بقرينة المقام وسياق الكلام، مع أن استنكافه من يكون إقدامُه إقدام قارح ورضاه بإقدام الجذع مدخول، فإنّ العرب ما زالت تفضّل القارح على الجذع، كما قال زهير :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عَلَيْها تمامُ السِّنِّ منه والذَّكَاءُ

ولذلك قيل في المثل : **مُذَكِّيَةٌ تُقَاسُ بالجِذَاعِ** . وقيل أيضا : **جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ**، وقد تقدّما في هذا الكتاب معًا .

وقول زهير بن مسعود السابق : فَلَمْ أرْقِهِ إنْ يَنْجُ منها، يريد الطعنة التي طعن .

وقَـبْـلَ البيت :

عَـشِـيَّـةَ غادَرْت الجَـليسَ كأنَّما على النَّحْرِ منه لونُ بُـردٍ مُحبَّرِ

جَـمعْـتُ له كـَفـّي بِـلَـدْنٍ يزينـُه سنانٌ كـَمِـصْـبـَاحِ الدُّجى المُـتَـسعِّرِ

فَـلَـمْ أرْقـِهِ (البيت)

وإنَّما قال هذا لأنَّ العرب كانت تزعم أنَّ المطعون يبرأ إذا نفث عليه الطَّاعن ورقاه . قال عنترة :

فإنْ يَـبْـرأْ فَـلَم أنفُـثْ عليهِ وإن يَـفْـقَـدْ فحُـقَّ له الفُـقُودُ

وقال عمرو بن ثعلب الشَّيباني :

فأتْـبعْـتُـه طَـعْـنَةً مُـرَّةً يَسِيل على النَّحرِ منها صبيب

فإن ينجُ منها فلم أرْقـِه وإن قَـتَـلَتْـهُ فجُـرمٌ رعيبُ

تَـرى الفِـتْـيانَ كالنَّـخْـل، وما يُـدريكَ ما الدَّخْـل ؟

الفِـتْـيانُ جمع فتـًى . ودخْـلُ الرجل ـ بالفتح والكسر ـ: نـيـَّتـُهُ ومذهبه من جميع أمره . وكذا دَخِـيلُـهُ ودُخْـلُـلُـهُ ودُخَـيْـلاَؤُهُ .

ومعنى المثل أنـَّك قد ترى الرجال حسان الظواهر والزيّ، ولا تعرف حقيقة أمرهم وحال باطنهم . يُـضرب لمن له منظر حسن ولا خير عنده .

قيل : وأوَّل من نطقَ به غـَنْـمَـةَ ـ أو عَـثْـمَـةَ ـ بنت مطرود البجلية، وكانت امرأة عاقلة ذات رأي مسموع في قومها . وكانت لها أخت يقال لها خَـوْد، ذات جمال وكمال . فقدم عليهم ذات مرَّة خمسة إخوة من غامد ـ بطن من الأزد ـ يخطبون أختها خَـوْداً، وهم في زيّ مونق، لابسو الحلل اليمانيـَة على النجائب المهريَّة والرحال العلافية مكسوَّة بالثياب العبقريَّة . فأنزلهم أبوها وأكرمهم . ثمَّ غدوا عليه خاطبين معهم الشعثاء كاهنة لهم . فقال لهم مطرود : أقيموا حتـَّى نرى رأينا . ثمَّ دخل على بنته فقال : ما ترين ؟ فقالت : أنكحني على قدري، ولا تُـشْـطِـطْ في مهري : فإن تخط أحلامهم، لا تخط أحسابهم . لعلـّي أصيب ولداً، وأكثر عدداً ! فخرج إليهم وقال لهم : اخبروني عن أفضلكم ؟ فقالت له الشَّعثاء : اسمعْ أخبرْكَ عنهم ! هم إخوة، كلـّهم إسوة . أمَّا الكبير فعمرو، بحر غمر،

سيّد صقر، يقصر دونه الفخر ؛ وأمّا الذي يليه فعاصم، صلد صارم، أبيّ حازم، جيشه غانم، وجاره سالم ؛ وأمّا الذي يليه فوثّاب، ليث غاب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب ؛ وأمّا الذي يليه فمُدْرِك، بَذُول لما يملك، عزوف عمّا يترك، يغني ويهلك ؛ وأمّا الذي يليه فجندل، مقلّ لما يحمل، يعطي ويبذل، لا يخيم ولا ينكل . فأبلغها أبوها ذلك، فشاورت أختها غَنَمَة فيهم، فقالت : تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ، ومَا يُدرِيكَ ما الدَّخْلُ ؟ اسمعي كلمة ناصحة : إنّ شر الغريبَة يعلن، وخيرها يدفن، فانكحي في القرباء، ولا تغررك أجسام الغرباء ! فلم تقبل منها، وأرسلت إلى أبيها : أنكحني مدركًا . فأنكحها منه على مائة بعير برعاتها . فحملها مدرك، فلم يلبث معها إلاّ قليلا حتّى أغار على غامد فوارس من بني كنانة، فاقتتلوا ساعة ثمّ انكشف زوجها وقومه فسباها بنو مالك ابن كنانة فيمن سبوا، وجعلت تبكي . فقيل لها : وما يُبكيك ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قبّحه اللّه ! قالوا : لقد كان جميلا . قالت : قبّح اللّه جمالاً لا منعة معه ! إنّما أبكي على عصياني أختي . وأخبرتهم خبرها . فقال لها رجل منهم يقال له أبو نواس - وكان أسود أفوه مضطرب الخلق -: أترضين بي على أن أمنعك من ذُؤْبان العرب ؟ فقالت لأصحابه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم ! إنّه، مع ما ترين، ليمنع الخليلة، وينقب القبيلة . قالت : هذا أجمل جمالا، وأكمل كمالا، قد رضيته فزوّجوه إيّاها . وقال الشاعر :

تَرى الفتْيانَ كالنَّخْلِ ... ومَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟
وكُلٌّ في الهَوى لَيْثٌ ... ومَا في نَابِهِ فَسْلُ
ولَيسَ الشَّأْنُ في الوَصْلِ ... ولَكِنْ أن يُرَى الفَضْلُ !

وقالت الأخرى :

وقالتْ قوْلَةً أخْتِي ... وحجوا لَهَا عَقْلُ[1]
تَرى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ ... ومَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟

أرَى القَدَرَ، سَابِقَ الحَذَرَ

هذا مثل ظاهر المعنى، وهو من كلام جذيمة الأبرش، وسبق في شرح قصّته مع الزّبّاء.

---

1) هكذا في المخطوطات، والصواب كما في لسان العرب (مادة حجا) : وحَجْواها لـها عَقْلُ

أرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرَى .

يُضرب عند التردّد في الأمر . وأصله أنّ الرجل مثلا إذا قام ليذهب إلى جهة، ثمّ يبدو [له] ويتحيّر، فتارة يريد الذهاب فيقدم، وتارة لا يريد فيؤخّر . وهذا ظاهر في المقصود، لكنّ قولهم : يُقَدِّمُ رِجْلاً ويُؤَخِّرُ أُخْرَى، يحتمل، باعتبار دلالة عبارته في أصلها، أربعة أمور :

أحدها أن يكون المعنى أنّه يقف في مكانه ويحرّك إحدى رجليْه : فتارة يقدّمها للإرادة الذهاب، وتارة يؤخّرها رجوعًا عن الذهاب، حتّى توازي أختها كما كانت أوّلا . وعلى هذا، فلفظ الأخرى فيه تجوّز بأن جعل الشخص الواحد متعدّدا باعتبار حالتيْه، ولفظ التّأخير أيضا لم يصحّ فيه إلاّ بالنسبة .

الثّاني أن يكون المعنى أنّه يقدّم رجلا للإرادة الذهاب، ثمّ يبدو له أن لا يذهب فيبقى واقفا على تلك الحال، إحدى رجليْه متقدّمة والأخرى متأخّرة عنها . وعلى هذا ففي لفظ التأخير تجوز، إذ معناه إبقاؤها متأخّرة، نحو : **يا أيُّهَا الّذينَ آمَنُوا آمِنُوا** على وجه .

الثالث أن يكون المعنى أنّه يقدّم إحدى رجليْه إلى القدّام، ويؤخّر الأخرى إلى الوراء . وهذا ظاهر اللفظ، ولكن لا وجه له ولا وجود من خارج .

الرابع أن يكون المعنى أنّه يقدّم إحدى رجليْه وتبقى الأخرى متأخّرة، ثمّ يقدّم هذه وتبقى الأخرى، وهكذا . وهذا أيضا ظاهر من اللفظ، لكن لا يصحّ أيضا هنا، لأنّه حالة الماشي لا الواقف المتردّد . فقد علمت أنّ في العبارة عند تفتيشها تجوزا وخفاءً مع وضوح المراد .

أرَاكَ الكَوَاكِبَ بالنّهَارِ .

الكَوَاكِبُ : النُّجُومُ . وهي لا تُرى عادة بالنّهار، لغلبة ضوء الشمس عليها . فضُرب [المثل][2] برؤيتها نهارا عند اشتداد الأمر وملاقاة ما لم يُعتد ويُظنّ، أو غلبة الهمّ والحزن .

وأصل ذلك أنّ الحرب إذا اشتدّت ارتفع النقع وتراكم في الجوّ وسدّ الافق واستحدث الظلام، فربّما سترضوء الشمس إذا كانت [في][2] أحد الجانبيْن، فتظهر النجوم من الجانب البعيد عنها .

وزعموا أنّ النجوم ظهرت يوم حليمة، فضُرب ذلك مثلا . قال طرفة بن العبد :

إن تُنوِّلْهُ فقد تمْنَعُهُ وتُريهِ النَّجمَ يجري في الظُّهُرْ

وقال الأعشى :

رجعتَ بما رُمْتَ مستحْسرًا ترى للكواكِب ظُهرًا ومِيضَا

وللفرزدق :

لَعَمري لقد سار ابنُ شَيْبة سيرةً أرتْكَ نجومَ الليلِ واضحةً تجري

فأصبح قد صُبَّت على ظهْر خالدٍ شآبيبُ لم يُرسلْن من سَبَلِ القطْرِ

وهذا المثل باق اليوم في ألسنة العوامّ يقولون : أرانِي فُلانٌ النُّجومَ في السَّماءِ - أو النُّجومَ في النَّهارِ - إذا أراه شدّة ومكرا، وأناله من المكروه ما لم يعهد به ذكرًا .

لأُرِيَنَّكَ لَمْحًا بَاصِرًا !

ويقال أيضا : دونَ ذلك لمْحُ باصِرٍ . يُضرب في التهديد والايعاد . واللَّمْحُ : النَّظر . فقيل : المعنى نظر مُفْزِع، وقيل هو النظر بتحديق شديد . وقيل : المعنى لأُرِيَنَّكَ نَظَرًا صَادِقًا !

وقال البكري : معنى المثل : لأُرِيَنَّكَ من إيعَادِي لَكَ أمْرًا واضِحًا جَلِيًّا . وبَاصِرٍ في تأويل عِيشَةٍ راضية، أي مرضيَّة، وماءٍ دَافق أي مَدفوق . وكذلك سِرٌّ كَاتِم . انتهى .

وهو ظاهر، لكن إذا تُؤوِّل البَاصِر فلا بدّ أن يُتأوَّل اللَّمْحُ أيضا . وكأنّه لذلك فسّر بالأمر الجليّ الواضح، ولا إشكال أنّه يُبصر .

الرَّأْيُ مَعَ الجَمَاعَةِ .

هذا أيضا من كلام جذيمة في قصّته السابقة، كما مرّ، وهو ظاهر .

---

2) ساقط من د

أرى المَوتَ في الغَرائِرِ السُّودِ .

الغَرائِرُ جمع غِرارَة - بكسر الغين - وهي الجوالق .والسُّود، جمع سَوْداء .
وهذا الكلام للزَّبَّاء، حين رأت إبل قَصير وعمرو مُوقَرةً بالرجال في الجوالق .
وتقدَّمت القصَّة مشروحة، فلتُراجع ! وأطْلقَتِ الموتَ على سببه الفاعليّ، وهم الرجال القاتلون، مجازًا .

أرنِيهَا نَمِرَة، أُرِكَهَا مَطِرَة .

يقال : نَمِرَ السَّحَابُ - بالكسر - يَنْمَرُ، كَفَرِحَ يَفْرَحُ، إذا صار أرقط، على لون النَّمِر، وقولهم نَمِرَة وصفٌ للسَّحابة . وقياسه نَمْرَاء، والمذكَّر أنْمَر - كَحمْرَاء وأحْمَر -، كما قالوا للفرس أنْمَر إذا صار على لون النَّمر . ولكنَّهم جاؤوا به على فَعِل، نحو قوله تعالى : فَأَخْرَجْنَا منْهُ خَضِرًا، أي أخْضَرَ. والمَطَرُ : ماء السَّحاب ؛ ومَطَرَتْهم السَّحاب : أصابتهم بمطر ؛ ويوم مُمْطِر ومَطِر - بوزن كَتِف -: ذو مَطَر .
ومعنى المثل : تَكفَّلْ لِي بوجود السَّحاب الأرْقَط، وأنا أتكفَّلُ لك بالمطر حينئذ .
يُضرب لما يُتيقَّن وقوعه إذا ظهرت مخائله ولاحت أمارته .

رُبَّ أخٍ لَم تَلِدْهُ أُمُّكِ !

رُبَّ حرفٌ جارّ يدلّ على الكثرة والقلّة معًا، أو على إحداهما فقطْ أو أكثر، أو لا يدلّ على شيء منهما إلاَّ بالقرائن، خلاف شهير في النحو لا نطيل بذكره ولا بشواهده لشهرتها، والأخ معروف، وفيه لغات معروفة .
وأصل المثل أنَّ لقمان بن عاد رأى مع امرأة رجلا يلاعبها وتلاعبه، خاليَيْن ومعهما صبيّ صغير يبكي، وهما مقبلان على شأنهما لا يكترثان به . فقال لها : من الرجل ؟ قالت : أخي .
فقال حينئذ : رُبَّ أخٍ لَمْ تَلِدهُ أمُّكِ !، تكذيبًا لها في دعواها . يقول : إنَّه أخوك في الصداقة والمودَّة، لا بالقرابة والنسب.
وقريب من هذه الحكاية ما حُكي عن بعضهم أنَّه دخل عليه [رجل][3] نصرانيّ ومعه

3) ساقط من د.

فتى وسيم من أهل ملّته، فقال له : من هذا الفتى ؟ فقال : بعض إخواني . فأنشد حينئذ:

دعتْني أخاها أمُّ عمْرٍو ولم أكُن أخاها ولم أرضَعْ لها بلبانِ
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمْر ما لا يصنَعُ الأخوانِ

وقالوا أيضا في معنى هذا المثل : رُبَّ بعيدٍ أقْربُ من قريبٍ . وقالوا : القريبُ من قرُبَ نفْعُهُ . وقالوا : القريبُ من تقرَّبَ لا مَن تَنسَّبَ . وقال حبيب :

ولقد سبرتُ[4] النَّاس ثمَّ خبرتُهم وبَلوتُ ما وصَفُوا من الأسْبابِ
فإذا القرابةُ لا تُقرِّبُ قاطعًا وإذا المودَّةُ أقْربُ الانْسابِ

وقال ابن هرمة في نحو هذا :

هشٌّ إذا نزلَ الوفود ببابِهِ سهلُ الحجابِ مُؤدَّبُ الخُدَّامِ
فإذا رأيت شقيقَهُ وصديقهُ لم تدرِ أيُّهما أخُو الأرْحامِ

غيره :

ذو الودِّ منّي وذو القُربى بمنزلةٍ وإخْوتي أُسْوةٌ عنْدي لخلاّني
أحِبَّةٌ جاورتْ آدابُهُم أدبِي فهُم وإن فُرّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدتْ أجْسامُنا بعِراقٍ أو خُراسانِ

وقال حبيب أيضا :

أو نفترقْ نسبًا يُؤلِّفْ بيننا أدبٌ أقَمْناهُ مقامَ الوالِدِ

وتقدَّم هذا وما يشبهه، وسيأتي أيضا منه إن شاء اللّه تعالى .

رُبَّ أكْلَةٍ مَنَعَتْ أكَلاَتٍ .

الأكْلُ معروف ؛ والأكْلَةُ ـ بالفتح ـ: المرَّة منه، وبالضمّ : شيء يؤكل وما يجعله الآكل في فيه .

والمعنى أنَّ الانسان ربَّما أكل شيئا فأدّاه إلى ترك الأكل مدَّة بهيضة وتخمة أو مرض مثلا . قال ابن هرمة :

4) حرفت في ب فكتبت : «بسرت».

وربَّتَ أكْلةٍ مَنَـعَتَ أخاها بلــذَّةِ ساعةٍ أكَلاتِ دهـْــرِ
وكم من طالبٍ يسْعَى لِشَيءٍ وفيه هَلاكُهُ لو كانَ يدري !

ويُضرب في كلّ من اقتحم شيئا يفوت عليه بسببه ما هو أكثر منه أو أشرف، كمن رضي من عرض الدنيا الفاني بما فوّت عليه من الآخرة ونعيمها المقيم، عياذاً باللّه !

رُبَّ رَمْـيَـةٍ من غَـيْـرِ رامٍ .

الرَّمْيَـةُ فَـعْـلَـةٌ من الرَّمْي[5]. يقال : رمَـى يـرْمِـي رَمْـيًا ورَمْـيَـةً، ورمى السَّهم عن القوس وعلى القوس أيضا، رَمْـيًا ورِمَـايَـةً - بالكسر -. ولا تقلْ : رميت بالقوس . ورَامَـاه مُراماة ورِمَـاءً وتَـرْمَـاءً ؛ وارتمى القوم وتَـرَامَـوْا .

ومعنى المثل أنَّ الغرض قد يصيبه من ليس من أهل الرماية . فيُضرب عندما يتَّفـق الشيء لمن ليس من شأنه أن يصدر منه . وقد يُحذف « رُبَّ » فيقال : رَمْـيَـةٌ من غَـيْـرِ رَامٍ .

ويُذكر أنَّ المثل لحكيم بن عبد يغوث المنقري، وكان من أرمى النَّاس . فحلف يومًا ليعقرنَّ الصيد حتمًا . فخرج بقوسه فرمى فلم يَـعْـقِـرْ شيئا فبات ليله بأسوإ حال، وفعل في اليوم الثاني كذلك فلم يعقر شيئا، فلمَّا أصبح قال لقومه : ما أنتم صانعون ؟ فإني قاتل اليوم نفسي إن لم أعقر مهاة ! فقال له ابنه : يا أبت، احملني معك أرفدك ! فانطلقا، فإذا هما بمهاة، فرماها فأخطأها . ثمَّ تعرَّضت له أخرى فقال له ابنه : يا أبت، ناولني القوس ! فغضب حكيم وهمَّ أن يعلوه بها . فقال له ابنه : أحمد بحمدك، فإنَّ سهمي سهمك ! فناوله القوس فرماها الابن فلم يخطىء . فقال عند ذلك حكيم : رُبَّ رَمْـيَـةٍ من غَـيْـرِ رامٍ !

وإلى هذه القصَّة أشار بعضهم بقوله :

رماها مُطْعِمٌ من غير عِلْمٍ بمسٍّ القوسِ لم يُخطىء صَلاها
وكان أبوهُ قد آلَـى عليها فلم يُـبْـرِرْ أليَّـتَـهُ مَـهَـاهَـا

ومُطْعِـمٌ هو ابن حكيم المذكور . وقال ابن ظَـفَـر : هذا مثل عامّي، وأصله قولهم : مَـعَ الخواطىء سَـهْـمٌ صَـائِـبٌ .

---

5) حرفت في د فكتبت «الرامي».

رُبَّ سَاعٍ لقَاعِدٍ .

السَّاعي : الكَاسِبُ، سَعَى يَسْعَى سَعْيًا، والقَاعِدُ ضِدُّه مجازًا، من القُعُودِ الذي هو لزوم الأرض . ومعنى المثل أنَّ المرء ربَّما سعى في جمع المال أو إدراك الحاجة، حتَّى إذا تهيَّأ ذلك رُزِقَهُ بعضُ من لم يسع فيه دون السَّاعي . فيُضرب في اكتساب المرء ما لغيره من مال ونحوه .

وأوَّل من قاله النَّابغة الذبياني، وكان وفد على النعمان بن المنذر في وفود العرب، ومنهم رجل من عبس يقال له شقيق، فمات عنده . فلمَّا حبا الوفود، بعث إلى أهل شقيق مثل ما حبا به الوفود، فقال النَّابغة : رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ . وقال في ذلك يخاطب النعمان :

أبْقَيْتَ للعَبْسيِّ فضْلاً ونِعْمَةً ومحْمدةً من باقيَاتِ المحامِدِ
أتى أهْلَهُ منه حِبَاءٌ ونعْمَةٌ ورُبَّ امْرِىءٍ يسعى لآخَرَ قاعِدِ[6]

وقيل : أوَّل من قاله معاوية، وذلك أنَّه قال يومًا لابنه يزيد بن معاوية : هل بقي في نفسك أر... من الدنيا ؟ قال : نعم، أمّ خالد ! وهي امرأة عبد اللَّه بن عامر بن كريز، عامل معاوية على البصرة . فأمر عمرو بن العاصي أن يكتب إليه يشير عليه بالوفادة على أمير المؤمنين معاوية، لعلَّه يعمل له في تزويج بنته هند بنت معاوية . فخفَّ لذلك ابن عامر حتَّى وصل إليه، فأزلفه معاوية وقرَّبه، ثمَّ غفل عنه . فساء ذلك عبد اللَّه واشتكى إلى عمرو بن العاصي، فقال له عمرو إنَّه كره أن يدخل بنته على ضرَّة . فطلَّق أمَّ خالد وأقام أيَّاما . فقال له معاوية : إنَّ أهل البصرة تواترت كتبهم يذكرون اضطرابا في البلد ! وأمره بالعود إلى عمله، ووعده بانفاذ ما ابتدأه، فانصرف ابن عامر . فلمَّا انقضت عدَّة أمّ خالد، بعث معاوية أبا هريرة إلى المدينة يخطبها على يزيد . فلمَّا دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلَّى وألمَّ بالقبر فسلَّم ودعا، ثمَّ مال إلى حلقة الحسن والحسين فسلَّم وقعد، فسألوه فأخبرهم، فقال له الحسن : اذكرني لها ! فذهب حتَّى استأذن على أمّ خالد وخبَّرها بما بُعث له وبما أوصاه به الحسن . فقالت : بِأيّهما تشير يا عمَّاه ؟ قال : أرددتِ الأمرَ إليَّ ؟

6) زاد الميداني (1 : 300) بين هذين البيتين بيتًا ثالثًا هو :
حباءُ شقيقٍ فوق أعظم قبره وما كان يُحبَى قبلَه قبرُ وافد.

قالت : نعم ! قال : فأرى ألاّ تؤثري أحداً على من رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يفتح فاه ويلثم ثناياه - يعني الحسن، رضي اللّه عنه -. وبلغ الخبر معاوية فقال : رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ، واعْلَمِي أُمَّ خَالِدِ[7]. وكأنّه شعر من مجزوّ الخفيف . ونحوه قول الشاعر :

وما النّاس إلاّ جامعٌ لمُضيّعٍ   وذو تَعبٍ يسعى لآخَرَ نائمِ !

رُبَّ سَامِعٍ خُبْرِي لَم يَسْمَعْ عُذْرِي[8] .

يُضرب في العُذْرِ يكون لك ولا يمكنك أن تبديه . وهو ظاهر مادّة وصورة .
ومثل ذلك في المعنى قول منصور النمري :

لعلّ له عُذراً وأنتَ تلومُ :   وكَم من مَلُومٍ وهو غير مُليمِ

يقال ألامَ يُليمُ، فهو مُليمٌ إذا أتى بما يُلام عليه، وليمَ فهو مَلُومٌ إذا عُتب وعُذل .

رُبَّ سامِعٍ عِذْرَتِي لم يَسْمَعْ قِفْوتِي .

العِذْرَةُ - بالكسر -: العُذْرُ، كما مرَّ في الهمزة . والقِفْوَةُ : القَذْفُ . يقال : قَفَاهُ يَقْفُوهُ قَفْواً، إذا رماه بفجور . وفي الحديث : لا حَدَّ إلاّ في القَفْوِ البَيِّنِ، قاله في الصحاح . وقَفَاهُ أيضًا : رمَاه بقبيح . والاسم من ذلك كله قِفْوَةَ - بالكسر - كما في المثل .

يُضرب عند اعتذار المرء من شيء لم يعلم منه بعد، فيكون ذلك الاعتذار تسميعا بنفسه[9]. ويمكن أن يُرَدَّ أحد المثليْن إلى الآخر، فيكون واحدا .

---

7) ورد عند الميداني (1 : 300) :
اسلمي أم خالــد   رب ساع لقاعـد

8) أورده الميداني (1 : 299) بصيغة : ربّ سامع بخبري لم يسمع عذري، وقال إن الباء في «بخبري» زائدة . وورد هذا المثل في مخطوطة د هكذا : «ربّ سامع خبر لم يسمع عذره.

9) ذكر الميداني (1 : 298) أن هذا المثل يروى أيضا بصيغة «رب سامع قفوتي، ولم يسمع عذرتي» قال الاصمعي : معناه سمع ما أكره من أمري، ولم يسمع ما يغسلهُ عني.

رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ !

الشَّدُّ - بالفتح -: العَدْوُ، وكذا الاشْتِدَادُ . قال الرَّاجز :

هَـــذَا أوَانُ الشَّـــدِّ فاشْتَـــدِّي زِيَـــمْ !

والكُرْزُ - على مثال قُفْل -: خُرجُ الرَّاعي، ويسمَّى الكَبْشُ الذي يحمِلُه الرَّاعي عليه الكَرَّاز . قال الرَّاجز :

ياليتَ أنـِّي وسُبَيْعًا في غَنَمْ والخُرجُ منها فوقَ كرَّازٍ أجمّ !

ولا يكون الكرَّاز - فيما يزعمون - إلاّ أجمَّ، لأنَّ الأقْرن يشتغل بالنطاح عن حمله .

وذكر أبو عليّ القالي في **النَّوادر** أنَّ الكُرْزَ الجُوَالق، والأوَّل هو المعروف .

وأصل المثل أنَّ رجلا خرج يركض فرسا، فألقت مهرًا، فأخذه وجعله في كُرْزٍ بين يديه . فقال له رجل : لِمَ تحمله ؟ وما تصنع به ؟ فقال : رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ ! أي رُبَّ عَدْوٍ وسَبْقٍ واشتِدادٍ في هذا المُهر الذي في الكرز، كما قد كان ذلك في أمّه ! فذهبت مثلا يُضرب في الرجل ونحوه يُحتقر عندك وله مخبر تعلم به أنت . وإنَّما جعل الشدّ في الكرز على طريق الكناية، لأنَّ ذَا الشَّدِّ فيه، كما قال الأوَّل :

إنَّ السَّماحةَ والمُروءَةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحشْرجِ

والآخـــر :

إنَّ السَّماحةَ والمُروءَةَ ضُمِّنَا قبْرًا بمروَ على الطَّريقِ الواضحِ

رُبَّ صَلَفٍ تحتَ الرَّاعِدَةِ .

الصَّلَفُ : قلَّة النـَّزَلِ في الطعام وقلَّة الماء . يقال : سَحابٌ صَلِفٌ - على مثال كَتِف -: كثير الرَّعْد، قليل الماء ؛ والرَّاعِدَةُ : السَّحاب ذات الرَّعْد .

والمعنى أنَّ السَّحاب ربَّما رعدت ولم يكن منها خير . يُضرب للبخيل مع سعة ذات اليد . وقيل للرجل يكثر الكلام والمدح لنفسِه ولا خير عنده . وقيل لمن يتوعَّد ثمَّ لا يقوم به، وهو صالحٌ للكلّ . وقد اعتُرض على قائل الأوَّل بأنَّ السَّحاب إذا كثر فيها الماء لم يُقَل لها صَلِف .

قلت : يعني فلا يشبه بها الرجل الكثير المال لبخله . ويُجاب بأنّ قلّة الماء المسمّى بالصّلَف إنّما هو باعتبار النزول إلى الأرض . فصحّ تشبيه البخيل بذلك وإن كثر ماله، باعتبار قلّة ما يخرج من يده . وإن أريد بالصّلَف أن لا يكون ماء في السّحابة نفسها أصلاً، فالمراد حينئذ التشبيهُ باعتبار ما فيها من أصوات الرُّعود والبروق، فإنّه مظنّة السقي ؛ كما أنّ كثرة المال مظنّة النفع . وضمّن هذا المثل ابن الشبل البغدادي إذ يقول:

صحّة المرءِ للسّقامِ طريقٌ وطريق الفناءِ هُـوَ البقـاءُ
بالذي نغْتَـذي نموتُ ونَحيى أقْتَـلُ الدّاء للنّفوس الدّواءُ
مالَقينا من غدرِ دُنيا فلا كا نَـتْ ولا كان أخْذُها والعَطاءُ
صلَفٌ تَـحْت راعدٍ وسحابٌ كرعَـتْ منه مومِسٌ خرقـاءُ
راجعٌ جُودُها عليها فَمَهْمَا يَهَبِ الصّبْحُ يستردُّ المساءُ
ليت شِعري حُلمٌ تمرُّ به الأيّام أم ليس تُعْقَلُ الأشْيَاءُ
من فسادٍ يكون في عالَم الكون فما للنّفوسِ منها اتّقاءُ
وقليلاً ما تصحَب المُهْجةُ الجسمَ ففيمَ الشّقَا وفِيمَ العَنَـاءُ ؟
قبّحَ اللّهُ لذّةً لشَقَانَا نالَـهـا الأمّهَـاتُ والآبَـاءُ
نحن لولا الوجودُ لم نألِم الفقد: فَإيجادُنـا عَلَيْنَـا بَـلاَءُ

وضمّنته أنا أيضًا في قصيدة يأتي(كذا) في هذا الباب، فقلت :

ولربّ ذي رَعْدٍ على صَلَفٍ ومُهدَّرٍ في العُنّة الحِجْرِ(9م)

رُبّ طَمَعٍ، يَهْدِي إلى طَبَعٍ .

الطّمَعُ : الحِرصُ، طَمِعَ فيه - بالكسر - طَمَعًا وطَمَاعًا وطَمَاعِيَةً، والطّبَعُ - بفتحتيْن -: الدّنَسُ والوسَخ الشديد والشّيْن والعيْب .

والمعنى أنّ الطّمع لا يزال بصاحبه حتّى يتلطّخ بكل ريب، ويتلوّث بكل عيب . قال الشاعر :

9م) في الديوان :

فلرُبّ ذي مَلَكٍ على أمَلٍ ومهدّرٍ في العُنّةِ الحِجْرِ
ولرُبّ ذي رعـدٍ على صَلَفٍ فتراهُ يخلق ثم لا يَفْـري

لا خير في طَمَعٍ يهْدي إلى طَبعٍ وغُفَّةٌ من قوام العيشِ تكفِينِي

الغُفَّةُ - بضمّ الغين المعجمة بعدها فاء -: البُلْغَةُ من العيش . ويقال للفأر أيضا، لأنَّهُ بُلْغَةٌ للسنَّوْرِ . وأمَّا العُفَّةُ - بالعين المهملة المضمومة، فهي بقيَّة اللَّبن في الضرع، ومعناه صحيح في البيت أيضًا . وسيأتي ما في ذمّ الطَّمع والحرص، مستوفًى إن شاء اللَّه تعالى .

رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا .

العَجَلَةُ معروفة . يقال : عَجِلَ - بالكسر - يَعْجَلُ عَجَلاً وعَجَلة فهو عَجِلٌ - بالكسر - وعَجْلان ؛ والهِبَةُ : العَطِيَّةُ . وهَبَ الشيء يَهَبُهُ - بالفتح فيهما - هِبَةً . والرَّيْثُ - بالمثلّثة -:البُطْءُ . يقال : رَاثَ يَرِيثُ رَيْثًا . أي رُبَّ عجلةٍ منك تعطيك ريثا وتهب لك بُطْئًا .

والمعنى أنّ الرجل ربَّما عَجِلَ في أمر ليفعله سريعًا فأدّاه عجله إلى البطء، وذلك بسبب تضييع ما ينبغي أن يحافظ عليه، فيضطرّ إلى العود إليه ثانيًا . وعبر بلفظ الهبة مجازًا لما كان ذلك سببا لذلك .

ويقال في المثل : رُبَّ عَجَلَةٍ وهَبَتْ رَيْثًا، وتَهَبُ رَيْثًا، بلفظ الماضي والمضارع، والمعنى واحد .

ورأيت في نسخة عتيقة من **نوادر** أبي عليّ القالي : تَهُبُّ رَيْثًا - مضموم الهاء، مشدَّد الباء -، بضبط القلم، على أنَّه من الهبوب . وهو يُفِيدُ المعنى، غير أنَّ الأوَّل أوضح في المقصود، وكأنَّ هذا تصحيف، واللَّه أعلم . وهذا المثل في ألسنة العوامّ اليوم موجود معناه، يقولون : مَن عجَّلَ أبْطَأَ .

رُبَّ قَوْلٍ، أشَدُّ مِن صَوْلٍ .

القولُ معروف، والصَّولُ : القهْرُ والسَّطْوةُ والاستطالة . صالَ عليه يصولُ صَوْلاً .

والمعنى أنَّه ربَّ كلام يُعاب به الانسان هو أشدّ عليه من الصَّولة . وهذا من كلام أكثم بن صيفيّ .

ويُحكى في مثله عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه لمَّا هجاه المشركون قال لحسَّان رضي اللَّه عنه : **اهْجُهُمْ، فهجاؤك أشدُّ عليهم من وقْعِ السِّهام في غَبَشِ الظلام !**

ومثله قول الشاعر :

والقولُ يَنفذ مالا تنفذ الابَرُ

وقول الآخــر :

وقد يُرجى لجُرح السَّيف بَرءٌ وجُرحُ الدَّهر ما جَرَحَ اللِّسانُ

وقالوا : **اللِّسان أجْرَحُ جَوارِحِ الانْسان .**

وقال الصاحب : حفظُ اللسان، راحةُ الانسان، فاحفظْه حفظَ الشكرِ لِلْإحسان، فآفةُ الانسانِ في اللسان !

وقال امرؤ القيس :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَه فليسَ على شيءٍ سواهُ بخزّانِ

رُبَّ ممْلولٍ لا يُسْتطاعُ فِراقُهُ .

المَلَلُ معروف . وهذا من كلام أبي الأسود، وكان دخل في ثوب خلق على بعض أصدقائه . فلمَّا رآه قال له : يا أبا الأسود، أما آن لهذا الثوب أن يُبدل ؟ فقال أبو الأسود : رُبَّ مَمْلولٍ... إلخ . ثمَّ أرسل إليه بعد ذلك أثوابا . فقال أبو الأسود يمدحه :

كَساكَ ولم تَسْتَكْسِهِ فشكرتَهُ أخٌ لك يُعْطيكَ الجزيلَ وياصِرُ

وإنَّ أحقَّ النَّاس إن كُنتَ شاكرًا بشُكركَ من أعْطاكَ والوجْهُ وافرُ

الرَّباحُ مع السَّماح .

الرَّباحُ والرِّبْحُ واحد . قال الشَّاعر :

رأيتُ التُّقى والجودَ خيرَ تجارةٍ رباحًا إذا ما المرءُ أصبحَ ثاقلاً

والسَّماحُ والسَّماحَةُ : الجود والكرم .

والمعنى أنّ السّماح[10] يُربِحُ . ويأتي إن شاء اللّه ما في هذا المعنى .

ارْبَعْ على ظَلْعِك !

يقال : رَبَعَ يَرْبَعُ إذا وقف وتَحَبَّس . ويقال ارْبَعْ على نَفْسِك، أي ارْفُق.
وفي الحديث : ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ !
والظّلْعُ - بالظاء المشالة - في البعير ونحوه : غمزه برجله في مشيته . يقال : ظَلَع البعير - بالفتح - يَظْلَعُ .
قال أبو ذؤيب يذكر فرسا :

يَعْدُو به نَهِشُ المُشَاشِ كأنّه صَدْعٌ سليمٌ رجْعُه لا يظْلَعُ[11]

فهو ظَالِعٌ والأنثى ظَالِعَةٌ .
وقول النّابغة الذبياني :

أتُوعِدُ عبْدًا لم يخُنْكَ أمانةً وتتْرُكُ عبْدًا ظالمًا وهو ظالعُ[12]

يُروى بالمشالة وفُسّر بالجائر المذنب، من الظّلْع في البعير، وهو غمزُه برجله لداءٍ يصيبه، وبالضّاد المعجمة، وهو الجائر المائل عن الحقّ .

ومعنى المثل أنّك ظالع، فارْفُقْ بنفسك في مِشيتك لأجل ما بك من الظّلْع ! فيُضرب للضعيف، وأنّه ينبغي له أن ينتهي عمّا لا يطيق .

وحكى أبو علي أنّه اجتمع طريف بن العاصي الدّوسي والحارث بن ذُبيان عند بعض مقاول حمير فتفاخرا، فقال الملك للحارث : يا حار، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم من قومكم حتّى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيّها الملك : خرج هجينان منّا يرعيان غنما لهما، فتشاولا بسيفيهما، فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا، فعاث فيه السيف فنزف فمات . فسألونا أخْذَ دِيَةِ صاحبنا دِيَةَ الهجين، وهي نصفُ ديَةَ الصّريح، فأبى قومي، وكان لَنَا رِبَاءٌ عليهم، فأبينا إلاّ دِيَةَ الصّريح، وأبوا إلاّ ديَةَ الهجين .

---

10) حرف في د فكتب : السامح
11) نهشُ المُشاش : خفيف القوائم.
12) في ب : «ويُترك عبد ظالم وهو ظالع».

وكان اسم هجيننا دهين بن زبراء، واسم صاحبهم عنقش بن مهيرة، وهي سوداءُ أيضا . فتفاقم الأمرين الحيَّيْن، فقال رجل منّا :

حُلُومَكُمُ يا قَوْمُ لا تُعزبُنَّها ولا تقْطعوا أرحامكُمْ بالتَّدابُرِ
وأدُّوا إلى الأقْوامِ عقْلَ ابنِ عمِّهِم ولا تُرهقوهُمْ سُبَّةً في العشائِرِ
فإنَّ ابن زبْراءَ الّذي فاد لم يكُن بدونِ حليفٍ أو أُسيْد بن جابِرِ
فإن لم تُعاطُوا الحقَّ فالسَّيفُ بيننا وبينكُمُ والسَّيفُ أجْورُ جائِرِ

فتضافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منّا أن نلحق بأعظم بطن من الأزد، فلحقنا بالنمر بن عثمان . فوالله ما فتَّ في أعضادنا نأينا عنهم، ولقدِ اثَّأرْنَا بصاحبنا وهم راغمون، فوثب طريف بن العاصي من مجلسه، فجلس بإزاء الحارث ثمَّ قال : تاللّه ما سمعت كاليوم قولا أبعد من الصواب، ولا أقربَ من خطل، ولا أجلب لِقَذْع، من قول هذا . واللّه، أيّها الملك، ما قَتَلوا بهجينهم بَذَجًا، ولا رَمَوْا وَدَجًا، ولا أُنْطُوا به عَقْلاً، ولا اجْتَفَؤُوا به خَشْلاً . ولقد أخرجهم الحقُّ عن أصلهم، وأجلاهم عن محلّهم، حتّى (×) الازعاج، ولجؤوا إلى ضيق الولاج، قُلاّ وذُلاّ ! فقال الحارث : أتسمع يا طريف ؟ إنّي واللّه ما إخالُك كافًّا غَرْبَ لسانك، ولا مُنَهْنِهًا شِرّة نَزَوانِك، حتّى أسطُوَ بك سطوةً تكُفُّ طِماحَك، وتردُّ جِماحك، وتكبت تَتَرُّعَك، وتَقْمع تَسَرُّعك ! فقال طريف : مهلاً ياحار، لا تَعْرِضْ لِطَحْمَةِ استناني، وذَرَبِ سِنَاني، وغرب شبابي، وميسم سِبَابِي، فتكون كالأظلِّ المَوْطُوء، والعَجْبِ المَوجُوء ! فقال الحارث : إيَّاي تخاطب بهذا القول ؟ فواللّه لو وطِئْتُكَ لأسختك، ولو وهَصْتُكَ لأوهطتك، ولو نفحتك لأفدتك ! فقال طريف متمثّلا :

وإنَّ كلامَ المرءِ في غير كُنْهِهِ لكالنَّبلِ تهوي ليس فيها نِصالُها !

أمّا والأصنامِ المحجوبة، والأنْصابِ المنصوبة، لئن لم تَربَعْ على ظَلْعِكَ، وتَقِفْ عند قَدْرِك، لأدَعَنَّ حَزْنَكَ سَهلا، وغَمْرَك ضَحْلا، وصَفاك وحلا ! فقال الحارث : أمّا واللهِ لورمتَ ذلك لمُرِغْتَ بالحضيض، وأغْصصتَ بالجَريض، وضاقت عليك الرِّحاب، وتقطعتْ بك الأسْباب، ولألُفِيتَ لَقىً تهاداه الرَّوامِس، بالسَّهبِ الطَّامِس !

×-بياض بالأصل، والساقط هو :
«... اسْتَلانُوا خُشُونَةَ ...»
نقلاً عن أمالي القالي (1 : 72)

فقال طريف : دون ما نـاجـتـكَ به نفسك مقارعةُ أبطال، وحياضُ أهوال، وحفز إعجال، يمنع معه تطا من الإمهال ! فقال الملك : إيهًا عنكما، فما رأيت كاليوم نـقـالَ رجلـيـنِ لم يـقْـصِبـا ولم يـتْـلِبـا، ولم يـلْـصُـوا ولم يـقْـفُـوا ! انتهى .

قوله : مَقَاول، المَقاوِل : الملوك دون الملك الأعظم ؛ وكذا الأقيال والأقوال . قال امرؤ القيس :

وماذا عليهِ إن ذكرتُ أوانسًا كغزلانِ رملٍ في محاريبِ أقوالِ ؟

وتشاولا : تضاربا ؛ وعاث السَّيف : أفسد ؛ ونـزِفَ : سال دمه حتَّى ضعف . والهجين من النَّاس : الذي أبوه عربيّ وأمّه غير عربيَّة ؛ والمُقرِفُ عكسه ؛ والصريح : الخالص الطرفيـن، والرِّبـاءُ : الزيادة، والعـقْـل : الديـة، وأرهقته : كلّفته، وفاد : مات . قال لبيد:

رعى خرَزاتِ المُلك عشرين حِجَّةً وعشرينَ حتى فاد والشَّيبُ شاملُ

وفتّ : أوهى وأضعف، واثَّأرنا : افْتعلنا، من الثأر، والخطل : الخطأ. والقذْع : الكلام القبيح، والبـذَجُ : الخَروفُ، فارسيّ معرّب، وأُنْـطُـوا : أُعْـطُـوا . قال الأعشى :

جيادُك في الصَّيفِ في نعْمةٍ تُصانُ الجلالَ وتُنطَى الشَّعيرا

واجْتفؤوا : صَرعوا، يقال : جفاه إذا صرعه، والخَشْل ـ مسكّنا ومحرّكا ـ شجر المقل، الواحد خَشْلَة، والقُلّ : القِلَّة، والذُلّ : الذلَّة، والنزَوَان : الوثوب ؛ والتَّترُّعُ : التسرّع إلى الشرّ، يقال : تترّع تترُّعًا إذا كان سريعا إلى الشرّ، وطحمة السيل : دفعته، والذَّرَبُ : الحِدّة، والأظَلُّ : أسفلُ خفّ البعير، والعَجْبُ : أصل الذَّنَب ؛ وهصته : كسرته ؛ وأوهطته : صرعته ؛ وتَرْبَع : تَكُفّ وتَرفُق، كما مرَّ، والظَّلْعُ : الغَمز ؛ والضّحل : الماء القليل، والحضيض : القرار الأسفل، والروامس : الرياح، ترمس، أي تدفن . والحفز : الدفع . وقول الملك : يقصِبا، أي يشتُما، والقَصْبُ : القَطْع، ويَلْصُوا : يقذِفا، يقال : لَصَا إليه إذا انضمّ إليه لريبة، ولصا المرأة يلصوها : قذفها، ويقفُوا : يرميا بالقبيح، قَفَوْتُه أقفُوه : رميتُه بالقبيح أو قذفته .

وذكر الامام الغزالي رحمه اللّه تعالى في **الاحياء** أنّ عمرَ بن هُبَيْرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرّائها، فجعل يسألهم، وكلَّم عامراً الشعبي، فجعل لا يسأله عن شيء إلاّ وجد عنده فيه علما . ثمّ أقبل على الحسن البصري، فسأله

ثمّ قال : هما هذان : هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن . فأمّر الحاجب، فاخرج النـّاس وخَلاَ بالشعبي والحسن . فأقبل على الشعبي وقال: يا أبا عمرو، إنـّي أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتـُليت بالرعيـّة ولزمني حقـّهم، فأنا أحبّ حفظهم وتعهـّد ما يصلحهم من النصيحة لهم. وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أخذ عليهم فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيـّتي أنـّي أردّ عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنـّي قبضته على ذلك من النحو، فيكتب إليّ أن لا تردّه، فلا أستطيع ردّ أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنـّما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل عليّ في هذا تبعة وفي أشباهه[13] من الأمور، والنيـّة فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي : فقلت، أصلح اللـّه الأمير، إنـّما السلطان والد يخطىء ويصيب . قال فسرّ بقولي وأعجب به ورأيت البشر[14] في وجهه، قال : فللـّه الحمد ! ثمّ أقبل على الحسن فقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ فقال : قد سمعت قول الأمير يقول إنـّه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مأمور على الطاعة ابتـُليت بالرعيـّة ولزمني حقـّهم والنـّصيحة لهم والتعهـّد لما يصلحهم، وحقّ الرعيـّة لازم لك وحقّ عليك أن تحوطهم[15] بالنصيحة . وإنـّي سمعت عبد الرحمان بن سمرة [القرشي] صاحب رسول اللـّه صلـّى اللـّه عليه وسلـّم يقول : من استرعي رعيـّة فلم يحفظها بالنصيحة حرم عليه الجنة. وتقول إنـّما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم واستبطالهم[16] وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنـّي قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليّ ان لا تردّه، فلا أستطيع ردّ أمره ولا استطيع إنفاذ كتابه، وحقّ اللـّه ألزم من حقّ أمير المؤمنين، واللـّه أحقّ أن تطيع ولا طاعة في معصيـَة اللـّه . فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب اللـّه عزّ وجلّ، فإن وجدته موافقا لكتاب اللـّه عزّ وجلّ فانفذه ! يا ابن هبيرة، اتـّق اللـّه، فإنـّه يوشك أن يأتيك رسول من ربّ العالمين يزيلك عن سريرك، ويخرجك عن سعة قصرك إلى مضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربـّك وتنزل على عملك ! يا ابن هبيرة وإنّ اللـّه

---

13) في د : «في هذا تباعة وأتباعه».
14) في ب : الشر.
15) في ب : تخولهم، وسقط فيها لفظ «القرشي» الآتي.
16) في ب : واستطلاهم.

يمنعك من يزيد، وإنّ يزيد لا يمنعك من اللـّه، وإنّ أمر اللـّه فوق كلّ أمر، وإنـّه لا طاعة في معصيـَة اللـّه[17]، وإنـّي أحذ ّرك بأس اللـّه الذي لا يرد ّه عن القوم المجرمين . فقال ابن هبيرة : ارْبـَعْ على ظـَلـْعـِك أيـّها الشيخ وأعرِض عن ذكر أمير المؤمنين ! فإنّ أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل ؛ وإنـّما ولاّه اللـّه ولاية أمر هذه الأمـّة لعلمه به وما يعلم من فضله ونـِيته . قال الحسن : يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوطـًا بسوط، وعصا بعصا، واللـّه بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنـّك أن تلقى مـَن ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرّك ويمنـّيك !

فقام ابن هبيرة وقد بـَسـَر[18] وجهه وتغيـّر لونه . قال الشعبي : فقلت : يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته . قال : إليك عنـّي، يا عامر ! قال : فخرجت إلى الحسن الطرف والتحف، وكانت له المنزلة، واستـُخـِفّ بنا وجـُفينا، فكان أهلاً لما أدّى إليه، وكـُنـّا أهـْلاً أن يفعل ذلك بنا . فما رأيت مثل الحسن فيما رأيت من العلماء إلاّ مِثال الفرس العربي بين المقاريف، وما شهدنا مشهدًا إلاّ برز علينا، وقال لـِلـّه ِ عزّ وجلّ وقلنا مقاربة . قال عامر الشعبي : وأنا اعاهد اللـّه أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه !

يـَرتـَعُ وسَطـًا ويـَربـِضُ حَجـْرَةً .

الرّتـْعُ معروف، وكذا الوسط . وتقدّم ما فيه من الفرق ؛ والرّبـَضُ ـ بفتحتـْين ـ ما حول المدينة، والجمع أرْبـَاضٌ . قال :

حتـّى أقامَ على أرْباضِ خـَرشـَنـَةٍ   تشـْقى به الرُّومُ والصـُّلـْبانُ والبيـَع

والرّبـَضُ أيضا مأوى الغنم . قال العجـّاج يصف ثورًا وحشيـًّا :

واعـْتـاد أرْباضـًا لهـا آريُّ[19]

والرّبـَضُ أيضـًا كلّ ما يأوي إليه الانسان من أهل ومسكن ونحوه . قال :

جاء الشـّتاءُ ولمـّا أتـّخـِذْ ربضـًا   يا ويح نفسيَ من حفر القراميصِ !

---

17) سقط اسم الجلالة من د

18) حرف لفظ «بسر» في د فكتب «سرّ».

19) تمام هذا البيت : «من معدن الصـّيْران عُد مُلِيُّ».

وربَضَتِ الشَّاة ـ بالفتح ـ تَربِضُ ربْضًا وربْضَةً ورُبُوضًا، وهو في الشَّاء كالبروك في الابل ؛ والحَجْرَةُ ـ بالفتح فسكون ـ: النَّاحية، والجمع حَجْرٌ وحَجَرَات . وأمَّا الحُجْرَةُ ـ بالضمّ ـ فحظيرة الابل والغرفة .

وهذا المثل يُضرب في المرء يشاركك عند النعمة والرخاء والفرح، ويجانبك عند البلاء والكربة والاحتياج، تشبيهًا بالشاة تدخل الوسط عند الأكل، وعند الفراغ تعتزل إلى ناحية.

رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ .

الرُّجُوعُ معروف . والخُفُّ ـ بالضَّمّ ـ: الذي يُلبس، والجمع خِفَافٌ؛ وحُنَين ـ كَزُبَيْر ـ إسكاف من أهل الحيرة، ساومه أعرابيّ خفَّين حتَّى أحرجه ولم يشترهما . فغضب الاسكاف ورجع بخفَّيْه إلى طريق الأعرابيّ، فوضع أحد الخفَّين على الطريق، ثمَّ مرَّ ساعة فوضع الآخر، وكمَن فجاء الأعرابي حتَّى وقف على الخفّ الأوَّل في الطريق فقال : ما أشبه هذا الخفَّ بخفّ حُنَيْن ! لو كان معه الآخر لأخذتهما . ثمَّ سار حتَّى وجد الآخر، فندم على أن فرَّط في الأوَّل، فأناخ راحلته وأخذ هذا وعقل راحلته ورجع إلى الأوَّل لياخذه، فخرج حنين إلى الراحلة فأخذها وما معها ومضى لوجهه . فجاء الأعرابي بالخفَّين إلى أهله، فإذا قيل له : بِمَ جئت ؟ قال : بخُفَّي حُنَيْن، فضربوه مثلا لمن رجع بالخيبة وآب بالخسران.

وقيل : حنين هو رجل ادَّعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأتى عبد المطّلب وعليه خُفَّان أحمران، فقال : يا عمّ، أنا ابن أسد بن هاشم بن عبد مناف . فقال عبد المطّلب : لا، وثياب هاشم ! ما أعرف شمائل هاشم فيك، فارجع ! فقالوا : رجَعَ حُنَيْنُ بِخُفَّيْهِ، فذهب مثلا .

وقيل هو لصّ كان أُخذ فصُلب . فجاءت أمّه نحوه وعليه خفَّان، فنزعتهما ورجعت، فقيل : رجَعَتْ بخُفَّيْ حُنَيْن، أي رضيت منه بذلك .

رجَعَ بِصَحِيفَةِ المُتَلَمِّسِ .

الصَّحِيفَةُ ـ بفتح الصَّاد المهملة ـ: الكتاب، والجمع صَحَائِفُ وصُحُفٌ، على

غير قياس ؛ والمُتَلَمِّسُ : شاعر معروف، وهو جرير بن عبد المسيح . ولُقّب بالمتلمّس لقوله :

وذاكَ أوانُ العِرضِ طنَّ ذُبابُه[20] زنابيرُهُ والأزْرقُ المتلمِّسُ

وصحيفته : كتاب كتبه له عمرو بن هند يذهب به إلى عامله بالبحرين ليُقتل، وأوهمه أنَّ المكتوب فيها الحِباءُ يأخذه من العامل . فضرب المثل بهذه الصحيفة لمن يستصحب هلاكه وهو يظنّه نفعا .

وشرح هذه القصَّة أنَّ طرفة بن العبد، الشّاعر المشهور البكري الوائلي، هجا عمرو بن هِنْدٍ مضرط الحجارة المتقدّمَ ذِكْرُه بقوله :

فَلَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو[21] رَغُوثًا حول قُبَّتنا تخورُ

من الزّمِرات أسْبل قادِماهَا وضرّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرورُ

يُشاركُنا لها رخِلانِ فيها وتعْلوها الكِباشُ فَما تنُورُ

لعَمرُك إنَّ قابوس بنَ هِنْدٍ ليخْلِطُ مُلكَه نَوْكٌ كثيرُ

قسمْتَ الدَّهْرَ في زمَنٍ رخِيٍّ كذاكَ الدَّهْرُ يقْصِدُ أو يجور[22]

لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ تطيرُ المائِساتُ وما نَطِيرُ[23]

فأمَّا يومُنا فنظَلُّ رَكْبًا وقوفًا ما نحُلُّ وما نسيرُ

وأمَّا يومُهُنَّ فيومُ سُوءٍ يُطارِدُهُنَّ بالحَدبِ الصُّقُورُ[24]

وتقدّم بعض هذه الأبيات . وقوله : قَسَمْتَ الدَّهْرَ، إلخ... إشارة إلى ما يُحكى أنَّ عمرو بن هند كان دأبه أنَّه يصطادُ يومًا ويومًا يقف النَّاس ببابه : فإن اشتهى حديث رجل منهم أذن له . فلبث على ذلك دهره . وكان لطرفة أخت تزوَّجها عبد عمرو، وعبد عمرو هذا كان أقرب النَّاس إلى عمرو بن هِنْدٍ منزلةً . فجاءت أخت طرفة يوما تشكو زوجها هذا، فهجاه طرفة بقوله :

يا عجبا[25] من عبد عمْرٍو وبغْيِه لقد رامَ ظُلْمي عبد عمْرٍو فأنْعما

20) في الحماسة (1 : 269) «....حيٌّ ذُبابُه».

21) سقطت الفاء من «فليت....» في مخطوطات زهر الأكم، والتصحيح من كتاب مختار الشعر الجاهلي.

22) في مختار الشعر الجاهلي : «كذاك الحكم...».

23) في مختار الشعر الجاهلي : «تطير البائسات...».

24) في المصدر السابق : «...فيوم نحس».

25) كذا في جميع النسخ، وهو لا يستقيم وزنًا، ولعل الأصل : فياعجبًا....

ولا خير فيه غير أن قيلَ واجد[26] وأنَّ له كشْحًا إذا قام أهْضَما
وأنَّ نساءَ الحيِّ يركُضْنَ حولَه[27] يقُلْنَ : عسيبٌ من سَرارةِ ملْهما
له شربتانِ بالنَّهارِ وأرْبَعٌ من اللَّيلِ حتَّى آضَ سُخْدًا مُورَّما
ويشربُ حتَّى يغمُرَ المحْضُ قلبَه وإن أُعْطَه أتْرُكْ لقلبي مجْثما
كأنَّ السّلامَ فوقَ شُعْبةِ بانةٍ ترى نَفَخًا وردَ الأسرَّةِ أصْحما[28]

وكان عبد عمرو أجمل أهل زمانه جسمًا وكشحا، ولذلك وصفه بالكشح الأهضم، أي الضامر؛ والعَسِيبُ : عَسِيبُ النَّخل . ومَلْهَمُ : موضع باليمن ذو نخل، وسَرارَتُه أكرم موضع فيه، وكذا سَرارَةُ كلّ واد . والسُّخْدُ : الورم، وقيل السّلاَ، شبَّه جسده في نعمته ورجرجته بالورم أو السّلا المنتفخ ؛ والنَّفَخُ : انتفاخ البطن، وقوله : ورْدَ الأسِرَّةِ، أي أسرَّته موردة بالطيب والزعفران حتَّى صار أصْحَمَ، وهو الأحمر المائل إلى السَّواد . وهذا كلّه من أوصاف النساء، لا الرجال، وهو هجو خبيث . ثمَّ إنَّ عمرو بن هند خرج يوما الى الصيد ومعه عبد عمرو، فرمى عمرو حمارًا فعقره، فقال لعبد عمرو : انزل فاذبحه ! فنزل وعالجه فأعياه الحمار وضحك منه عمرو بن هند وقال : لقد أبصرك طرفة حين قال : ولاَ خَيْرَ فِيهِ... (البيت) . فيُروى أنَّه لمَّا قال له ذلك، قال عبد عمرو : أبيت اللعن ! ما قال لك أشدّ ممَّا قال لي . قال : وما قال ؟ فأنشده الأبيات السابقة . فغضب عمرو وقال : قد بلغ من أمره أن يقول ! فأرسل إليه ليكتب له إلى رجل من عبد القيس بالبحرين، وهو المعلَّى، وكان عامله عليها، ليقتله . فقال بعض جلسائه : إنَّه حليف المتلمّس، فإن أوقعت بطرفة هجاك المتلمّس . فأرسل عمرو إلى طرفة والمتلمّس معًا، فأتياه، وهو بالبقَّة، قريبا من الحيرة، فكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلهما، وأخفى ذلك عنهما وأظهر لهما كتابا بحبائهما . فأقبلا حتَّى نزلا الحيرة، فقال المتلمّس [لطرفة] : تعلم واللّه أنَّ ارتياح عمرو لي ولك لأمر مريب، وأنَّ انطلاقي بصحيفة لا أدري ما فيها لَغرور . فقال طرفة : إنَّك لمسيء الظنّ . وما تخشى من صحيفة إن كان فيها الذي وُعدناه، وإلاَّ رجعنا [إليه][29]، فأبى المتلمّس، وأبى طرفة أن يجيبه، ففضَّ المتلمّس خاتم صحيفته

26) في مختار الشعر الجاهلي : «... غير أن له غنى».
27) في المصدر السابق : «يظل نساء الحي يعكفن حوله».
28) في المصدر السابق : أسحما
29) سقط من د.

وقام إلى غلام من أهل الحيرة يستقي فدفعها إليه، فقرأها الغلام فقال : أنت المتلمّس ؟ قال : نعم ! قال : النجاء ! النجاء ! قد أمر بقتلك . فجاء بالصحيفة حتّى قذفها في نهر الحيرة، ثمّ قال :

القيتها بالثنى من جنب كافر كَذلكَ أقْنو كُلَّ قطٍّ مُضلّلِ
رضيتُ لها بالماءِ لمّا رأيْتُها يجورُ بها التّيّارُ في كلّ جَدولِ

وقيل إنهما مرّا في طريقهما ذلك على رجل يتغدّى وهو يقضي حاجة الانسان ويفلي ثوبه . فقال المتلمّس : ما رأيتُ أحمق من هذا . فقال : وما رأيت من حمقي ؟ إنّما آكل غذائي وأخرج دائي وأقتل أعدائي . وهل الأحمق إلاّ من يحمل حتفه على كتفه ؟ أو كلامًا نحو هذا . فحينئذ استراب المتلمّس أمر الصحيفة فاستقرأها كما مرّ، ثم قال لطرفة : تعلم أن في كتابك مثل ما في كتابي ؟ فقال طرفة : لئن اجترأ عليك، ما كان ليقدم عليّ . فلمّا أعياه طرفة وأبى أن يطيعه، خرج المتلمّس من فوره ذلك إلى الشام هاربا وقال :

من مُبْلِغُ الشُّعَراءِ عن إخوانِهِم نَبأً فتصدقهم بذاكَ الأنْفُسُ
أوْدى الّذي علقَ الصّحيفة منهُما ونَجَا حَذارَ حياتِه المُتَلَمّسُ
ولقَدْ نَصَحْتُ له فردَّ نصيحتي وجَرَتْ له بعْد السّعادةِ أنْحُسُ

وفي ذلك قيل :

ألْقى الصّحيفةَ كَيْ يُخفّفَ رحْلَه والزّادَ حتّى نعْلَهُ ألْقاها

وخرج طرفة حتّى أتى صاحب البحرين بكتابه، فدفعه إليه، فقال صاحب البحرين : إنّي رجل في حسب، وبيني وبين أهلك إخاء قديم، فاهرب إذا خرجت من عندي، فقد أُمرت بقتلك ! فإنّ كتابك إن قرىء لم أجد بدّا من قتلك ! فأبى وظنّ أنّه لا يجترىء على قتله . فحبسه حتّى قتله . وفيه يقول طرفة، يخاطب العامل :

أبا مُنْذرٍ كانَت غُرورًا صحيفَتي ولم أُعطِكُم في الطّوعِ مالي ولا عِرضي
أبا مُنْذرٍ أفْنيْتَ فاسْتبْقِ بعْضنا حنانيْك بعضُ الشّرّ أهْونُ من بعض !

رجَعَ فُلانٌ إلى قَرْوَاهُ .

رُوِي : القَروَى - بألف مقصورة - يقال : رجَعَ فُلانٌ على قَروَاهُ، أي رجع إلى خُلُق

كان يعتاده . يُضرب في عادة السوء يتركها صاحبها ثمّ يرجع إليها . والمعروف في اللغة: القَرْوَاءُ - بالمدّ -، وهو العادة .

ويُروى هذا حديثا : **لا تَرْجِعُ هَذِهِ الأُمَّةُ على قَرَوائِهَا**، أي على أمرها الأوّل، واللّه أعلم .

رَزَمَةٌ ولا دَرَّةَ فِيهَا .

الرَّزَمَةُ - بفتحتيْن - صوت النّاقة عندما تَرْأمُ ولدَها تخرجه من حَلقها ولا تفتح به فاها ؛ والدَّرَّةُ فعلة من دَرَّتِ الناقةُ باللّبن تَدِرُّ .

يضرب هذا المثل لمن يعِد ولا يفي، كالنّاقة تُرْزِمُ وتحِنُّ ولا تَدِرّ ولا خير في ذلك، ورَزَمَةٌ خبر مبتدإ يقدّر بحسب المقام

الرَّشْفُ أنْقَعُ .

الرَّشْفُ : المَصُّ . يقال : رَشَفَ الماءَ يرشُفُه كَنَصَرَ يَنْصُرُ، ورَشِفَ يَرْشَفُ - كَسَمِعَ يَسْمَعُ - رَشْفًا وارتشفه وترشّفه إذا مَصّه، ونَقَعَ الرجل بالشراب يَنْقَعُ - بالفتح فيهما : اشتفى به، وأنْقَعَهُ الماءُ : أرْوَاهُ . والمعنى أنّ امتصاص الماء وترشّفه شيئا فشيئا هو أنقع للنفس وأقطع للعطش، ولذلك أمر النبي **صلّى اللّه عليه وسلّم بالمصّ وقال إنّه أَهْنَى وأَمْرَى، ونَهَى عن العَبّ** .

فيضرب في ترك العجلة في الأمر .

ارْضَ مِن المَرْكَبِ بالتَّعْلِيقِ !

الرِّضَى ضدّ السخط، رَضِيَ - بالكسر - يَرْضَى . والمَرْكَبُ هنا إمّا أن يُراد به الركوب، ومِن لِلْبدل، كقوله :

لو أنّ لي بهِمُ قومًا إذا ركبوا شنّوا الاغارةَ فُرسانًا ورُكْبانا

والمعنى : ارضَ بدلَ ركوبك بأن تعلق أمتعتك . وإمّا أن يراد به المركوب، ومِنْ

عَلَى بَابِهَا، أي : ارضَ من هذا المركوب بأن تعلق أمتعتك عليك[30]، أو بأن تتعلّق به في عقبتك ونوبتك . فيضرب عند الأمر بالقناعة بإدراك اليسير من الحاجة والرضى بصغير الأمر دون عظيمه .

مَرْعًى ولاَ أَكُولَةَ .

المَرْعَى : مَفْعَل من الرَّعْي، يقال : رَعَتِ الماشية ـ بالفتح ـ رعيًا ومَرْعًى . ويُطلق المرعى أيضا على المكان وعلى النّبات المرعيّ ؛ وهو الرِّعْيُ أيضا ـ بكسر الراء ـ. قال زهير :

تربَّعَ بالقَنَانِ وكُلُّ فَجٍّ طَبَاهُ الرِّعْيُ منْه والخَلاءُ

أي دعاه إليه ما فيه من الرعي، أي الكلأ والخلوة . والأكل معروف، وهو أكُول، وهي أكُولة. فان علم الموصوف من الكلام كان القياس حذف الهاء، كغيره من نظائره .

والمعنى أنّ هذا مرعى أي نبات كثير ولم توجد ماشية ترعاه، أو مكان ذو رعي ولا راعية له . يُضرب في المال الكثير يجده الرجل ولم يجد من ينفقه عليه .

وقال الشاعر في معنى المثل الأصلي :

أمْرَعَتِ الأرضُ لَوْ أنَّ مَالاَ لَوْ أنَّ نُوقًا لَكَ أو جِمَالاَ

أو ثَلَّةً من غَنَمٍ إمَّالاَ

أي : إن كنت لا تجد غيرها .

ومن اللّطائف في هذا ما أنشده أبو علي البغدادي من قول الشّاعر :

فجُنِّبْتَ الجُيوشَ أبا زُنَيْبٍ وجاد على مَسارحِكَ السَّحَابُ

فإنّ البيت يحتمل أن يريد فيه الدعاء للمذكور، على ما يبدو في بادىء الرأي، بأن يُرزق العافية والأمن والخصب والدّعة ؛ ويحتمل أن يريد به الدعاء عليه بأن يفتقر ويُسلب المال، حتّى لا يكون له شيء تقصده الجيوش عليه وتتوجّه بسببه الغارات إليه، ويخصب مع ذلك ما حواليه حتّى يكثر أسفه وحزنه إذ لا راعية له . وهذا الوجه هو الأصحّ، وهو من أحسن معاريض البلغاء .

---

30) كذا في كل المخطوطات، ولعل الصواب : بأن تعلق أمتعتك عليه.

مَرْعَى ولا كَالسَّعْدَانِ .

المَرْعَى تَقَدَّم : والسَّعْدانُ - بوزن سَكْران - : نبت شديد الشوك.

وفي الحديث، في وصف جهنَّم، أعاذنا اللَّه منها، : **إنَّ فيها كَلاليبَ مثْلَ شَوكِ السَّعْدَانِ .**

وقيل لرجل من أهل البادية خرج عنها : أترجع إلى البادية ؟ فقال : أمَّا ما دام شوك السعدان مستلقيا فلا ! يعني : لا أرجع إليها أبدا، لأنَّ شوك السعدان لا يفارقها .

ويُحكى عن عبد الرحمن بن عوف، رضي اللَّه عنه، وذكره أبو العبَّاس المبرِّد، أنَّه قال : دخلت على أبي بكر، رضي اللَّه عنه، في علَّته التي مات منها، فقلت : إنِّي أراك بارئا يا خليفة رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ! [فقال][31] : أما إنِّي على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم، يا معشر المهاجرين، أشد عليَّ من وجعي . إنِّي ولَّيت أموركم خيرَكم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، واللَّه لتتَّخذنَّ نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمُنَّ النوم على الصوف الأذْرَبِيِّ كما يألم أحدكم النَّوم على حَسَكِ السعدان ! والذي نفسي بيده، لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حقٍّ خير له من أن يخوض في غمرات الدنيا ! يا هادي الطريق جرتَ إنَّما هو واللَّهِ الفجرُ أو البحرُ ! فقلت: خفّض عليك، يا خليفة رسول اللَّه، فإنَّ هذا يهيضك إلى مابك . فواللَّه ما زلت صالحا مصلحا، لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا، ولقد تخلَّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلاَّ خيرا !

قوله : نضائد الديباج هو الوسائد، جمع نضيدة أي المنضودة، المجموع بعضها إلى بعض . قال الراجز :

وقرَّبَتْ خُدّامُها الوسَائِدا حتَّى إذا ما علَوا النَّضائِدا
سَبَّحْتُ ربِّي قائِمًا وقَاعِدًا

والصوف الأذربي منسوب إلى أذربيجان ؛ وقوله : إنَّما هو الفجر أو البحر، يريد : إن تربصت حتَّى يضيء لك الفجر الطريق عرفت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت متن عشواء ضللت . وضرب ذلك مثلا للدنيا وتحييرها أربابها .

---

31) ساقط من ب.

ويذكر في بعض الأخبار أنَّه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيُسحب على حسك السعدان .
وهذا النبت من أفضل مراعي الابل، يسمنها ويغذيها غذاء حسنًا . قال النَّابغة :

الواهبُ المائةَ الأبْكار زيَّنها سعدانُ توضِحَ في أوبارها اللِّبَد

ولذلك ضربت به العرب المثل .
وقال أبو علي البصير يمدح عبيد اللَّه بن خاقان وآله :

يَـا وُزَرَاءَ السُّلْطَـانْ أنْتُـمُ وآلُ خَاقَـانْ
كَبَـعْضِ مَـا رَوَيْنَـا فِـي سَالِفَاتِ الأزْمَانْ :
مَـاءٌ ولاَ كَصَـدَّى مَرْعًـى ولاَ كَالسَّعْدَانْ

وهذان مثلان :
ومثلهما قولهم :

فَتًـى ولاَ كَمَالِكٍ .

وهي كلُّها تضرب في الشيء يكون الفضل، وغيره أفضل منه . وسيأتي بقيَّتها، إن شاء اللَّه تعالى .

قيل :وأوَّل من قال : مَرْعًى ولاَ كَالسَّعْدانِ، امرأة من طيِّء تزوَّجها امرؤ القيس بن حجر الكندي، وكان امرؤ القيس مفركا . فقال لها يوما : أين أنا من زوجك الأوَّل ؟ فقالت : مَرْعًى ولاَ كَالسَّعْدَانِ ! وكانت هذه المرأة تزوجَّها قبل ذلك رجل آخر، ففضَّلته على امرىء القيس . قيل : وهذا الرجل هو قيس، بن مسعود بن قيس بن خالد، وهو الذي يقال له ذو الجدَّين، لأنَّه كان له جدّ عند الملوك وجدّ في الحروب . وقيل لأنَّه أسر أسيرَيْن شريفيْن كان لهما فداء كثير، ولم يُؤسر أحد في زمانه أشرف منهما ولا أكثر فداء، فسميّ ذا الجدَّين . وإيَّاه يعني الحماسي بقوله :

أيابْنَـةَ عبدِ اللَّه وابْنَـتَةَ مالكٍ ويابْنَـةَ ذي الجدَّيْن والفَرسِ الورْد
إذا ما صَنَعْتِ الزَّاد فالتمِسي له أكِيلاً فإنّي لستُ آكِلَه وحْدي !

رَعَى فَأقْصَبَ .

الرَّعْيُ تقدَّم ؛ والقَصْبُ : القَطْعُ، ومنه قيل للجزَّار قَصَّابٌ، لأنَّه يقطع

اللَّحم . وتقول : قصبت البعير وغيره إذا قطعت عليه شربه قبل أن يروى ؛ وقَصَبْ البعيرِ أيضا شُربُه إذا امتنع منه قبل أن يروى، فهو بعير قَاصِب . قال الراجز :

وهُنَّ مثلُ القَاصباتِ القُمَّحِ

وأقْصَبَ الرجل إذا فعلت إبلُه ذلك، فيقال : رَعَى فَأقْصَبَ، مثلا للراعي المسيء الرَّعْي، وذلك أنَّه إذا أساء رعيها، فخلت أجوافها من الكلإ، امتنعت من الشرب إذ لا تشرب على جوع، فكان امتناعها من الماء كناية عن تجويعه إيَّاها .

الرُّغْبُ شُؤْمٌ والرِّفْقُ يُمْنٌ .

تقدَّم معنى هذا المثل عند الكلام على ضدِّه، وهو قولهم :

الخُرْقُ شُؤمٌ .

وتقدَّم ذلك في الحديث .

ارْقَ على ظَلْعِكَ !

يقال : ارْقِ - بفتح القاف، وكسرها، وبالهمز . أمَّا على الأوَّل فمن الرُّقِيِّ، وهو الصعود .

والمعنى : تكلَّف ما تطيق، لأنَّ الراقي في السُّلَّم إذا كان يَظْلَع يَرْفُق بنفسه . ويقال عند أمر الانسان أن يبصر ما فيه من العيب والنقص، ولا يتجاوز الحدَّ في وعيده، ويتخطَّى المقدار في تهديده .

وأمَّا على الثاني فهو من الرُّقْيَة، وكأنَّك تقول له : لا ظَلْعَ بي أنا أُداويه وأَرقيه، ولكن ارْقِ أنت ما فيك من الظَّلْع ! وأمَّا على الثالث فمن الرُّقُوءِ . يقال : رقَأَ الدَّمع يَرْقَأُ إذا سكن، ورقَأَ بين القوم : أصْلَحَ .

فيحتمل أن يكون من الأوَّل، أي : ارفُقْ بنفسك واعمل على ما فيك من ضعف ! أو من الثاني، أي : أصلِح ما فيك من العيب أوَّلا !

ارْقَ على ظَلْعِكَ أن يُهَاضَ !

هذا كالذي قبله ؛ والهَيْضُ أن يكون العظم قد جُبر من كَسْر، ثمّ يُكْسَرَ ثانيًا . قال امرؤ القيس :

ويَهْدأُ تاراتٍ سَنَاهُ وتارةً ينُوءُ كتعْتَابِ الكَسِيرِ المَهِيضِ

وقال الآخر :

ومولًى كمولى الزِّبْرِ قان دمَلْته كما دمَلَت ساقٌ تهاضُ بها وقرُ[32]

يَرقُمُ المَاءَ .

الرَّقْمُ : الكَتْبُ . فيُضرب في الاستقامة والحذق . ويقال : فلان يرقم الماء، أي إذا بلغ من حذقه أنّه يرقم حيث لا يثبت الرقم . قال أوْس بن حجر :

سأرْقُمُ في الماء القَراحِ إليكُم عَلى نأيِكُمْ إن كان للماءِ راقمُ

وقد يقال : يرقُمُ على الماءِ لإرادة أنّه لا يثبت من عمله على شيء .

رِقَّةٌ يُنْتِجُهَا ذَنْب، خَيرٌ من حَسَنَةٍ يَتْبَعُهَا عُجْب .

هذا، فيما أظنّ، مثل مصنوع، وهو نحو قول الشيخ تاج الدين ابن عطاءالله في حكمه: معصيَةٌ أورثتك ذُلاًّ وانكسارًا، خيرٌ من طاعةٍ أو رَثتْكَ عِزًّا واستكبارا . وليس هدا محلّ تقرير هذا المعنى .

ركِبَ جَنَاحَيِ النَّعَامَةِ .

الرُّكُوبُ معروف، ركِب ـ بالكسر ـ، رُكُوبًا، الجَنَاحُ للطّائر معروف . والنَّعَامَةُ تقدّم ما فيها . وهذا المثل يقال لمن جدّ في أمر، كانهزام أو غيره . قال الشّمّاخ :

فمن يسْعَ أو يركَبْ جناحيْ نعامةٍ ليُدْركَ ما قدّمْتَ بالأمسِ يُسبَقِ

32) البيت لابن الطّيفان الدارمي، ويروى أيضًا هكذا :
ومَولًى كمولَى الزبرقان دمَلْتُه كَما انْدملت ساقٌ يُهاضُ بها الكَسْرُ

وهذا الشعر مرثيّ به عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، في أبيات معروفة .

ركِبَ ذَنَبَ البَعِيرِ .

ذنَبُ كلّ شيء ـ بفتحتيْن ـ: مؤخَّره، والجمع أذْنَابٌ، والبَعِيرُ معروف، وتقدّم ذكر مرتبته في أسنان الابل .

ويُقال هذا المثل للانسان يرضَى بالهُونِ ويقنع بالحظّ الناقص، كالذي لم يجد مستقرًّا على ظهر البعير، وإنّما ارتدف على الذنب . وقول النّابغة :

فإن يهْلِك أبو قابوسَ يهْلِكْ ... ربيعُ النّاس والشّهْرُ الحرامُ
ونأخُذ بعْدهُ بذنابِ عيشٍ ... أجَبٌ الظّهْرِ ليس له سَنَامُ

يحتمل أي يريد أنّه تعلّق بعيش صفته ما ذكر، ويحتمل أن يريد مع ذلك أنّه ما تمسّك منه إلاّ بالذنب، فيكون من هذا النّمَط

ركِبَ ذَنَبَ الرِّيحِ .

يقال للذي يَسْبِقُ فلا يُدْرَكُ .

ركِبَ مَتْنَ عَشْواءَ .

العَشْواءُ : الضّعيفة البصر، وهي مؤنّث الأعْشَى . ومن ركب متنها خبط وخلط . وتقدّم هذا في قولهم : **خَبَطَ خَبْطَ عَشْواءَ .**

رمَتْنِي بِدَائِهَا وانْسَلّتْ .

كان سعد بن زيد مَنَاة بن تميم تزوّج رُهْمَ بنتَ الخزرج بن تيم اللّه بن رفيدة بن كلب بن وبرة . وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد . وكان ضرائرها إذا سَابَبْنَها يَقُلْنَ لها : يا عفلاء ! فشكت ذلك إلى أمّها، فقالت : **ابْدَئِيهِنّ بعَفْلِكَ إذَا سَبَبْتِ**[33]**، فأرسلتها مثلا . ثمّ إنّها سابّتْها واحدةٌ من ضرائرها**

33) المشهور في هذا المثل : إذا سَابَبْنَكِ فابْدئِيهِنّ بعَفَالِ، سُبِيتِ».

يومًا بعد ذلك، فقالت لها رهم : يا عفلاء ! كما وصّتها أمّها . فقالت الضرّة حينئذ : رَمَتْني بِدَائِهَا وانْسَلَّتْ ! فذهب مثلا يُضرب في تعييرك صاحبك بعيب هو فيك .

ونحو هذا قول العامّة اليوم : قُولِي لَهَا قَبْلَ أن تَقُولَ لَكِ !

وكان أصله ـ فيما زعموا ـ أنّ امرأة عوراء سابّت امرأة فقامت بُنيّة للعوراء فقالت لأمّها : يا أمّ، قولي لها : يا عوراء، قبل أن تقوله لك !

وكان يقال لبني مالك بن سعد بنو العفلاء[34]، وبهم عرّض المنقري في قوله :

ما في الدّوائر من رجْليّ من عَتَلٍ عند الرّهان ولا أكْوى من العَفَلِ !

رَمَاهُ اللّهُ بِدَاءِ الذّيبِ .

دَاءُ الذّيبِ هو الجُوع، والذيب أصبر السباع على الجوع .

رمَاهُ اللّهُ بِأفْعَى حَارِيَةٍ !

الأفْعَى معروفة . والحَارِيَةُ : النّاقصة . تقول : حَرَى الشيء يَحْرِي حَرْيًا : نقص، وأحْراه الزمانُ، والحارية : الأفعى التي نقص جسمها من الكبر، فلم يبق إلاّ رأسها ونفسها وسمّها، وذلك أخبث ما تكون، فدُعي بها .

رمَاهُ بِأقْحافِ رأسِهِ .

الأقْحافُ جمع قِحْف ـ بكسر القاف وسكون الحاء المهملة ـ وهو العظم فوق الدماغ . ويقال هو ما انفلق من الجمجمة فبان، ولا يقال لجميع الجمجمة قِحْفٌ إلاّ أن يتكسّر، فيقال للمتكسّر قِحْفٌ إذا بان . والجمع أقْحافٌ وقُحُوفٌ . والمعنى : رماه بالدّواهي المهلكة . يقال للرجل تُسكتُه بداهية توردها عليه .

وقيل المعنى : رماه بنفسه ونطحه عمّا يحاوله .

فعلى الأوّل يكون المعنى أنّه لما رماه بالدواهي فكأنّه رماه بأفلاق رأسه، إذ رماه بما

34) ويقال لهم أيضًا العُفَيْلَى.

يؤول إلى ذلك . ويكون الضمير المضاف إليه رأسه للمرميّ . فتقول مثلا : رميت زيدًا بأفلاق رأسه .

وعلى الثّاني يكون المعنى أنّه باشر دفاعه بنفسه، فشبّه نفسه بالكبش النطّاح برأسه، والتعبير بالأقحاف حينئذ للمبالغة بأنّ كلّ جزء باشر النطح . والضمير يكون على هذا للرّامي، فتقول : رميت زيدا بأقحاف رأسي، واللّه أعلم .

ومثله قولهم :

رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الأثَافِيّ .

قال خفاف بن ندبة :

وإنّ قصيدةً شَنْعاءَ منّي إذا حضرتْ كثالِثَةِ الأثَافِي

أرْمَى من ابْنِ تِقْنِ .

ابنُ تِقْنِ - بكسر التّاء المثنّاة وسكون القاف بعدها نون - رجل كان جيّد الرّمي يضرب به المثل . قال الرّاجز :

يَرمي بِها أرْمَى من ابْنِ تقْنِ

وابن تِقْن هذا هو عمرو بن تِقْن الذي قيل فيه : لاَ فَتَى إلاّ عَمْرو ! وسيأتي إن شاء اللّه في موضعه مشروحًا .

ووقع في **الصحاح والقاموس** أنّ التّقن هو رجل كان راميًا جيّد الرمي وكأنّه مسامحة .

ثمّ رأيت للشّنتمريّ، في شرح قول الحماسي :

أهْلَك عادًا وقَبْلَهُ أهْلَكَ طَسْمًا وذا جُدُونِ

وأهْلَ جاشٍ ومَأربٍ وحَيّي لُقْمانَ والتُّقُونِ

قال : التُّقُونُ جمع تِقْن، وهو رجل من عاد، وفيه قيل : أرْمَى مِنِ ابْنِ تِقْنِ .

الأرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ .

هذا يُروى حديثا عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال : **الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تَعَارفَ منْها ائْتَلَفَ ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ .**

وهذا إخبار بأنَّ بين الأرواح تارة تناسبا باطنيًّا يوجب الالتئام والتوافق، وتارة تباينا يوجب الوحشة والاختلاف بإذن اللَّه تعالى، وهو مشاهَد مجرَّب . ومن ثمَّ قال أبو الطيِّب :

أُصادق نفسَ المرءِ من قبل جسْمِه   وأعْرِفُها في فعْلِه والتَّكلُّم

وقال [الآخر] :

وقائِلٍ لي : لم تفارَقْتُما ؟   فقُلتُ قولاً فيه إنْصافُ :
لم يكُ منَ شَكْلي ففَارقْتُهُ   والنَّـاسُ أشْكَـالٌ وأُلاَّفُ

وقال طرفة في أبيات :

وأنت امرؤٌ منَّا ولستَ بخَيْرِنا   جوادٌ على الأقْصى وأنتَ بخيلُ
وأنت على الأدْنى شمالٌ عريَّةٌ   شآمِيَةٌ تزْوي الوجوهَ بليلُ
وأنت على الأقْصى صبا غيرُ قرَّةٍ   تَذاءبَ منها ومُرْزِغٌ ومُسيلُ
وأعْلمُ علمًا ليس بالظَّنِّ أنَّه   إذا ذلَّ موْلى المرءِ فهْو ذليلُ
وأنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكُن لهُ   حصاةٌ على عوْراتِه لَدليلُ
وأنَّ امرءًا لم يعْفُ يومًا فُكاهةً   لِمَن لم يُردْ سُوءًا بها لجهولُ
تعارفُ أرواحُ الرِّجال إذا التقتْ:   فمنْهُم عدوٌّ يُتَّقى وخَليلُ

وقال المجنون :

تعلَّقَ روحي روحَها قبل خلْقنا   ومن بعدما كُنَّا نطافًا وفي المهْدِ

وقال ابن الرومي :

ذو الودِّ منِّي وذو القُربى بمنزلةٍ   وإخْوتي أُسْوةٌ عندي لخِلاَّنِ
أحبَّةٌ جاورَت آدابُهُم أدبي   فهُم وإن فُرِّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدتْ   أجْسامُنا بعِراقٍ أو خُراسانِ

والشعر في هذا المعنى لا يُحصى . ومثله المثل الآتي :

وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه .

اسْتَراحَ مَن لا عَقْلَ لَهُ .

الاسْتِراحَةُ ضدّ التَّعَب . تقول : أرَحْتُ الرَّجلَ فاسْتَراحَ ؛ وإنَّما استراح الذي

لا عقل له، لأنَّ النفس إذا خليت أخلدت إلى الشهوات الحاضرة ولا تُبالي بِعَزمَةٍ، ولا تستنكف عن مَنْقَصة كالبهيمة، والعقل ينزع بها إلى طلب الكمال والتحلّي بالحمد والتخلّي عمّا يذمّ . وفي ذلك إتعابها لجسمها عن مألوفها المسترذل، واقتحام الأخطار بها لاكتساب الثناء والفضل، وإطالة الهموم والأفكار عليها نظراً في عواقب الأمور، واحترازا عمّا يشين ويضير . ولذلك قال الحماسي[35].

يَا بُؤْسَ للحَربِ الَّتِي وضَعَتْ أراهِطَ فاسْتَراحُوا !

وقال الآخــر :

وقائِلةٍ : لِمْ عَرتْكَ الهُمومُ وأمْرُكَ مُمتثلٌ في الأُمَمِ ؟

فقُلتُ : ذريني على حالَتي فإنَّ الهُمومَ بقَدْرِ الهِمَمِ !

وسمع الأحنف رجلا يقول : ما أُبالي أمُدحت أم هُجيت ! فقال : استرحتَ من حيث تعب الكِرام !

وممّا ورد في العقل وفضله أنَّ آدم، لمّا أُهبط إلى الأرض، خُيِّر في ثلاث : الحياء والدين والعقل . فاختار العقل فقال : الحياء والدين أمَرَانَا أنْ لا نُفارق العقل.

وورد عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال : **ثَلاَثٌ مَن حُرِمَهُنَّ فَقَدْ حُرِمَ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ : عَقْلٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وحِلْمٌ يُدارِي بهِ السَّفِيه، وَوَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنِ المَحَارِمِ.**

وفي حكمة داوود عليه السّلام : على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، مالكًا للسانه، مقبلا على شانه.

وقال علي رضي اللّه عنه : لا مالَ أعْوَدُ من العقل، ولا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا وحدةَ أوحشُ من الجهل، ولا مُظَاهِرَ أحسنُ من المشاورة، ولا حسبَ كحُسنِ الخُلُق.

وقال مُطَرف بن الشخير : عقول النَّاس على قدر أزمانهم.

ويقال : ثلاثة تدلّ على عقول أهلها : الكتاب والرّسول والهدية.

وذكر المغيرة يوما عمر فقال : كان واللّه أفضلَ من أن يَخْدَعَ، وأعقل من أن يُخْدَعَ.

35) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد. وهذا البيت مطلع قصيدة قالها سعد في حرب البسوس الشهيرة.

وفي كتاب كليلة ودمنة : رأس العقل التمييزُ بين الكائن والممتنع.

وقال الحجّاج يوما : العاقل من يعرف عيبه . فقال له عبد الملك بن مروان : فما عيبك يا حجّاج ؟ قال : حسود حقود . فقال عبد الملك : ما في إبليس شرّ من هاتيْن !

ويقال : لا دين لمن لا عقل له.

وقال علي رضي اللّه عنه : لا تؤاخ الأحمق ولا الفاجر . أمّا الأحمق فدخُولُه عليك وخروجه من عندك شين، وأمّا الفاجر فيزيّن لك فعله ويودّ أن تكون مثله.

وقال أيّوب بن القرية : العاقل إن نطق أصاب، وإن سئل أجاب ؛ والأحمق إن تكلّم عجِل، وإن سُئل ذهِل . والفاجر إن ائتمنته خانك، وإن صحبته شَانَك.

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يعدم الأحمق خصلتيْن : كثرة الالتفات وسرعة الجواب.

وقال الحسن : هَجْرُ الأحمق قُربة . وقال : لا يتمّ دين امرىء حتّى يتمّ عقله.

وفي الحكمة : ينبغي للعاقل أن يتمسّك بستّ خصال : أن يحوط دينه، ويصون عِرضه، ويصل رحِمه، ويحفظ جارَه، ويرعى إخوانه، ويخزُن عن البَذَاء لسانَه . ويقال : الفقر بالعقل، والرزق بالجهل.

وحُكي أنّه قيل لعيسى عليه السّلام : ياروح اللّه، تُبرِئُ الأكمه والأبرص وتُحيي الموتى، فما دواء الأحمق ؟ قال : ذلك أعياني ! وكان كسرى إذا غضب على عاقل سجنه مع جاهل.

وقال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين، وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغرثان والسكران.

وفي الخبر : العاقل إن تكلّم غنم، وإن سكت سلم.

وممّا يُنسب لعلي رضي اللّه عنه :

يُقَاسُ المَرءُ بالمَرْءِ ... إذَا المَرْءُ مَاشَاهُ

فَلاَ تَصْحَبْ أخَا الجَهْلِ ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ

فَكَمْ مِن جَاهِلٍ أرْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ

ولِلشَّيءِ عَلَى الشَّيْءِ ... نَظَائِرُ وأشْبَاهُ

وللقَلْبِ عَلَى القَلْبِ ... دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

ولصالح بن عبد القدّوس :

ولأنْ يُعادِي عاقلاً خَيرٌ لَهُ ... مِن أن يكونَ لهُ صديقٌ أحمقُ
فأربأْ بنفْسكَ أن تُصادقَ أحمقًا ... إنَّ الصَّديقَ على الصَّديقِ مُصدَّق !
ولغيـره :
عَدوُّكَ ذو العقلِ أبقَى عليكَ ... وأجْدَى من الصَّاحِبِ الأحمقِ
ولغيـره :
قَد عَرفْناكَ بِاخْتيارِكَ إذْ كان ... دليلاً على اللَّبيبِ اخْتِيارُهُ
ولآخـر :
تحامَقْ معَ الحَمقَى إذا ما لقيتَهُمْ ... ولا تَلْقَهُم بالعقلِ إن كُنتَ ذا عقلِ !
ولآخـر :
إن جِئْتَ أرضًا أهْلُها كُلُّهُمُ ... عُورٌ فغمِّضْ عَيْنَكَ الواحِدهْ !

وقال هشام بن عبد الملك : يُعرف الأحمق بأربع : طول اللحية، وشناعة الكنية، ونقش الخاتم، وإفراط الشهوة.

ودخل عليه يوما رجل طويل اللحية فقال : انظروا فيه غيرها ! فسئل عن كنيته فقال : أبو الياقوت . فقيل : وما نقش خاتمك ؟ قال : وجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ.

ويُحكى مثل هذه القصَّة عن معاويةَ وأنَّها وقعت له مع رجل، إلاَّ أنَّه قال في الكنية: أبو الكوكب الدرّيّ، وفي نقش الخاتم : وتفقد الطير . وتقدَّم شبه هذا للمأمون العبَّاسي مع آخر، في حرف التَّاء.

وقيـل :
ألا إنَّ عقْلَ المرءِ عينا فُؤادهِ ... فإنْ لم يكُنْ عقْلٌ فلَن يُبصِرَ القَلبُ
آخـر :
لِسانُ الفتَى نِصْفٌ ونِصفٌ فُؤادُهُ ... فلمْ يَبقَ إلاَّ صُورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ !

وسيأتي من أجوبة الحمقى ومضحكاتهم شيء كثير.

أرادَ بَيْضَ الأنُوقِ !

يُضرب عند إرادة الممتنع . وتقدَّم في الباء وما فيه.

أرَدْتُ عَمْرًا وأرادَ اللَّهُ خَارجَةَ !

كثيرًا ما يُتمثَّل به عندما تقصد إيقاع شيء ثمَّ لم يتَّفق لك وأوقعت شيئا آخر مكانه . وهو من كلام أحد الخوارج الذي أرسلوه إلى مصر ليقتل عمرو بن العاصي، حيث اتفقوا على قتله وقتل أمير المؤمنين علي كرَّم اللَّه وجهه ومعاوية رضي اللَّه عنه. فذهب إلى كلّ واحد من الثلاثة من يقتله . فأمَّا علي كرَّم اللَّه وجهه فقتل وفاز ؛ وأمَّا معاوية فأصيب ونجا وقال في ذلك :

نَجوتُ وقَد بلَّ المُراديُّ سيفَهُ ... من آبْنِ أبي شَيخِ الأباطحِ طالبِ

وأمَّا عمرو فاستخلف خارجة المذكور، فنجا وقُتل خارجة . فقال القاتل : أردتُ عَمْرًا وأراد اللَّهُ خارجَةَ، أي أردت قتل عمرو فلم يتَّفق إذ لم يرده اللَّه تعالى، وأراد اللَّه أن أقتل خارجة، فوقع ما أراد اللَّه تعالى :

فما شِئْتَ كان وإن لم أشَأْ ... وما شِئْتُ إن لم تَشَأْ لم يكُن

والقصَّة مشهورة فلا نطيل بها.

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

ولَيْتَها إذْ فَدتْ عَمرًا بخارجةٍ ... فَدتْ علِيًّا بما شَاءتْ من البَشَرِ !

رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقُ !

رُوَيْدًا : مَهْلاً، وهو مصغَّر رَوْد . يقال : أرْوَدَ الرجلُ إرْوَادًا ومَرْوَدًا ورُوَيْدًا إذا رفَقَ . ويكون لفظ رُوَيْدًا على أوجه : اسم فعل أمر بمعنى أمْهِلْ، وتدخل عليه الكاف، نحو : رُوَيْدَ زيدًا، ورُوَيْدَكَنِي ؛ وصفة، نحو : سار سيرًا رويدًا ؛ وحالا، نحو : سار القوم رويدا، وهو محتمل لما قبله ؛ ومصدرا، نحو : رويدَ زيدٍ، بالاضافة.والغَزْوُ معروف . وهو إمَّا منصوب إن جعل رويد اسم فعل، أو مجرور إن جعل مصدرا . والمُرُوقُ : الخروج . يقال : مرقَ السَّهم وغيره، أي خرج.

وفي الحديث : يَمْرُقُونَ منَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّمِيَّةِ.

والمراد هنا خروج الوَلَد . كانت امرأة تغزو، فحبلت، فذكر لها الغزو فقالت : رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقُ ! أي أمهل الغزو حتّى يخرج الولد !

رُوَيْدًا يعْدُوانِ الجَدَدَ !

العَدَاءُ : المجاوزة . والجَدَدُ من الأرض خلاف الوعث . وتقدّم هذا المثل من كلام قيس بن زهير في رهان بينه وبين بني بدر . والضمير في يَعْدُوانِ للفرسَيْن المُجْرَيَيْن .

رُوغِي جَعَارِ .

الرَّوَغَانُ : الحَيْدودَة . يقال : راغَ الرجل، وراغَ الثَّعلب - بالغين المعجمة - يَروغُ رَوْغًا إذا مال وحاد عن الشيء ؛ وجعارِ علَمٌ على الضُبع، وتقدّم ما فيه . وقد يقال رُوغِي جَعَارِ وانظُرُ أيْنَ المفرّ[36] . يضرب في فرار الجبان، أو للذي يهرب ولا يقدر أن ينفلت .

أرْوَغُ من ثُعالَة .

ثُعَالَةٌ - بالضمّ - اسم لجنس الثعلب، معروفة ؛ ورَوَغَانُ الثعلب في غاية الخفَّة والسرعة . فضُرب به المثل . يقال : أرْوَغُ مِن ثُعَالَة ، وأرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ، وراغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ . قال الشاعر :

فاحْتلْتُ حينَ صَرَفْتَني والمرءُ يعْجزُ لا مَحَالَهْ
والدّهْرُ يلْعَبُ بالفتَى والدّهْرُ أرْوَغُ مِن ثُعَالَهْ
والمَرءُ يكسِبُ مَالَه والشحُّ يُورِثُهُ الكَسَالَهْ
والعبْدُ يقْرعُ بالعَصَا والحُرُّ تكْفيهِ المقَالَهْ[37]

وقال الآخر في الثعلب :

---

36) هكذا في كل المخطوطات . والمعروف في نص هذا المثل : «رُوغِي جَعَارِ وانظري اين المفرّ».
37) حرفت «المقالة» في د، فكتبت «الملالة».

وكُلُّ خِلٍّ لِيَ خالَلْتُهُ لا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ واضِحَهْ
كلُّهُمْ أَرْوَغُ مِن ثَعْلَبٍ ما أشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارحَهْ !

ويُحكى أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي اللّه عنه قال يوما وهو على المنبر : إنَّ الذين قالوا ربّنا الله ثمَّ استقاموا ولم يروغوا روغان الثعلب .

ولمَّا هزم المهلَّب بن أبي صفرة عبد ربّه الأصغر وأجلى قطَريًّا حتَّى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان، أوفد على الحجَّاج كعب بن معدان الأشقري[38] . فقال له الحجَّاج : كيف كان محاربة المهلَّب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة سار كما يَسُورُ الليث، وإذا دهمته الطُّحْمَةُ راغ كما يروغ الثعلب، وإذا مادَّه القومُ صبر صبر الدهر . قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاقُ الوالِد الحدِب، وله مناطاعة الولَد البرّ . قال : فكيف أفلتكم قَطَريّ ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه به، والأجَل أحصن جُنَّة وأنفذ عُدَّة . قال : فكيف اتَّبعتم عبد ربّه وتركتموه ؟ قال : آثرنا الحدَّ على الفَلّ، وكانت سلامة الجند أحبَّ إلينا من شَجَب العدوّ . فقال له الحجَّاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائي ؟ قال : لا يعلم الغيب إلاَّ اللّه !

قوله : شَجْب العدوّ، أي هلاكه . يقال شَجَبَ الرجلُ يَشْجُبُ شَجْبًا . قال امرؤ القيس :

وقالت : بنفْسيَ شبابٌ له ولِمَّتُه قبل أن يشْجُبَ

الرَّاويةُ أحَدُ الهَاجِينَ .

يقال : رَوَى الشعر ـ بالفتح ـ يَرْويه، فهو رَاوٍ، ورَاوِيَةٌ ـ بزيادة الهاء للمبالغة ـ، كما في مُدْرِكَة وعَلاَّمَة، ورَوَّيْتُهُ أنا تَرْوِيَةً . والهَجْوُ والهِجَاءُ معروف .

ويعنون بهذا الكلام أنَّ من رَوَى الهجوَ وأشاعه في النَّاس فهو كمن قاله أوَّلاً، فيكون أحد الهاجين، كما يقال في الغِيبة إنَّ المستمع شريكُ القائل إذا لم يُنْكِرْ ولا عذر، فكيف بمن يحكي ويأثره ؟ كما قيل :

لعَمرُك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ولكنَّما سبَّ الأميرَ المُبلِّغُ !

38) حرف «الاشقري» في د فكتب : «الاشعري».

ولأجل ما وقع للنّابغة الذبياني في بني سيار، وكان النّابغة قد نهى قومه أن يتربّعوا حِمى النعمان بن الحرث الغسّاني، فعصوه، وتربّعوه، فأغار عليهم . وقال النّابغة في ذلك :

لقد نهَيتُ بني ذُبْيانَ عن أُقُرٍ وعن تربُّعِهِم في كُلّ أصْفارِ
وقلتُ : يا قومُ إنّ اللّيث مُنقبضٌ على براثِينه لوثْبَة الضّاري[39]

وهي قطعة مشهورة، منها :

إما عُصيتُ فإنّي غير مُنفلتٍ منّي اللّصابُ فجنْبا حرّةِ النّار[40]
أو أضَع البيت في سوداءَ مُظْلمةٍ تُقيّد العير لا يسري بها السّاري[41]

يريد أنّه يلج الشعاب الضيّقة أو المهامه الفيح حتّى لا يصل إليه الجيش، ثمّ إنّه لم يفعل ذلك حتّى أصابته الغارة مع قومه وأُسر بعض أهله فيمن أُسر . فقال في ذلك بدر بن حزاز الفزاري يعيّر النّابغة :

أبْلغْ زياداً وحيْنُ المرءِ مُدركُه وإن تكيّس أو كان ابْنَ أحذَارِ[41م]
اضْطرّك الحِرزُ من ليلى إلى بُرَدٍ تخْتارُهُ معْقلاً عن شجٌ أعْيارِ
حتّى لقيتَ ابْن كهْف اللّؤمِ في لجبٍ ينْفي العصافيرَ والغِربانَ جرّارِ
فالآن فاسْعَ بأقْوامٍ غررتَهُم بني ضبابٍ ودعْ عنْك ابن سيّارِ
قد كان وافِد أقْوامٍ فجاء بهِم وانتاش عانِيَهُ من أهْلِ ذي قارِ !

ثمّ إنّ النّابغة بلغه أنّ زبان وخزيمة ابنيْ سيار أعانا بدرا ورويا شعره، فقال في ذلك :

ألا مَن مُبْلغٌ عنّي خُزيْمًا وزبّانَ الّذي لم يَرعَ صِهْري ؟
فإيّاكُمْ وعُوراً داميَاتٍ كأنّ صِلاءَهُنّ صِلاءُ جَمْرِ !
فإنّي قَد أتاني ما صنَعْتُمْ وما رشّحْتُمُ من شِعْرِ بَدْرِ
فلم يكُ نَولُكُم أن تُشْقذوني ودُونِي عازبٌ وبلادُ حجْرِ[42]

---

39) في الديوان : «.. لعدوة الضاري».

40) في الديوان : فإن عصيت...

41) في الديوان : فموضع البيت في سوداء مظلمة تقيّد العَيْرَ عن شدٍّ وتكرار

41 م) في المخطوطات «ابن حرار» وهو تصحيف . والتصحيح من المرصع لابن الأثير.

42) في الديوان : «..وجبال حجر».

فإنَّ جوابَهـــا في كُلِّ يومٍ ألـمَّ بأنْفُسٍ منكُـمْ ووفْـرِ[43]
ومَن يتربَّصِ الحدثَـانَ تنْـزِلْ بمَـــولاَهُ عوانٌ غيـرُ بكْـــرِ[44]

رَوِّتحزمْ، فَإذا استَوْضَحْتَ فَاعْزِمْ !

يقال : رَوَّيت في الأمر - بالتضعيف -: نظرتُ فيه وتَفَكَّرتُ، والحَزْمُ والحَزامَةُ : ضبط الأمر والأخذ فيه بالقوّة والجدّ . يقال : حزُم الرجل - بالضمّ - يحزُم حزامة فهو حازم. واستيضاحُ الشيء : استكشافه أو جعله واضحا . والعزم معروف..

ومعنى المثل أنَّ مِن حَزْم الانسان أن يتروّى في الأمر ويتفكّر في مجاريه وعواقبه إذا أراد أن يأتيه، حتّى إذا تبيَّن له أنَّه محمود فليقدم عليه بعزم ولا يتوان فيه حتَّى يدركه فتور فيتعطَّل .

أرْوَى مِن نَمْلَةٍ .

يقال : رَوِيَ من الماء - بالكسر - يَرْوَى رَيّا، فهو ريّانٌ، والنَّملة واحدة النَّمل، وهو معروف . وإنَّما وُصفت بالرِّي لأنَّها تكون في الفلوات فلا ترد الفلوات، وهذا من المجاز .

أرْوَى مِن نَعَامَةٍ .

النَّعامة معروفة، وتقدَّم الكلام عليها . ووُصفت بالرِّي أيضا لما يزعمون من أنَّها لا تشرب الماء ولا تطلبه، وإن رأته شربته عبثًا.

رَهَبُوتَى خَيْرٌ مِنْ رَحَمُوتَى .

الرُّهْبُ : الخَوفُ . يقال : رَهِبَ - بالكسر - رَهْبَةً ورَهْبًا - بالضمّ والفتح - ورَهَبًا - بفتحتين - والاسم منه الرُّهَباء - بالمدّ وبالقصر مضموما ومفتوحا . ويقال رَهَبُوتٌ - بزيادة تاء للمبالغة - كمَلَكُوتٍ، ورهَبُوتَى - بألف مقصورة -، والرَّحمة :

43) في آخر الشطر الاول بالديوان : «....معا كل ركب».
44) في الديوان : «...ينزل بساحته عوان...».
وقد وردت هذه الأبيات بغير هذا الترتيب في الديوان، فلتراجع.

العطف والرقّة، رَحِمَهُ - بالكسر - رحمةً، ورُحْما - بالضمّ وبضمّتين - ومرحمة ؛ والرَّحَموت من الرحمة استُعمل للازدواج .

والمعنى أنّك أن تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَم، لأنّ المرهوب عزيز ممتنع، والمرحومَ بِمَحَلٍّ عُدوان العادين .

تَرْبَعُ وتَدْسَعُ

وممّا يلتحق بهذا الباب قوله صلّى اللّه عليه وسلّم في خطبته يروى عن ربّه تعالى يَقُولُ لِعَبْدِهِ : **أَلَمْ أُوتِكَ مالاً وأُفْضِلْ عَلَيْكَ، فماذا قَدَّمْتَ ؟** وفي رواية : **أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً وجَعَلْتُكَ تَربَعُ وتَدْسَعُ ؟** فقوله : تربع وتدسع تمثيل . وأصله في الرئيس من العرب كان يربع قومه، أي يأخذ المِربَاع وهو ربع المغنم إذا غزوا ؛ ويدسع، أي يعطي الدَّسيعة وهي العطيَّة . ومنه قولهم : فلان ضَخْم الدَّسِيعَة .

وقولهم :

رَجَعَ عَوْدَهُ على بَدْئِهِ .

أي رجع في الطريق الذي جاء منه . ويقال أيضا : رجَعَ في عَوْدِهِ وبَدْئِهِ، وفي عَوْدَتِهِ وبَدْئَتِهِ، وعَوْداً وبَدْءاً .

وقولهم :

مَرحَبًا وسَهْلاً .

أي صادفتَ سعةً . ويقال أيضا : مَرحَبَكَ اللّهُ ومَسْهَلَكَ ! ومَرحَبًا بِكَ اللّهُ ومَسْهَلاً ! وقولهم في الايعاد والتهديد :

رعَدَ فُلانٌ وبَرَقَ .

وتقدّم ما فيه .

وقولهم :

ارقَعْ ما أوْهَيْتَ !

أي أصلِحْ ما أفسدتَ . وأصله في السقاء ونحوه إذا أوْهَاهُ، أي خرقه رقعه .
وقولهم :

ركِبَ فُلانٌ عُرْعُرَهُ،

أي ساء خلقه . والعُرْعُرُ ما بين المنخرين، وعُرْعُرَةُ الأنف : أعلاَهُ . وكذا عُرْعُرَةُ الجبل وعُرْعُرَةُ السَّنام . كلّ ذلك بضمّ العين . وهذا مثل قولهم :

ركِبَ رأسَهُ .

وقولهم :

رمَاهُ بالذَّرَبَيْنِ،

أي بالشرّ والخلاف .[45]
وقولهم :

رُويْدَ الشِّعْرَ يَغِبَّ !

يقال : غبَّ الرجل وأغب إذا بات .[46]

ومن الأمثال الجارية على الألسن قولهم :

رُبَّ حِيلةٍ، أنْفَعُ من قَبيلَة .

ولنذكر في هذا الباب من الأمثال الشعرية ما تيسر وما جرى على مثالها، وانتسج على منوالها

45) في لسان العرب : ويقال : ألْقَى بَيْنَهُم الذَّرَبَ، أي الاختلاف والشّر.
46) ذكر الميداني (1 : 288) لهذا المثل معنيين : 1) دع الشعر حتى تأتي عليه أيام فتنظر كيف خاتمته أيُحمّد أم يُذمّ، 2) دع الشعر يتأخر عن الناس حتى لا يملّوه.

قال البارقي :

فألْقت عصاها واسْتقرَّ بها النَّوى　　كما قرَّ عينـًا بالايابِ المُسافرُ

وقبلـه :

وحلَّت سُليْمى في هضابٍ وأيْكةٍ　　فليس عليها يومَ ذلكَ قادرُ

قيل : كان يزيد بن عبد الملك يقول : ما يـقِرُّ عيني بما أُوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة وحبابة - جاريتان لبعض أهل الحجاز - حتَّى اشتـُريتا له . فلمَّا اجتمعتا في ملكه قال : أنا اليوم كما قال الشاعر : فـَألـْقـَتْ عـَصـَاهـَا... (البيت). ثمَّ قال : ما يشاء بعدُ من أمور الدنيا فـَلـْيـَفـُتـْنـِي.

ويقال لمَّا بويع لأبي العبَّاس السفَّاح قام خطيبا، فسقط القضيب من يده فتطيـَّر من ذلك . فقام رجل وأخذ القضيب ومسحه ودفعه إليه وأنشد : فـَألـْقـَتْ عـَصـَاهـَا... (البيت).

وقيل إنَّ قـُتـَيـْبـَةَ بن مسلم لمَّا قدم واليا على خراسان رَقِيَ المنبرَ ليخطب، فسقطت المخـْصـَرَةُ من يده فتطيـَّر من ذلك . فقام بعض الأعراب فمسحها وناوله إيـَّاها وقال : أيـّها الأمير، ليس كما ظنَّ العدوّ وساء الصديق، ولكنـَّه كما قال الشاعر : وألـْقـَتْ عـَصـَاهـَا... (البيت) ! فسُرِيَ عنه . وقيل هو القائل ذلك.

ومثل هذا ما روي أنَّ خالد بن يزيد لمَّا دخل الموصل واليـًا عليها اندقَّ منه اللواء في بعض أبوابها، فتطيـَّر من ذلك، فبادره أبو الشمقمق، وكان معه، قائلا :

ما كان مَـنـْدقُّ اللـّواءِ لطيرَةٍ　　تـُخـْشى ولا سُوءٍ يكون مُـعجَّلا

لكنَّ هذا الرُّمْحَ أضـْعفَ متـْنـَهُ　　خطرُ الولايـَةِ واستقـَلَّ الموصِلاَ

فسُرِّي عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديار ربيعة، فأعطى أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم . ومثل ذلك ما حكي أنَّ طاهر بن الحسين لمَّا خرج لقتال علي بن عيسى بن مـَاهـَانَ وفي كـُمـّه دراهم يفرّقها على الضعفاء، وغفل عنها فأسبل كمـَّه فتبدَّدت، فتطـَّير بذلك . فأنشده شاعر كان معه :

هـَذا تفرّقُ جمـْعِـهِم لا غـَيـْرُهُ　　وذَهابـُها منـْهُ ذهـَابُ الهـمِّ

شيءٌ يكونُ الهمُّ نصفَ حـُروفِـهِ　　لا خـَيـْرَ في إمـْساكِـهِ في الكـُمِّ

والعرب ضربت المثل بإلقاء العصا في الاستقرار، والرّاحة من الأسفار، ولذلك قال حبيب :

كريمٌ إذا ألْقَى عَصَاهُ مُخيّمًا ... بأرضٍ فقَدَ ألْقى بها رحْلَه المجْدُ

وقال ابن عُنَيْن :

ولمَّا استقرّت في ذَرَاه بي النّوى ... وألْقَت عصاها بين مُزدحمِ الوفْد

تنصّلَ دهْري واستراحَتْ من الوجَى ... قَلُوصي ونامت مُقلتي وعلا جدّي

وقال عمارة اليمني :

إنَّ الكفالة والوزارةَ لم تزلْ ... يُومَى إليكَ بفعْلِها وتُشَارُ

كانت مُسافِرةً إليْكَ وتُبْعِدُ ... الأخْطارَ ما لم تُركَبِ الأخْطَارُ

حتَّى إذا نزلَت عليكَ وشاهَدتْ ... ملِكًا يزينُ المُلْك منْهُ سِوارُ

ألقَتْ عَصاها في ذَرَاهُ وعُريتْ ... عنها السُّروجُ محُطَّتِ الأكْوارُ

وقال صرُّدُرّ :

على رسْلِكم في الهجر إنّ عصابةً ... إذا ظفِرت بالحُبّ ضلّ ضميرها

سواءٌ على المُشْتاقِ والهجْرُ حظّها ... أألْقت عصاها أم أجدّ بُكُورُها

وقال أيضا :

أنعمت في نَعْماءَ مُطْمئِنّه ... تحكّم الفُؤاد فِي أطْرافِهِ

ألْقت عصاها وارْتَمَت ركابُها ... في سُرَرِ الوادي وفي شعافِهِ

وقال الحسين بن إبراهيم :

ألا ليتَ شعْري هلْ أقولنّ مرّةً ... وقد سكَنتْ ممّا أجُنُّ الضّمائرُ

ومالي إلى باب المُحجّبِ حاجةٌ ... وما بيَ عمّا يخْفِضُ العرضَ زاجِرُ

فألقَت عصاها واستقرّ بِها النّوى ... كما قرّ عينًا بالايابِ المسافرُ

وقال الآخـر :

إذا لم ير الانسانُ عِنْد قدومِه ... مُحيّاك مثل البدرِ والبدرُ سافرُ

فأُقسمُ ما ألقَت عصاها يدُ النّوى ... ولا قرّ عينًا بالايابِ المسافرُ

وقال كليب بن ربيعة، أو طرفة :

يا لَكِ من قُبَّرةٍ بمعْمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِري

ونَقِّري ما شِئْتِ أن تُنَقِّري !

وتقدّم ذكر هذا وما فيه .

وقال المجنون :

أمُرُّ على الدّيار ديارِ ليلى أُقبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا

وما حُبُّ الدّيار شَغَفْن قلْبي ولكن حُبُّ من سكَن الدّيارا

وتقدّم ما يشبهه في حرف الباء .

ومثله أيضًا قول الآخر :

فإن تَدعي نجْدًا أدعْهُ ومن به وإن تسكُني نجْدًا فيا حبَّذا نجْدُ!

وقبل هذا البيت :

سقى دمْنتيْنِ ليس لي بهما عهْد بحيث التقَى الدّاراتُ والجرعُ الكُبْدُ

فيا ربْوةَ الرَّبْعينِ حُيِّيتِ ربْوةً على النَّأيِ منَّا واستهلَّ بكِ الرَّعدُ !

قضيتِ الغواني غيرَ أنَّ مودّةً لذلفاء ما قضَّيتِ آخرها بعْدُ

إذا ورد المِسْواك ظَمآن بالضُّحى عوارض منها ظلَّ يُخْصِرُه البردُ

وألْين من مسِّ الرُّخاماتِ يلْتقي بمارنِه الجاديّ والعنبرُ الوردُ

جرى نائباتُ الدّهرِ بيني وبينها وصرفُ اللَّيالي مثلُ ما جَرَتِ البردُ

فإن تَدعِي نجْدًا... (البيت)

وبعده :

وإن كان يومُ الوعْدِ أدنى لقائنا فلا تعذليني أن أقُولَ متى الوعْدُ !

وقال تأبَّط شرًا :

وأُبْتُ إلى بهْمٍ وما كِدتُ آئبًا وكم مثلِها غادرتُها وهْيِ تصفرُ !

والشطر الثاني مَثَل سائر في عدم الاكتراث بالشيء .

ومن لطائف شرف الدين الحلاوي أنّه أُنشد بين يديه لغز في الشبابة، وهو :

وناطقةٍ خرْساء بادٍ شحوبُها تكنَّفها عشرٌ وعنْهُنَّ تُخْبِرُ

يلذُّ إلى الأسماعِ رجْعُ حديثِها إذا سُدَّ منها منخَرٌ جاشَ منخرُ

وهذا الشطر الأخير لتأبَّط شرّا أيضا ضمَّنه، فأجاب في الحال :

نهاني النُّهى والشَّيبُ عن وصل مثلِها وكم مثلِها فارقْتُها وهيَ تصفرُ !

فضمَّن تضمينا حسنا ونقل المعنى إلى الشبابة، فوقعت لفظةُ « تصْفِرُ » أحسن موقع.

وقال الآخــر :

كم تركَ الأوَّلُ للآخِرِ !

وهو مثَل مشهور ضمَّنه أبو تمَّام في قوله :

يقول مَن تقْرعُ أسْماعَهُ : كم تركَ الأوَّلُ للآخِرِ !

أو هو المخترع .

وضدّه قول الآخر :

لم يَـدَع مَـن مضَى لـلَّـذي قـد غَبَـرْ
فضْـلَ عِلـمٍ سـوى أخْـذهِ بالأثَـرْ

وقال الآخــر :

سوفَ ترى إذا انْجلى الغُبارُ أفرسٌ تحْتَك أمْ حِمَارُ

غيــره :

فيا عَطشى والما الزُّلالُ أخوضُه ويا وحْشتي والمؤنسونَ كثيرُ !

وقال بعض الأعراب :

دبَبتَ للمجْد والسَّاعون قد بلغوا جهْد النُّفوس وألقوا دونهُ الأزُرا
وكابدوا المجْد حتى ملَّ أكثرهُم وعانَق المجْد من وافى ومن صَبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكِلُه لن تبلُغَ المجد حتى تلعَق الصَّبرا!

وقال الأخطل :

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرهُمْ دون النِّساءِ وإن باتَت بأطهارِ

حكى أبو العبَّاس المبرّد في **الكامل** أنَّ صاحب اليمن بعث إلى عبد الملك بن مروان بجارية وكتب معها : **إنـّي وجَّهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها . وكان ذلك وقت محاربتهم لابن الأشعث . فلمَّا دُخِل بالجارية على عبد الملك، رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا . فألقى إليها قضيبا كان في يده، فنكست لتأخذه فرأى من جسمها**

ما بهره . فلمَّا همَّ بها أعلمه الآذن أنَّ رسول الحجَّاج بالباب . فأذن له ونحَّى الجارية، فأعطاه كتابا من عبد الرحمان بن الأشعث فيه سطور أربعة :

سائل مجاور جرم هل جَنيتُ لهم حربًا تُزيِّل بين الجيرةِ الخُلُطِ ؟

وهل سموتُ بجرّار له لَجَبٌ جمٌ الصَّواهِل بين الجُمِّ والفُرطِ ؟

وهل تركتُ نساء الحيِّ ضاحيةً في ساحة الدار يستوقدن بالقنَطِ

وتحتــه :

قَتل المُلوكَ وسار تحت لوائِـهِ شجرُ العُرَى وعراعِـرُ الأقـْوامِ

فكتب إليه عبد الملك كتابا وجعل في طيّه جوابا لابن الأشعث :

ما بال من أسعى لأجْبُـرُ كسرهُ حفاظًا وينوي من سفاهتِـه كسري[47]؟

أظنّ خُطوبَ الدّهر بيني وبينهُم ستحملُهم منّي على مركبٍ وعْرِ

وإني وإيَّاهم كمن نبَّه القَطا ولو لم تُنبَّه باتت الطَّيرُ لا تسري

أناةً وحِلمًا وانتظارًا بهم غدًا وما أنا بالواني ولا الضَّارع الغمرِ

قال : ثمَّ بات يقلب كفَّ الجارية ويقول : ما أفدت فائدة أحبَّ إليَّ منك ! فتقول : ما بالك يا أمير المؤمنين، وما يمنعك ؟ فقال : ما قاله الأخطل لاني ان خرجت منه كنت ألأم العرب :

قومٌ إذا حاربُوا... (البيت)

فما إليك سبيل أو يحكم اللّه بين وبين عدوّ الرحمن [بن الأشعث . فلم يقربها حتَّى قُتل عبد الرحمن][48]

وقال الآخــر :

اللّــه يشكُــر ما مَنَنْتَ به إذ كان يقْصُر دونَهُ شُكْرِي

غيــره :

إلهي زد في عُمرهِ من حياتنا وأعْمارنا حتَّى يطولَ لَـه العُمرُ !

غيــره :

أبى اللّه تدبير ابنِ آدم نفسَه وأن لا يكونَ المرءُ إلاّ مُدبَّرا

---

47) كذا في كل المخطوطات، وهو غير مستقيم وزنًا، ولعل الصواب : حفظًا وينوي...

48) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

غيـــره :

أخافُ عليكَ من سيفٍ ورُمحٍ　　طويلُ العُمر بينهُما قصيرُ

غيـــره :

إذا أنت لم تزرعْ وأبْصرتَ حاصداً　　ندمتَ على التّفْريط في زمن البذْرِ

غيـــره :

إذا صحّ عونُ اللهِ للمرء لم يكُن　　عسيرٌ من الآمالِ إلاّ تيسَّرا

غيـــره :

إذا لم تكن في منزل المرءِ حُرّةٌ　　تُدبّره ضاعت مصالحُ دارهِ[49]

غيـــره :

تبقى المنابرُ بعد القومِ باقيةً　　ويذهبُ المالُ والأيّامُ والعُمُرُ

غيـــره :

تشتاقُكم كلُّ أرضٍ تنزلُونَ بها　　كأنّكُم لبقاعِ الأرضِ أمْطارُ

غيـــره :

تعب المُنجّمُ حيث أفْنى عُمرَه　　في عِلم ما لا تُدركُ الأفْكارُ

غيـــره :

تُميّزُ البعضَ في الألفاظ إن نطقوا　　وتعرف الحِذقَ في الألحاظ إن نظروا

غيـــره :

تُنسى مرارةُ كُلِّ نازلةٍ　　بحلاوةٍ في النّهْيِ والأمْرِ

غيـــره :

ثقةُ الفَـــتى بِزمـــانِهِ　　ثِقَةٌ مُحلّلَةُ العُـــرَى

غيـــره :

ثلاثةٌ موصوفةٌ تجْلو البصرْ:　　الماءُ والوجهُ المليحُ والخُضر[50]

غيـــره :

---

49) في د : مدبّرة ضاعت...

50) حرفت «تجلو» في د، فكتبت «تجلي».

جار الزّمانُ علينا في تقلّبِهِ   وأيُّ دهرٍ على الأحرارِ لم يجُرِ ؟

غيـــره :

جاء البشيرُ مبشّرًا بقُدُومِكُم   فمُلِئْتُ من قَولِ البشِيرِ سُرورًا

غيـــره :

جَاوِرْ إذا جاوَرْتَ بحرًا يا فَتى   فالجارُ يشرُفُ قدرُهُ بالجارِ !

غيـــره :

حُبِّي لكم طبعٌ بغيْرِ تكلُّفٍ   والطَّبْعُ في الانسانِ لا يتَغيَّرُ

غيـــره :

خاطِر بنفسِك لا تقْعُد بمَعْجَزَةٍ   فليس حُرٌّ على عجْزٍ بمعْذورِ !

غيـــره :

خُذ ما صَفالك فالحياةُ غُرورُ   والدَّهْرُ يعْدلُ تارةً ويجورُ

غيـــره :

خيرُ ما ساعد الرِّجالَ نساءٌ   صالحاتٌ يكُنَّ خلْفَ السُّتورِ

غيـــره :

دخولُك من بابِ الهوى إنْ أردتَهُ   يسيرٌ ولكنَّ الخُروجَ عسيرُ

غيـــره :

دعِ النَّومَ للنُّوّامِ إنَّكَ إن تَنم   فإنَّك نصْف العُمر تُغبَنُ خاسرا

غيـــره :

ذروني للغِنى أسْعَى فإنِّي   رأيتُ النَّاس شرُّهُمُ الفَقِيرُ

غيـــره :

رأيتُ بلاد اللّه وهْي عريضةٌ   على الخائِف المذعور أضيقَ من قبر

غيـــره :

رأيتُك مثل الجوزِ يمنَعُ لُبَّه   صحيحًا ويُعطي لُبَّه حين يُكسرُ

غيـــره :

رُبَّ فقيرٍ غنيٌّ نَفْسٍ   وذي غنًى بائسٌ فقيرُ

غيـــره :

ردّك اللّه إلينـا سالمـًا بعد غُنْمٍ ونجاحٍ وظَفَرْ !

غيـــره :

زُرتني قبل أن أزورك شَوْقًا فلَك الفضلُ زائرًا ومَزورا !

غيـــره :

زعمْتُم بأنّ الصَّبر أكْرمُ صاحبٍ صدَقْتُم ولكن قد تقضَّى به العمُر

غيـــره :

سأكتُم حاجاتي عن النَّاس كلِّهِم ولكنَّها للنَّاس تبدو وتظْهرُ

غيـــره :

سرورُ شَهْرٍ وغمُّ دهْرٍ ووزْنُ مهْرٍ ودقُّ ظهْرٍ

غيـــره :

سيصرفُ اللّه ما تخْشى وتحذَرُهُ فاصبِر قليلاً فعُقبى صبرك الظَّفر !

غيـــره :

شبابُ المرءِ ثوبٌ مُستعارُ وأيَّامُ الصِّبا أبدًا قِصارُ

غيـــره :

صفْقَةٌ غيرُ خَاسِرَهْ : بيْعُ دُنْيا بِآخِرَهْ[51]

غيـــره :

ضيَّعْت وقْتكَ في المُحالِ فلا تُضيِّعْ وقْت غيركْ !

غيـــره :

عبارتُنا شتَّى وحُسنُك واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمالِ يُشيرُ

غيـــره :

عَتبْت على عمْرٍو فلمَّا فقدتُه وجرَّبْت أقْوامًا بكيت على عمْرِو

غيـــره :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعُه وليس عليه أن يُساعدَه الدَّهر !

غيـــره :

51) حرف الشطر الأخير في ب فكتب : بيعم دنيا وآخرة.

قبُحت مناظرهُم فحينَ خبرتُهُم حسُنت مناظرهُم لقُبحِ المخْبر

غيـــره :

قد كُنت أبكي ودَاري منْكَ دانيةٌ فكيف صبْري وقد شطَّت بي الدَّار ؟

غيـــره :

قد كُنت أسمع ما أرى فيروعُني واليوم ليس يروعُني ما أنْظُر !

غيـــره :

قد كُنت أحذَرُ من دهْري وأحذرُه حتَّى قدمْتَ فزال الرَّوع والحَذرُ

غيـــره :

قَضى اللَّه في بعضِ المكارمِ للفتى بخيرٍ وفي بعضِ الهوى ما يُحاذرُ

غيـــره :

قفْ لنا في الطَّريق إن لم تزرنا: وقفْةٌ في الطَّريق نصف الزِّيارهْ !

غيـــره :

قومٌ إذا أكلوا أخْفَوْا كلامَهُم واستوثَقوا من رِتاجِ الباب والدَّارِ

غيـــره :

كأنَّ العام ليس بعامِ حجٍّ تغيَّرتِ المواسِمُ والدُّهورُ!

غيـــره :

كفى حسوديَ جهْلاً أنَّه رجلٌ مُعاندٌ لقضاءِ اللَّه والقدرِ !

غيـــره :

كلُّ امرىءٍ حَسنٌ في عينِ والدهِ والخُنْفُساءُ تُسمِّي بنْتها القَمرا

غيـــره :

كلُّ عيبٍ تراهُ في الغيرِ بالظَّنّ لهُ فيكَ باليَقِيـنِ نَظِيـرُ

غيـــره :

كنتُ مِن كُربَتي أفرُّ إليهِمْ فهُمُ كُربَتي فأينَ الفرارُ ؟

غيـــره :

لأستسهلنَّ الصَّعْب أو أُدركَ المُنى فما انقادتِ الآمالُ إلاَّ لصابِرِ

غيـــره :

لقد طال هذا القيلُ والقالُ بيننا — وما طال قوْلُ الشَّرح إلاَّ ليقْصُرا

غيـــره :

لقد كُنت مُحْتاجًا إلى موتِ زوجتي — ولكنْ قرينُ السُّوء باقٍ مُعمَّرُ

غيـــره :

لكُمُ الأرضُ كلُّها فَأعِيرُوا — عبْدكُم ما احْتَوى عليه جِدارُهْ !

غيـــره :

ليُّ النّقابِ على القباحِ فريضةٌ — وعلى المِلاح خطيئةٌ لا تُغْفَرُ

غيـــره :

ليس ارتِحالُك في كسْبِ العُلا سفرًا — بل المُقامُ على ذلٍّ هو السَّفرُ

غيـــره :

ليس التَّفضُّلُ منْك أمْرًا نادرًا — لكنَّ مثْلكَ في التَّفضُّلِ نادرُ

غيـــره :

ليس السعيدُ الذي دُنياه مسعدةٌ: — إنَّ السَّعيدَ الذي ينجو من النَّار

غيـــره :

ليس لما ليسَت لَه حيلةٌ — موجودةٌ خيرٌ من الصَّبرِ

غيـــره :

ما العُمر ما طالت به الدُّهور — العُمر ما تمَّ به السُّرورُ

غيـــره :

ما بال داركَ حين تدخل جنَّةً — وببِاب داركَ مُنكرٌ ونكيرُ ؟

غيـــره :

ما حكَّ جِسمكَ غير ظفْركْ — فتولَّ أنت جميع أمْركْ !

غيـــره :

ما ذاق طَعمَ الغِنى فَلا قناعَ له — ولا ترى قانِعًا في النَّاس مُفتقرا[52]

---

52) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب «...من لاقناع له».

غيـــره :

ما كان ذاك العيشُ إلاّ سكرةً   لذّاتُها ذهبتْ وحلّ خُمارُها

غيـــره :

ما كلُّ من زار الحِمى سَمِع النّدا   من أهله : أهلاً بهذا الزّائر !

غيـــره :

ما يضرُّ البحرَ أمْسى زاخِراً   أن رمى فيه سفيهٌ بحجَرْ !

غيـــره :

متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً   إلى حاجةٍ حتّى تكونَ له أُخْرى

غيـــره :

مِحنُ الفتى يُخبِرن عن فضل الفتى   والنّار مُخْبِرةٌ بفضل العنْبرِ

غيـــره :

مفْتاحُ باب الفرجِ الصّبْرُ   وكلُّ عُسرٍ بعدهُ يُسْرُ

غيـــره :

من أبْرمَ الأمرَ بلا تدبيرِ   صيّرهُ الدّهْرُ إلى تدمِيرِ

غيـــره :

من كان يهوى مَنظراً بلا خَبرْ   فما له أوفَقُ من عشْقِ القمرْ

غيـــره :

نزلوا والخُدود بيضٌ فلمّا   أزفَ البينُ عُدنَ بالدّمع حُمرا

غيـــره :

وأحمقُ خلقِ اللّه من جرّب امرءاً   وعاد إلى تجـريبِـه مرّةً أخرى

غيـــره :

وإذا أتتْك مُصيبةٌ فاصبر فقد   عظُمت مُصيبةُ مُبتلّى لا يصبر

غيـــره :

وإذا بغى باغٍ عليك بجهله   فاقْتُله بالمعروف لا بالمُنكَرِ !

غيـــره :

وإذا ظُلمتُ ولي بِكُم متعلَّقٌ | فعلى عُلاكُم لا عليَّ العارُ

غيـــره :

وإذا عتبتُ على الصَّديق شكوتـه | سرًّا إليه وفي المحافل أشكُرُ

غيـــره :

وإذا لم يكُنِ من الذُلّ بدٌّ | فالْقَ بالذُلّ إن لقيتَ الكبارا !

غيـــره :

وأفـرحُ كلَّمـا يزدادُ مالٌ | ولا أبْكي على نُقْصانِ عُمرِ !

غيـــره :

والعُرف من يأتِـه يحْمد عواقبه: | ما ضلَّ عُرفٌ وإن أوليتَـه حجرا !

غيـــره :

والعُمر كالكأسِ تُستحلى أوائِلُـه | لكنَّه ربَّما مُجَّت أواخِـرُه

غيـــره :

والنَّجم تستصغِرُ الأبْصارُ صورتَـه | والذَّنبُ للعينِ لا للنَّجمِ في الصِّغرِ

غيـــره :

وربَّ جوادٍ أمْسكَ اللَّهُ جودَهُ | كما يُمسكُ اللَّهُ السَّحاب من القَطْرِ

غيـــره :

وقى اللَّهُ مولانا جميع المكارهِ | ولا دار صرفُ الدَّهْرِ يومًا بدارهِ !

غيـــره :

وقد زعَمَتْ ليْلى بأنِّيَ فاجرٌ : | لنفْسي تُقاها أو عليها فُجورُها !

غيـــره :

وقد يهلِكُ الانسانُ من باب أمْنِـه | وينْجو بأمنِ اللَّه من حيثُ يحذَرُ

غيـــره :

وكلُّ أذىً فمصبُـورٌ علـيه | وليس على قرين السُّوءِ صبْرُ !

غيـــره :

وكلُّ مَن أعْيتْك أخْلاقُه | دواؤُهُ الصَّبرُ أو الهجْـرُ

غيـــره :

وكَم مِن أكْلةٍ منعتْ أخاها ... بلذّةِ ساعةٍ أكلاتِ دهْرِ !

غيـــره :

وكم من طالِبٍ يسعى لرزقٍ ... وفيه هلاكُهُ لو كان يَدْرِي !

غيـــره :

وكنت أمشي على ثِنتيْنِ مُعتدلاً ... فصرتُ أمشي على أخرى من الشجر!

غيـــره :

وكيفَ يذهَبُ عن سمْعي وعن بصري ... من كان مثل سوادِ القلبِ والبصر ؟

غيـــره :

ولازِم الصَّمت إن سُئلتَ وقل : ... لا علمَ عندي، بالجهْل مُستترا !

غيـــره :

ولست أخاف الفقر ما عشتُ في غدٍ: ... لكُلٌ غدٍ رزقٌ من اللّه باكرُ

غيـــره :

ولم أر بعد الدّين خيراً من الغِنى ... ولم أر بعد الكُفر شرّاً من الفقرِ

غيـــره :

وما الزّينُ في لُبس الثّياب وإنَّما ... يزينُ الفتى مخبورهُ حين يُخبرُ[53]

غيـــره :

وما عُسرةٌ فاصبر لها إن لقيتَها ... بباقيةٍ إلاّ سيعْقُبها يُسرُ

غيـــره :

وما كُنت أرضى أن أعيشَ ببلدةٍ ... وتنْأى، ولكن لا يُغالب مقدار !

غيـــره :

وما مِن نعمةٍ شملتْ كريمًا ... كنعْمة عورةٍ سترتْ بقبرِ !

غيـــره :

ومَن كان ذا عُذرٍ قبلتُ اعتذارهُ ... وإن لم يكن عذرٌ فعندي له عذرُ

---

53) في ب : «...محبور حين يخبر» وهو تصحيف.

غيـــره :

ومن يكُـن الغُراب له دليلاً فما غيرُ الخرابِ له مصيرُ

غيـــره :

ونعلـَمُ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ وخيرٌ من المال الأحاديثُ والذّكرُ

غيـــره :

وهوَّنَ عندي ما ألاقي من الأذى بأنـّك أنت المُبتلي والمُقدّرُ!

غيـــره :

ويُخبرني عن غائب الأمـر هديُـــه كفى الهديُ عمَّا غيَّب المرءُ مُخْبرا![54]

غيـــره :

ويُعرف فضلُ عقول الرّجال بتدبيرهـــــا وبآثارهــــــا

غيـــره :

هي الضّلـَعُ العوجاءُ لست تـُقيمها ألا إنَّ تقويمَ الضّلوعِ انكسارُها

غيـــره :

هي المقاديــرُ فلـُمْني أو فـزدْ إن كنتُ أخْطأت فما أخْطا القدر![55]

غيـــره :

لا تـُعاشر إلاّ الأكابرَ واعلـَم أنَّ في عشرةِ الصّغار صـَغارا[56]

غيـــره :

يا ليلُ طـُلْ يا شوقُ دمْ: إنـّي على الحالينِ صابرْ !

غيـــره :

يفرُّ من المنيَّة كلَّ حينٍ وما يـُغني عن الموتِ الفرارُ !

غيـــره :

يلقى الحسود تجلـّدي فيسوءُه أنـّي على ريبِ الحوادث أصْبِر

غيـــره :

---

54) كتبت كلمة «مخبر» بدون ألف خطأ في ب.

55) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب : «هي المقادير فلـُمني أو فذر..

56) سقطت «إلا» في د.

يمينُك منها اليُمنُ واليُسرُ في اليُسرَى فبُشرى لِمن يرجو النَّدى منهُما بُشرى!

غيـــره :

ينالُ الفتى ما لم يُؤمِّل وربَّما أتاحت له الأيام ما لم يُحاذرِ

غيـــره :

ينسى صنائِعه ويذكُر وعده ويبيت في إنْجازِه يتفكَّـرُ

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أحقَّ النَّاس إن كُنت شاكرًا بشُكرك من أعطاك والوجْهُ وافرُ

وتقدَّم تمام هذا الشعر وسببه .

ومثله قول الآخر :

وفـتًـى خلا مِـن مالِه ومِن المُروءةِ غيرُ خالِ
أعْطـاك قبلَ سُـؤالِـهِ فكفاكَ مَكْروهَ السُّؤالِ

وقول أبي تمَّام :

وما أُبالي وخيرُ القولِ أصدقُه حقنتَ لي ماء وجهي أو حقنت دمِي !

وقول أبو نواس :

إذا العِشرون من شعْبانَ ولَّتْ فواصِل شُرب ليلِكَ بالنَّهارِ
ولا تشرَب بأقْداحٍ صغارٍ: فقد ضاق الزَّمانُ على الصِّغار !

يضربه الوعَّاظ السَّادة الصوفيَّة عندما يُدبِر الشباب ويقبل المشيب، ويكاد يذوي الغصن الرطيب، في الاكثار من القربات، والجدّ في العمل، وتلافي الخير قبل فوات الأجل، وكذا ما يشبهه من كلّ ما يُطلَبُ اغتنامُ الفرصة فيه قبل فواته .

وقال أيضا :

ألا فاسْقني خمْرًا وقُل لي هي الخمرُ ولا تسْقِني سرًّا إذا أمْكَن الجهْرُ
وبُح باسم من تهوى ودعني من الكُنى: فلا خير في اللَّذّات من دونها ستْر !

وإنَّما قال : وقُل لي هي الخمرُ، لأنَّه إذا سمعها عندما نظر إليها التذّ مسمعه باسمها، ومنظره بشخصها، واشرأبَّت نفسه إليها، فتلقَّتها[57] بأعظم لذَّة .

57) في ب : فتلقاها.

وقال أبو تمَّام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة :

لا شيء ضائرُ عاشقٍ، فإذا نأى   عنه الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ضائره

ومنهـــا :

أبْكِرِ فقد بكَرتْ عليك بمدحِهِ[58]   غُرَرُ القصائِدِ : خير أمرٍ باكره

ومنهـــا :

وإذا الفتى المامولُ أنْجح عقْلُه   في نفسِه ونداه أنْجح شاعِرُهْ

وقال أيضـــا :

عَفتْ آياتُهـــنَّ وأيُّ ربْـــعٍ   يكونُ لَـهُ على الزَّمن الخِيارُ

ومنهـــا :

كذاكَ لِـكُلٍّ سائِلَةٍ قَـرَارُ

وبعـــده :

مضى الأملاكُ وانقرضوا وأضْحت   سراةُ ملوكنـــا وهُـــمُ تجـــارُ

وقوفٌ في ظلالِ الذَّمٍّ تُحْمى   دراهِمُهُم ولا يُحْمى الذِّمارُ

فَلو ذهبَت سناتُ الدَّهر عنه   وألقيَ عن مناكِبه الدِّثارُ

لعدَّل قسمَةَ الأيَّامِ فينـــا   ولكنْ دهْرُنا هَذَا حِمَارُ !

ومنهـــا :

وأيُّ النار ليسَ له شرارُ ؟

ومنهـــا :

وكان المطْل في بدءٍ وعَوْدٍ   دُخانًا للصَّنيعةِ وهْيَ نارُ

نسيب البُخْل مُذ كانا وإلاَّ   يكُن نسَبٌ فبينهُما جِوارُ

لذلك قيل بعضُ المنْعِ أدنى   إلى مجْدٍ وبعضُ الجودِ عارُ

وقال أيضـــا :

شرُّ الأوائل والأواخِـر ذمَّةٌ   لم تُصطَنع وصنيعةٌ لم تُشكَر

وقال أيضـــا :

---

58) حرف هذا الشطر في ب : أبكر فقد بكر عليك يمدحه.

إنَّ الكرامَ كثيرٌ في البلاد وإن ... قلّوا كما غيرهُم قلّوا وإن كثُروا

لا يدهمنَّك من دهْمائِهم عددٌ ... فإنَّ جُلَّهمُ أو كُلَّهمْ بقَرُ

وكُلَّما أمْستِ الأخْطار بينهم ... هلْكى تبيَّن من أمسى له خطرُ

لو لم تُصادف شيات البهم أكثر ما ... في الخيل لم تُحمَدِ الأوضاح والغُرَرُ

ومنهـــا :

بالشّعر طولٌ إذا اصطكّت مصادره ... في معْشرٍ وبه عن معْشرٍ قصرُ

وقال أيضـــا :

والبُخل حُلْوٌ ولكن غبُّه مَضِرٌ ... فاكظِم فلا تمرةٌ إلا وزُنْبورُ !

وقال أيضا يرثي محمد بن حُمَيْد :

فأثْبت في مُستنْقعِ الموت رجْلَه ... وقال لها: مِن تحْت أخْمَصِك الحشرُ

غَدا غُدوَةً والحمدُ نسجُ ردائِه ... فلم ينصرفْ إلاَّ وأكْفانُه الأجْرُ

تردَّى ثياب الموتِ حُمراً فما أتى ... لها اللّيلُ إلاَّ وهي من سُنْدسٍ خُضرُ!

وقال أيضا من أخرى :

سياكُلنا الدَّهر الّذي غال مَن مَضى ... ولا تنْقضي الأشْياءُ أو يُوكلَ الدَّهر

وأكثـر حالات ابــن آدمَ خِلفَةَ ... يضلُّ إذا فكّرت في كُنْهها الفكْرُ

فيفْرحُ بالشَّيء المُعارِ بَقَـاؤهُ ... ويحزنُ لمَّا صار وهو له ذُخْرُ

عليك بثوبِ الصَّبر إذ فيه ملبسٌ ... فإنَّ ابنك المحمود بعد ابنك الصَّبر

وما أوحش الرَّحمانُ ساحةَ عبْده ... إذا عاشَر الجُلَّى ومُؤنِسُه الأجْر !

وقال أيضـــا :

إنَّما البِشْرُ روضةٌ فإذا كان ... بِبـذْلٍ فروضـــةٌ وغَديــرُ

فاقْسِم اللّحظ بيننا إن في اللّحظ ... لعُنوانَ ما يجُــنُّ الضّميــر !

وقال أيضـــا :

فلا تُمكننَّ المطْل من ذمّة النَّدى ... فبِئس أخو الأيدي الغزار وجارها

فإنَّ الأيادي الصَّالحاتِ كبارُها ... إذا وقعَت تحت المِطالِ صغارُها

وما نفْعُ من قد مات بالأمس صاديًا ... إذا ما سماءُ اليوم طال انْهمارُها

وما العُرفُ بالتَّسويفِ إلاّ كخلَّةٍ تسلَّيتَ عنها حينَ شطَّ قرارُها

وخير عداتِ الحُرِّ مُختصراتُها كما أنَّ خيراتِ اللَّيالي قصارُها

وقال أيضـــا :

وما القفْر بالبيد القواء بل الَّتي نأت بي وفيها ساكنوها هي القفر(59)

ومن قامر الأيَّام عن ثمراتِها فأحْجِ بها أن تنْجلي ولها القمر(60)

فإن كان ذنْبي أن أحْسَنَ مطلبي أساء ففي سوء القضاء ليَ العُذرُ

ومنهـــا :

هَلِ المجدُ إلاّ الجودُ والبأس والشعر؟

وقال أبو الطيِّب :

وما في سطْوة الأرباب عيبٌ ولا في ذِلَّةِ العُبدان عار!

وقال أيضـــا :

إنِّي لأعْلم واللَّبيبُ خبيرُ أنَّ الحياةَ وإن حرصتُ غرورُ

ورأيتُ كُلاّ ما يُعلِّل نفسه بتعِلَّةٍ وإلى الفناء يصيـرُ

ومنهـــا :

إنَّ المُحبَّ على البعاد يزورُ(61)

وبعـــده :

وقنعتُ باللُّقْيا وأوَّلِ نظرةٍ إنَّ القليل من الحبيب كثيرُ

وقال أيضـــا :

فلو كُنتَ امرءاً تُهجى هجونا ولكن ضاقَ فِتْرٌ عن مسيرِ

الفِتْرُ ـ بالكسر ـ: ما بين طرف الإبهام وطرف السبَّابة إذا فتحتهما. وضربه مثلا .

وقال أيضـــا :

ذرِ النَّفس تأخُذ وُسعها قبل بينِها فمُفترَقٌ جاران دارُهما عُمر(62)

---

59) في زهر الآداب (1 : 386) «وما القفر بالبيد الفضاء... نـبَتْ بي...

60) في د : فأحجى بها...

61) أول هذا البيت : يَمَّمْتُ شاسعَ دارهم عن نيَّةٍ

62) في الديوان : دع النفس ... دارهما العُمْر.

ولا تحسبنَّ المجدَ زقًّا وقينةً : فما المجد إلاَّ السَّيف والفَتكة البكر
وتضريبُ أعناقِ الملوك وأن تُرى لك الهبواتُ السُّود والعسكر المجرُ
وتركُك في الدُّنيا دويًّا كأنَّما تداولُ سمعَ المرء أنمُلُه العشرُ
إذا الفضْل لم يرفعْك عن شكر ناقصٍ بلاهبةٍ فالفضلُ فيمن له الشُّكر[63]
ومن يُنفق السَّاعات في جمْع مالِه مخافة فقرٍ فالَّذي فعل الفقرُ !
ومنها :
وإنِّي رأيت الضُّرَّ أحسن منظرًا وأهون من مرأى صغير به كبر[64]
وهذا مثل قول الحكيم : [أعظم ما على الانسان إعظام ذوي الدناءة. ونحو البيت الأول قولُ الحكيم][65] : مَن قَصَّرَ عن أخْذِ لذَّاتِه عدمَها وعدِم صحَّة جسمه . ونحو السَّادس قول الحكيم : من أفنى مدَّته في جمع المال خوف العُدم فقد أسلم نفسه إلى العَدم.
ونظم ابن شرف معنى البيت الأخير فقال :
ومُنفِق العُمر في الأموال يجمعُها مُستعْجل فقرهُ لومًا وتسفيلا
غيره :
ومن جهلت نفسُه قدرَهُ رأى غيرُهُ منْهُ ما لا يَرى
وقال فيه ابن شرف :
وكلُّ من ليس يدري كُنْهَ قيمته فالنَّاس فيه يُحقُّون الأقاويلا
غيره :
طوى الدَّهر ما بيني وبين محمَّدٍ وليس لما تطْوي المنيَّةُ ناشر
وقال ابن شرف :
قد يُوصلُ الشَّيء مقطوعًا وما قطعت يد المنون فلن تلقاه موصولا
غيره :
من عاشَ أخْلقَت الأيَّام جِدَّتَه وخانَه ثِقتاهُ : السَّمعُ والبصرُ

وقال ابن شرف :

ومن يَطُلْ عمرهُ يفقِدْ أحبَّتهُ   حتّى الجوارحَ والصّبرَ الّذي عيلا

غيـــره :

عليَّ نحتُ المعاني من معادنِها   وما عليَّ إذا لم تفْهَم البقر !

وينشـد :

عليَّ نحْتُ القوافي من مقاطِعها   وما عليَّ لهُم أن تفهَمَ البقرُ !

وقال ابن شرف :

وناطِقٍ بصوابٍ ما علـيه سوى   ما قال إن أخْطؤوا ظنّا وتأويلا

لطيفة :

ذكر العلاّمة محمّد بن مرزوق في صدر شرح **الجمل** أنّ العلاّمة أبا القاسم الشيرازي، شارح **ابن الحاجب الأصلي**، والعلاّمة الكاتبي، شارح **المحصل**، أرادا ذات مرّة أن يحضرا مجلس أبي عبد اللّه الخونجي، بحيث يخفى مكانهما . فغيّرا حالتهما وحضرا عنده وأوردا أبحاثا . فكان من ملح ما صار بينهما أنّهما لم ينصفاه في بعض أبحاثه، وادّعيا عدم بيان قوله، وجعلا يستعيدان كلامه بزعمهما . فأنشد لهما :

عَليَّ نحْتُ المعاني من معادنِها   وما عليَّ إذا لم تفْهَم البقر !

بفتح تاء « تَفْهَم »، مبنيّا للفاعل . فقالا له : ضُمّ التّاء ! يعني ليبني للمفعول . فقال : حينئذ يكون أحدكما شيرازيّا والآخر كاتبيّا ! فقالا : نعم ! فتناصفا .

وقال أبو العلاء المعري من قصيدة :

لَوِ اختصرتُم من الاحْسان زُرتُكم   والعذْب يُهجرُ للافْراط في الخَصَر

وهذا المعنى وقع لعليّ بنِ جَبَلَةَ قال : زرت أبا دُلَف في الجبل . فلمّا حللتُ الكرخ أظهر من برّي وإكرامي أمرا مفرطا، حتّى تأخّرت عنه تأخّرا كثيرا . فوصل معقل بن عيسى فقال : يقول لك الأمير : انقطعت عنّي، وأحسبك استقللت برّي، فلا يغضبنّك ذلك فسأزيد فيه حتّى [ترضى][66] ! فقلت : واللّه ما قطعني عنه إلاّ إفراطه ! وكتبت إليه :

66) ساقط من ب.

هجرتُك لم أهْجُركَ مِن كُفر نعْمةٍ وهل يُرتجى نيلي الزّيادة في الكُفر ؟
ولكنّني لمَّا أتيتُكَ زائراً فأفرطْتَ في برّي عجزتُ عن الشُّكر
فَمِاْلْآنَ (66 م) لا آتيكَ إلاَّ مُسلِّمًا أزورك في الشّهرين يومًا أو الشّهْرْ
فإن زِدتني برًّا تزيَّدتُ جفْوةً ولم تلقني طول الحياةِ إلى الحشْرْ !

فلمَّا وصلت إليه قال : قاتله اللّه، ما أشعره وأدقَّ معانيه ! فأجابني لوقته، وكان حسن البديهة :

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطْتُه وآنستُه قبل الضّيافةِ بالبشْر
أتاني يُرجّيني فما حالَ دونَه ودون القِرى والعُرفِ من نيله ستري[67]
وجدت له فضْلاً عليَّ بقصْدِه إليَّ وبرًّا زاد فيه على برٍّ
فزوّدتُه مالاً يقلُّ بقاؤُه وزوَّدني مدحًا يدوم مدى الدّهر

وبعث إليَّ بها وبألف دينار مع وصيفة، فقلت حينئذ :

إنّما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومُحْتضرِه[68]
فإذا ولّى أبو دُلفٍ ولّتِ الدُّنيا على أثَرِه
ملكٌ تنْدَى أنامِلُهُ كانْبِلاجِ النَّوءِ عن مَطَرِه
مُستهلٌّ عَن مواهِبِه كابْتسامِ الرَّوض عن زهَرِه[69]
جبلٌ عزَّتْ مناكِبُهُ أمِنَتْ عدنانُ في ثغره
كلُّ مَن في الأرض من عربٍ بين باديهِ ومُحْتضَرِه
مُستعيرٌ منهُ مكْرمةً يكتسيها يوم مُفْتخرِه[70]

ويقال إنَّ البيت الثاني هو الذي أحفظ المامون على ابن جَبَلَة حتّى سلَّ لسانه من قفاه .

وقوله : وجدتُ له فضْلا عليَّ... (البيت). أوّل من رأينا استعمل هذا المعنى في الشعر الحارث بن عوف المرّي، صاحب الحمالات بين عبس ودبيان، حيث يقول :

كم من يدٍ لا أُؤدّي حقَّ نِعْمَتِها عندي لِمُخْتبطٍ طار ومن مِنَنَ

---

66 م) في المخطوطات فالآن، وهو تصحيف.
67) في د : من نيله تسري.
68) حرفت الكلمات الأخيرة في د فكتبت : ومختضره.
69) في ب : مستهل من...
70) في د : يكتسبها، وهو تحريف.

إذا جاء يسْعى إلى رَحلي لاسعِفه   أليس قد ظنّ بي خيرًا ولم يرني ؟

وقوله : فـزوّدتُـه مالاً يقلُّ بقاؤه... (البيت)، هو معنى ما حكي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، أنه قال لإحدى بنات هرم بن سنان المرّي : ما أعطى أبـُوكِ زهيرًا إذا امتدحه ؟ فقالت : أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر . فقال أمير المؤمنين : لكن ما أعطاكم زهير لا يفنيه الدهر، أو كلاما نحو هذا . وتقدّم شيء منه، وسيأتي.

ومنها :

حسَّنتِ نظْمَ كلامٍ توصفينَ بهِ   ومنزلاً بك معْموراً من الخَفر

فالحُسنُ يظهرُ في شَيْئَيْنِ رونَقُه   بيتٍ من الشِّعر أو بيتٍ من الشَّعر

ومنها :

والخلُّ كالماءِ يُبْدي لي ضمائرَه   مع الصَّفاءِ ويُخفيها مع الكَدرِ

ومنها :

فلا يغرُّنْك بشرٌ من سواهُ بَدا   وإن أنار فكَم نورٍ بلا ثَمَر ![71]

ومنها :

وافْقَتْهُمْ في اختلافٍ من زمانكُم   والبدرُ في الوهْن مثل البدرِ في السَّحر

الموقـدون بِنَجْـدٍ نارَ باديةٍ   لا يحضُرون وفَقدُ العزِّ في الحضر

ومنها :

فالعين يسلَم منها ما رأت فنبت   عنه وتلْحق ما تهْوى من الصُّور

ومنها :

هاجت نميرٌ فهاجَت منك ذا لبدٍ   واللّيثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمر

همُّوا فأمُّوا فلمَّا شارفوا وقفوا   كوقْفَةِ العير بين الوردِ والصَّدر[72]

ومنها :

والنَّجم تستصغرُ الأبصارُ صورتَه   والذّنب للطَّرفِ لا للنَّجم في الصِّغر

ومنها :

---

71) في ب : زيدت « من » قبل «بشر ».
72) في د : هبوا فأمّوا فلمّا شرفوا...، وهو تحريف.

والمرء ما لم تُفِدْ نفعًا إقامتُه غيمٌ حمى الشَّمس لم يُمطر ولم يسر

ومنها :

والكِبرُ والحمد ضدّان اتّفاقُهما مثل اتّفاقِ فتاء السِّنّ والكبرِ

يُجنى تزايُد هذا من تناقُص ذا واللّيل إن طال غال اليوم بالقصر[73]

خفّ الورى وأقرّتْكُم حلُومُكُم و"الجمرُ تُعدمُ فيه خفّةُ الشَّرر

وقال أيضا :

جمال المجد أن يُثْنى عليه ولولا الشَّمس ما عُرف النَّهارُ

وللماءِ الفضيلةُ كلَّ حينٍ ولا سيَّما إذا اشتدَّ الأُوارُ

ومنها :

وليس يزيد في جرْيِ المذاكي ركابٌ فوقهُ ذهبٌ مُمارُ

وربَّ مُطوَّقٍ بالتِّبر يكْبو بفارسه وللنَّقع اعتكارُ

وزَنْدٍ عاطِلٍ يحظى بمدحٍ ويُحرمُه الَّذي فيه السِّوارُ !

وقال ابراهيم بن نصر القاضي :

جود الكريم إذا ما كان عن عِدَةٍ وقد تأخَّر لم يسلَم عن الكَدر

إن السَّحائبَ لا تُجدي بوارقُها نفعا إذا هي لم تُمطر على الأثَر

وماطِلُ الوعْد مذمومٌ وإن سمحت يَداه من بعدِ طول المطْل بالبِدرِ

يا دوحَة الجود لا عَتبٌ على رجُلٍ يهزُّها وهو مُحتاجٌ إلى الثَّمر !

وقال ابراهيم الصولي :

دنتْ بأُناسٍ عن تناءٍ زيارةٌ وشطَّ بليلى عن دنوٍّ مزارُها

وإنَّ مُقيماتٍ بمُنْعرَج اللِّوى لأقْربُ من ليلى وهاتيكَ دارُها

وقال ابن درّاج القسطليّ من قصيدة :

ألم تعلمي أن الثواء هو التَّوَى وأن بيوت العاجزين قُبور

وقال أبو نواس في الخصيب يمدحه في قصيدة :

فما فاته جودٌ ولا حلَّ دونه ولك يصير الجود حيث يصيرُ

وإنّي جَدير إذ بلغتُك بالمنى وأنت بما أمَّلتُ منك جديرُ

73) حرّف «تزايد» في د فكتب «تزابد».

فإن تولِني منك الجميلَ فأهلُه ... وإلاَّ فإنِّي عاذرٌ وشكُورُ

وقال الصاحب إسماعيل بن عبَّاد :

رقَّ الزُّجاج ورَقَّتِ الخَمْرُ ... فتشابَها فتَشَاكَلَ الأمْرُ

فكأنَّما خمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

وقال إبو الفضل بن الحِنْزَابَة :

من أخْمَلَ النَّفْسَ أحياها وروَّحها ... ولم يبِتْ طاويًا منها على ضجرِ

إنَّ الرِّياحَ إذا اشتَدَّتْ عواصِفُها ... فليس ترمي سوى العالي من الشَّجَرِ

وقال أبو نواس :

تكثَّر ما استطعتَ من الخطَايَا ... فإنَّك بالغٌ ربًّا غَفُورًا

ستُبصرُ إن وردتَ عليه عفْوًا ... وتلقى سيِّدًا ملكًا كبيرًا

تَعَضُّ نَدامَةً كَفَّيْكَ ممَّا ... تركْتَ مَخافَةَ النَّارِ السُّرورًا !

وقال الطغرائي لمَّا ولد له مولود بعدما بلغ سبعا وخمسين من عمره :

هذا الصَّغيرُ الَّذي وافى على كِبرِ ... أقرَّ عَيْني ولكنْ زاد في فِكَري

سبعٌ وخمسونَ لو مرَّت على حجرٍ ... لبانَ تأثيرُها في صفْحةِ الحَجَرِ

وقال عروة بن أُذيْنَة :

قالت وأبْثثْتُها سِرِّي فبُحتُ به : ... قد كنتَ عنديَ تحت السِّتر فاستتر!

ألستَ تُبصرُ من حولي ؟ فقلت لها : ... غطَّى هواكِ وما ألقى على بصَري !

وهذا مثل مشهور عند الصوفيَّة وأهل المحبَّة والمشاهدة والفناء، رضي اللَّه عنهم .

يُحكى أن السيدة سُكَيْنة بنت الحسين، رضي اللَّه عنها وعن أسلافها، مرَّت يوما بعُروة هذا ـ وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ـ فقالت له : أنت القائل : قَالَتْ وأبْثَثْتُها سِرِّي... (البيت) ؟ فقال : نعم ! فالتفتت إلى جوار لها كنَّ معها فقالت : هنَّ حرائر إن كان خرج هذا [عن][74] قلب سليم قط !

ومن ملح ما جرى بينها وبينه أيضا أنَّه مات لعروة أخ يقال له بكر، فرثاه عروة بقوله :

سَرى هَمِّي وهمُّ المرءِ يسْري ... وغابَ النَّجمُ إلاَّ قيدَ فِتْرِ

74) سقط من د.

أُراقبُ في المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ تَعرَّضَ أو على المجْراتِ يجْري

لِهمٍّ ما أراكَ لهُ قريبًا كأنَّ القلبَ أُبطِنَ حرَّ جَمْرِ

على بكْرٍ أخي فارقْتُ بِكْرًا وأيُّ العَيشِ يصلُحُ بعد بَكرِ ؟

فلمَّا سمعت سكينة هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوُصف لها . قالت : أَهو ذلك الأُسَيِّد الذي كان يمرّ بنا ؟ قالوا : نعم ! قالت : لقد طاب بعده كلّ شيء حتّى الخبز والزيت !

والأُسَيِّدُ تصغير أسْوَد .

ويحكى أن بعض المغنّين غنّى بهذا الشعر عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي في مجلس أنسه فقال : من يقول هذا ؟ قيل : عروة بن أذينة . فقال : وأيُّ عيش بعد بكر هذا العيش الذي نحن فيه ؟ واللّه لقد حَجَّرَ واسعاً.

وقال عبد اللّه بن المعتزّ :

فكان ما كان ممّا لستُ أذكُره فظُنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبرِ !

وهو مثل مشهور . وقبله قوله :

سقَى المَطيرةَ ذاتَ الظّلِّ والشّجر وديْرَ عبدونَ هطّالٌ من المَطرِ

فطالما نبّهتْني للصّبُوح بها في غُرّة الفجْر والعُصفورُ لم يَطِرِ

أصواتُ رُهْبانِ ديرٍ في صلاتِهِمُ سُودُ المدامِعِ نعّارُونَ بالسّحرِ

مُزنّرينَ على الأوساط قد جعلوا على الرُّؤوس أكاليلاً من الشّعر

كم فيهمُ من مليح الوجْه مُكتحِلٍ بالسِّحرِ يكْسرُ جَفْنيه على حورِ !

لاحظْتُه بالهوى حتّى استغاد له طوعًا وأسلمني الميعادَ بالنّظرِ

وجاءني في قميصِ اللّيلِ مُستترًا يستعْجلُ الخطْو من خوفٍ ومن حذَرِ

فقمتُ أفرشُ خدّي في الطّريق له ذلاّ وأسحَبُ أذيالي على الأثَرِ

ولاح ضوءُ هلالٍ كاد يفْضحُنا مثلُ القُلامةِ قد قُصّتْ من الظّفرِ

فكان ما كان ... (البيت)

وقال عبد اللّه بن طاهر :

اغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتَحْرِزَ فضْلَ الشُّكْرِ منّي ولا يفُوتُكَ أجْرِي
لا تَكِلْنِي إلى التَّوسُّلِ بالعُذرِ لعلّي ألاّ أقُومَ بعُذرِ !

وقال أبو نواس في مدح أهل البيت :

مُطهَّرونَ نَقِيَّاتٌ جُيوبُهُم — تجْري الصَّلاةُ عليهمْ أينما ذكِروا
من لم يكن علويًّا حين تنسبُه — فما له في قديم الدّهر مُفْتخَرُ
اللّه لمَّا برا خلْقًا فأتْقَنهُم — صفاكُمُ وا صطفاكُم أيُّها البشرُ
فأنتُمُ الملأُ الأعْلى وعندكُمُ — عِلمُ الكتاب وما جاءتْ به السُّوَرُ

وقال القاضي الجرجاني

وقالوا : توصَّل بالخُضوع إلى الغنى! — وما علموا أنَّ الخُضوعَ هو الفقرُ
وبيني وبين المال شيئان حرّما — عليَّ الغنى : نفسي الأبيَّةُ والدّهرُ
وإن قيل هذا اليُسرُ، أبصرتُ دونه — مواقفَ خيرٌ من وقوفي بها العُسرُ

وقال الفضل بن الربيع :

عسى وعسى يثْني الزّمانُ عِنانهُ — بتصريفِ حالٍ والزّمانُ عَثورُ
فتُقْضى لُباناتٌ وتشْفى حسائفٌ — وتحدثُ من بعد الأمورِ أُمورُ !

وقال الأمير قابوس :

قُل للّذي بصُروفِ الدّهرِ عيَّرنا: — هل حاربَ الدّهرُ إلاّ مَن له خطرُ ؟
أما ترى البحرَ تَعْلو فوقه جيَفٌ — وتستقرُّ بأقصى قعْرِهِ الدُّرَرُ ؟
فإن تكن عبثتْ أيدي الزّمان بنا — ونالَنا مِن تمادي بُؤسِهِ ضررُ
ففي السَّماءِ نُجومٌ مالها عَددٌ — وليس يُكْسفُ إلاّ الشَّمسُ والقمرُ !

وحدّثني بعض الأصحاب أنَّ ملك مرّاكش كتب إلى المعتمد بن عبّاد، حين اعتقله بمدينة أغمات، بقول الآخر :

حسَّنتَ ظنّك بالأيّام إذ حسُنت — ولم تخَف سوءَ ما يأتي به القدرُ
وساعدتْك اللّيالي فاغْتررت بها — وعند صفْوِ اللّيالي يحدثُ الكدرُ !

فأجابه المعتمد من سجنه :

مَن ذا الّذي بصُروفِ الدّهر عيَّرنا ؟ — لا يُنْكر الدّهر إلاّ مَن له القدرُ

وفي البساتينِ أفْنانٌ منوّعةٌ   وليس يُقطفُ إلاّ الوردُ والزّهرُ

وفي السّماء نُجومٌ مالها عَددٌ   وليس يُخْسفُ إلاّ الشّمسُ والقمرُ !

واللّه أعلم بالمخترع !

وقال الآخر، ويُنسب لعثمان، رضي اللّه عنه :

غنى النفسِ يُغني النفسَ حتى يكُفها   وإن عضّها حتّى يضُرّ بها الفقْر

وما عُسرةٌ فاصبِرْ لها إن لقيتها   بكائنةٍ إلاّ ويتبعُها اليُسرُ !

وقال أيضـا :

تفنى اللّذاذةُ ممّن نال صفْوتَها   من الحرامِ ويبقى الإثْمُ والعارْ

تبقى عواقبُ سوءٍ من مُعقّبِها   لا خير في لذّةٍ من بعدها النّارُ !

وقال ابن رفاعة، وكان عبد الملك بن مروان لمّا قتل المصعب بن الزبير ودخل الكوفة فصعد المنبر وقال : أيّها الناس، إنّ الحرب صعبة، وإنّ السلم أمن ومسرّة : فاستقيموا على سبيل الهدى، ودعوا الأهواء الموجبة للردّى، وتجنّبوا فراق جماعة المسلمين، ولا تكلّفونا أفعال المهاجرين الأوّلين، وأنتم لم تعملوا عملهم، ولم تسلكوا سبيلهم، ولا أظنّكم تزدادون بعد الموعظة إلاّ صعوبة، ولن تزداد وابعد الاعْذار إليكم إلاّ عقوبة . فمن عاد عدنا، وإن زاد زدنا، وإنّا معكم كما قال أبو قيس بن رفاعة :

مَن يصْلَ ناري بلا ذنْبٍ ولا تِرةٍ   يصْلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ

أنا النّذيرُ لكُم منّي مُجاهرة   كي لا ألامَ على نهْيٍ وإنْذارِ

فإن عصيتُم مقالي اليوم فاعترفوا   أن سوف تلقوْن خِزيًا ظاهرَ العارِ

لا نرجِعـنّ أحاديثـا مُلَقّنة[75]   لهْو المُقيمِ ولهْوَ المُدلِجِ السّاري

من كان في نفسها حوجاءُ يطلُبها[76]   عنْدي فإنّي له رهْنٌ باضْمارِ

أُقيمُ عوجَتَه إن كان ذا عوجٍ   كما يقوّم قدحَ النّبعةِ الباري

وصاحبُ الوتْرِ ليس الدّهرَ يُدركُه   عنْدي وإنّي لَدرّاكٌ بأوْتارِ

وقال الآخـر :

---

75) في ب : لترجعن...

76) في المخطوطات : «في نفسها» ولعل الصواب : «في نفسه» . وفي ب «جوجاء» وهو تحريف.

رأيتُكَ إن أرسَلتَ طرفَكَ رائِداً لقلْبِكَ يومًا أعْجبتْكَ المناظِرُ
رأيتَ الّذي لا كُلُّهُ أنتَ قادرٌ عليه ولا عَن بعْضِهِ أنتَ صابِرُ
وهذا مثل مشهور .
وعن الأصمعي قال : كنت في بعض مياه العرب، فسمعت النّاس يقولون : جاءت ! جاءت !
فنظرت فإذا جارية وردت الماء، ما رأى الراؤون مثلها . فلمّا رأت إلحاح النّاس بالنظر إليها،
أرسلت برقعًا كأنّه غمامة غطّت شمسا . فقلت لها : تمنعين النّاس من النظر إلى هذا
الوجه الحسن ؟ فقالت :
رأيتُكَ إن أرسلت طرْفَكَ...(البيتين)
فنظر إليها أعرابي فقال : أنا واللّه ممّن ولى صبره ! ثمّ أنشد :

أوحْشيَّةَ العينين أين لكِ الأهلُ ؟ أبالحَزنِ حلّوا أم محلّهُم السّهلُ ؟
وأيّةُ أرضٍ أخْرجَتْكِ فإنّني أراك من الفردوسِ أنشأكِ الأصلُ
أم البدرُ أنشاكِ المُنير فإن يكن لبدْرِ الدُّجى نسلٌ فأنتِ له نسلُ
حسُنْتِ فأمّا الوجهُ منكِ فمشرقٌ وعينانِ كحلاوان زيّنهُما كُحلُ
ففي خبّرينا ما طعمتِ وما الّذي شربتِ ومن أين استقلّ بك الرّحلُ ؟
فإنّ علاماتِ الجنانِ مبينةٌ عليكِ وإنّ الشّكلَ يُشبِهه الشّكلُ

وقال :
فإنّا ومن يُهدي القصائد نحونا كمُستبضعٍ تمراً إلى أرض خيبَرا
وقال يحيى بن طالب الحنفي :
تعزّيتُ عنها كارهًا فتركتُها وكان فِراقِيها أمرَّ من الصّبْرِ
وكان يحيى هذا سخيّا جوادا . ثمّ إنّه ركبه دين فادح، فجلا عن اليمامة إلى بغداد
يسأل السلطان في قضاء دينه . فأراد رجل من أهل اليمامة الشخوص إليها من بغداد،
فشيّعه يحيى . فلمّا جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى فأنشأ يقول :

أحقّا عبادَ اللّهِ أن لستُ ناظراً إلى قَرقَرا يومًا وأعْلامِها الخُضرِ ؟
إذا ارتحَلت نحو اليمامةِ رِفقةٌ دعاك الهوى واهتاج قلبُك للذّكرِ
أقولُ لموسى والدُّموعُ كأنّها جداولُ ماءٍ في مسارِبِها تجْري :

ألا هلْ لشيخٍ وابن ستّينَ حجّةً بكى طربًا نحو اليمامةِ من عُذرِ ؟
كأنَّ فؤادي كلّما مرَّ راكِبٌ جناحُ غُرابٍ رامَ نهْضًا إلى وكْرِ
يُزهّدني في كلّ خيرٍ صَنَعْتُهُ إلى النّاس ما جرّبتُ من قلّة الشّكرِ
فيا حَزنًا ماذا أُجنُّ مِن الهوى ومن مُضْمَرِ الشّوقِ الدّخيلِ إلى حجر ؟
تَعزّيتُ عنها كارهًا... (البيت)

وحَجْر - بالفتح - قصبة اليمامة .

ثمّ إنّ الرشيد غُنّي بشعر ليحيى هذا، وهو :

أيا أثلاتِ القاع من بطنِ توضحٍ حنيني إلى أطلالكُنّ طَويلُ
ويا أثلاتِ القاع قد ملّ صحبتي مسيري فهل في ظلّكنّ مَقيلُ ؟
ويا أثلاتِ القاعِ قلبي مُوكّلٌ بكُنّ وجدوى نيْلِكُنّ قليلُ
ألا هل إلى شَمّ الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقرا قبلَ المماتِ سبيلُ ؟
فأشربُ من ماء الحجيلاءِ شُربةً يُداوى بها قبلَ المماتِ عليلُ
أُحدّث عنكِ النّفس أن لستُ راجعًا إليكِ فحُزني في الفُؤادي دخيلُ
أُريد هُبوطًا نحوكُم فيرُدّني إذا رُمْتُه دينٌ عليّ ثقيلُ

فقال الرشيد : يُقضى ديْنه ! فالتمس فإذا هو مات قبل ذلك بشهر .

وقالت جارية تخاطب نفسها :

إذا لم يكُن للأمر عندكِ حيلةٌ ولم تجدي بُدًّا من الصّبر فاصبري !

وكانت هذه الجارية لرجل من قيس عيلان، فكان بها كلفا . ثمّ أصابته حاجة وجهد، فقالت له: لو بعتني فلو نلت طائلا عدت به عليك ! فأخرجها للبيع، وعُرضت على ابن معمر المذحجي، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم . فلمّا مضت لتدخل القصر ودّعت مولاها وأنشدته :

هنيئًا لك المالُ الّذي قد أصبتَه ولم يبق في كفّيّ إلاّ تفكّري
أقول لنفسي وهْي في كربِ عِيشةٍ : أقِلّي فقد بان الحبيبُ أو اكْثِري !
إذا لَم يكُن للأمرِ عندكِ... (البيت)

فأجابها مولاها :

فلَولا نُبُوُّ الدَّهر عنِّيَ لم يكُن
لفُرقتِنا شيءٌ سوى الموت فاعذري

أؤوبُ بحُزنٍ من فراقِك مُوجِعٍ[77]
أُناجي به قلبًا طويل التَّفكُّرِ ؟

عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا
ولا وصْل إلاَّ أن يشاء ابنُ معْمرِ

فقال له : خذ بيدها، فهي لك وثمنها !

وقال الخليل بن أحمد :

إن كُنت لست معي فالذِّكر منك معي
يرعاك قلبي وإن غُيِّبْتَ عن بصري

العين تفقد مَن تهْوى وتُبصره
وناظرُ القُربِ لا يخْلو من النَّظرِ !

وهو مثل مشهور للصوفيَّة :

أما والَّذي لو شاءَ لم يُخلَفِ الهوى
لئن غِبتَ عن عيني لما غِبْتَ عن قَلبي

يُوهِّمُنيك الشَّوقُ حتَّى كأنَّما
أُناجيكَ من قُربٍ وإن لم تكُن قربي

وقال الآخر :

أبلِغ أخانا تولَّى اللَّه صُحبَته
أنِّي وإن كُنت لا ألْقاهُ ألقاهُ

وأنَّ قلبي موصولٌ برُؤيتِهِ
وإن تباعد عن مثْوايَ مثْواهُ !

وقول الآخر :

إذا اشتاقتِ العينانِ منكَ بِنظْرةٍ
تمثَّلْتَ لي في القلبِ مِن كلِّ جانبِ

وحكي عن الامام الشبلي، رضي اللَّه عنه، أنَّه رأى يوما مجنونا والصبيان خلفه يرمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجّوا رأسه . فأخذ الشبلي يزجرهم عنه، فقالوا له : يا شيخ، دعنا نقتله، فإنَّه كافر ! فقال لهم : وما الذي بان لكم من كفره ؟ فقالوا : يزعم أنَّه يرى ربَّه ويحادثه . فقال : أمسكوا عليَّ قليلا ! فتقدَّم الشبلي فوجده يتحدَّث ويضحك ويقول في أثناء ذلك : هذا جميل منك، تُسلِّط عليَّ الصبيان ليشغلوني عنك ! فقال : يا شبلي، وما الذي قالوا ؟ قال : تقول إنَّك ترى ربَّك وتحادثه . فصاح صيحة عظيمة، ثمَّ قال : يا شبلي، نعم وحقّ من تيَّمني بحبِّه، وهيَّمني بين بعده وقربه ! لو احتجب عنّي طرفة عين،لتقطعت من البين . ثمَّ ولَّى وهو يقول :

لئِن غبتَ عن عيني وشطَّ بك النَّوى
فأنتَ بقلبي حاضرٌ وقريبُ

77) في د : «موجعًا» فيكون حينئذ بصيغة اسم المفعول.

أراكَ بعينِ الوهْمِ في مُضمرَ الحشا وليس على عين الفُـؤاد رقـيبُ
خيالُك في وهْمي وذكـْركَ في فمي ومَـثْـواكَ في قلبي فأينَ تغيبُ ؟

وقال سويد بن الصامت :

ألا رُبَّما تدعو صديقًا ولو ترى مقالتَـه بالغيبِ ساءك ما يفْري
لسانٌ له كالشَّهْد ما دُمتَ حاضرًا وبالغيب مطْرورٌ على ثُغْرةِ النَّحرِ !

قوله « مَطرور » أي محدود، تقول : طـَرَرتُ السكّينَ . والثُّغْرةُ ـ بضمّ المثلَّثة وسكون الغين المعجمة ـ نُقْرة النَّحرِ بين التَّرقُوتَـيـْنِ .

غيـــره :

كَم مِن أخٍ لَكَ لستَ تُنكِرهُ ما دُمْتَ من دُنْياكَ في سِتْرِ
مُتصنِّعٍ لَكَ في مودَّتِهِ يَلقاكَ بالتَّرحيبِ والبِشْرِ
يُطري الوفاءَ وذا الوفاءِ ويلْحي الغَدرَ مُجتهدًا وذا الغَدرِ[78]
فإذا عَدا، والدَّهر ذو غِيَرٍ، دهرٌ عليك عَدا مع الدَّهرِ
فارفُضْ بإجْمالٍ مودَّةَ مَن يقْلي المُقلَّ ويَعشَقُ المُثري
وعليك مَن حالاهُ واحدةٌ في العُسْرِ إمَّا كُنتَ واليُسْرِ
لا تخْلِطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمُ مَن يَخْلِطُ العُقْبانَ بالصُّقْرِ

غيـــره :

اخْطُ مع الدَّهر إذا ما خَطا واجْرِ مع الدَّهْرِ كما يجْري
من سابقَ الدَّهْرَ كبا كبْوَةً لم يستقِلْها آخِرَ الدَّهْرِ
ليس لما ليستْ له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ !

ويُـــروى :

حيلةُ ما ليْسَتْ له حيلةٌ حُسنُ عزاءِ النَّفسِ والصَّبرِ

وقال المخزومي :

العيب في الجاهلِ المغْمور مغْمور وعيبُ ذي الشَّرفِ المذكورِ مذكورُ
كفوفةِ الظُّفرِ تخفى من حقارَتِها ومثلُها في سوادِ العينِ مشهورُ

78) في ب : «الغدر مجب هذا وذا الغدر». وهو تحريف.

ونحوه قول إبراهيم بن المهدي :

لولا الحياءُ وأنّني مشهورٌ والعَيبُ بالرَّجُلِ الكبير كبيرُ
لحَلَلتُ منزلَهُ الّذي يحتلُّهُ ولكانَ منزلُنا هُوَ المهجورُ !

وقال أبو سليمان الخطّابي :

أنِستُ بوحدتي ولزِمْتُ بيتي فدامَ الأُنسُ لي ونما السُّرورُ
وأدّبني الزّمانُ فلا أُبالي هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ
ولستُ بسائل ما دُمتُ حيّا أسارَ الجيشُ أم ركبَ الأمير[79]

غيـــره :

لصيدُ اللُّخْمِ في البحرِ وصيدُ الأسْدِ في البرِّ
وقضْمُ الثّلجِ في القرِّ ونقلُ الصَّخْرِ في الحرِّ
وإقْـــدامٌ علَى المـــوتِ وتحْـــويلٌ إلى القَبْـــرِ
لأشْهَى في طِلابِ العِزِّ ممَّـــن عاش في الفقـــرِ

اللُّخْمُ - بالخاء المعجمة - حيوان بحريّ صعب المنال .

غيـــره :

خاطِر بنفسك لا تقْعُد بمَعْجَزَةٍ فليس حُرٌّ على عجزٍ بمعْذورِ
إن لم تنل في مُقامٍ ما تُحاولُه فأبْلِ عُذراً بإدلاجٍ وتهجيرِ
لن يبلُغ المرءُ بالاحجام حاجتَه حتى يُباشرَها منه بتغْريرِ
حتى يُواصلَ في أنحاء مَطلبِها سهلاً بحَزنٍ وأنجاداً بتغويرِ

غيـــره :

لعمرُكَ ما الرَّزيّةُ فقد مالٍ ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الـرَّزيّةَ موتُ نفْسٍ يموتُ بموتِها بَشرٌ كثيـرُ

ونحوه قول الآخر في قيس بن عاصم المنقري، رضي اللّه عنه :

فما كان قيسٌ هلكُه هلكُ واحدٍ ولـكنَّه بُنيانُ قومٍ تهدَّمـا

غيـــره :

---

79) في د : ولست سائلاً...

ومَن يجعلِ المعروفَ مِن دون أهْله   يلاقي الّذي لاقى مُجيرُ آمٌّ عامِرِ

وسيأتي تتميم هذا الشعر وشرح قصّته في الكاف، إن شاء اللّه تعالى.

وقال شيخ من الأعراب نظر إلى امرأته تتصنّع وهي عجوز :

عجوزٌ ترجّى أن تكونَ فتيّةً   وقد لحِبَ الجنْبانِ واحدوْدب الظّهرُ

تدُسُّ إلى العطّار سلْعةَ بيتِها   وهل يُصلِحُ العطّار ما أفسد الدّهرُ؟

وزيد فيه :

وما غرّني إلّا خِضابٌ بكَفّهَا   ونجْلٌ بعينيْها وأثوابُها الطُّهرُ

وجاؤوا بها قبلَ المِحاق بليلةٍ   فكان مِحاقًا كُلُّه ذلك الشّهرُ !

فقالت امرأته مجيبة :

ألم تر أنّ النّاب تحلبُ عُلبةً   ويُترك ثِلبٌ لاضرابٌ ولا ظهرُ ؟

ثمّ استغاثت بالنساء، واستغاث بالرجال فإذا هم خلوف، فاجتمع عليه النساء فضربنه .

قوله : لَحِبَ الجنْبانِ أي قلّ لحمها، يقال لحِبَ الرجل - بالكسر - إذا أنحله الكبر .

قوله : سِلْعَةَ بَيْتِهَا يريد السويق والدقيق ونحوهما، والعرب تقول لكلّ عرض سلعة، والنّابُ : الناقة المسنّة . والعُلْبَةُ - بالضمّ -: القدح العظيم من الخشب أو من جلود الابل يُحلب فيه، والثّلْبُ - بالثّاء المثلّثة - على مثال قِرد -: الجَمل إذا سقطت أسنانه هرمًا وتناثر شعر ذنبه، تقول : إنّ الانثى فيها نفع وأن أسّنت، بخلاف الذكر إذا أسنّ .

وقال بعض الأدباء :

وأتمُّ الأشياء حُسنًا ونورًا   بكْرُ شُكرٍ زُفّت إلى صهْرِ برٍّ

ما قرانُ السّعدينِ في الحوت أبهى   منظرًا من قرانِ برٍّ وشُكرِ !

وقال سعد بن ناشب :

تُفنّدني فيما ترى من شَراسَتي   وشدّةِ نفسي أمُّ سعدٍ وما تدري[80]

فقلت لها : إنّ الكريمَ وإن حَلا   ليُلفَى على حالٍ أمرّ من الصّبرِ

وفي اللّين ضعفٌ والشّراسةِ هيبةٌ   ومَن لا يُهب يُحملْ على مركبٍ وعْرِ

ومابي على مَن لان لي مِن فظاظةٍ   ولكنّني فظٌّ أبيٌّ على القسرِ

---

80) في ب : وشد ة نفس...

أُقيمُ صغَى ذي الميلِ حتى أرُدَّه … وأخْطِمُه حتى يعودَ إلى القدرِ

فإن تعذليني تعذِلي بيَ مُرزءًا … كريم نَثا الاعسار مُشتركَ اليُسر

إذا همَّ ألقى بين عينيهِ همَّهُ … وصمَّم تصميمَ السُّريْجيِّ ذي الأثْر

قوله : كَريمَ نَثَا الاعسارِ ـ بتقديم النون ـ: ذِكْر الرجل بجميل أو قبيح، فهو مشترك . يقول إنَّه يُثنى عليه في الاعسار بخير وكرم وعفَّة، والأثْرُ ـ بفتح الهمزة وكسرها ـ: فِرِنْدُ السيف، وهو روْنَقُه وماؤه.

وقال سالمٌ بن وابصة :

أحبُّ الفتى ينْفي الفواحِش سمعُه … كأنَّ به عن كُلِّ فاحِشةٍ وقْرا

سليم دواعي الصَّدر لا باسطًا أذًى … ولا مانعًا خيرًا ولا ناطقًا هُجرا

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلَّةٌ … فكُن أنت مُحتالاً لزلَّتِه عُذرًا

غِنى النفس ما يَكفيكَ من سدِّ خَلَّةٍ … وإن زادَ شيئًا عاد ذاك الغِنى فقرا

وقال كثيِّر، وكان قد دخل على عبد الملك بن مروان، رحمه اللَّه، فقال له : أأنت كثيِّر ؟ قال : نعم ! قال : أن تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه ! قال : يا أمير المؤمنين، كلٌّ عند محلّه رحْب الفِناء، شامخ البناء، عالي السناء . ثمَّ أنشأ يقول :

ترى الرَّجُل النَّحيفَ فتزدريهِ … وفي أثْوابِهِ أسَدٌ هَصُورُ

ويُعْجِبُكَ الطَّريرُ إذا تَراهُ … فيُخْلِفُ ظنَّكَ الرَّجُلُ الطَّريرُ

بُغاثُ الطَّيرِ أطْوَلُها رقابًا … ولم تطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورُ

خشاشُ الطَّيرِ أكثرُها فراخًا … وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزورُ

ضعافُ الأُسدِ أكثَرها زَئِيرًا … وأصْرمُها اللَّواتي لا تَزِيرُ

وقد عظُم البعيرُ بغيرِ لُبٍّ … فلم يستغْنِ بالعِظمِ البعيرُ

يُنوَّخُ ثمَّ يُضرَبُ بالهراوى … فلا عُرفٌ لديهِ ولا نَكِيرُ

يُقوِّده الصَّبيُّ بكُلِّ أرضٍ … وينحَرهُ على التُّرب الصَّغيرُ

فما عظمُ الرِّجالِ لهُم بزيْنٍ … ولكِن زيْنُهُم كَرمٌ وخِيرُ

فقال عبد الملك : لِلَّه درّه، ما أفصح لسانه ! وأضبط جنانه ! وأطول عنانه ! واللَّه إنّي لأظنّه كما وصف نفسه ! قوله : أسَدٌ هَصُورٌ، الهَصْرُ ـ بالصاد المهملة ـ: الكَسْر

والجَذْب . والمِقْلاتُ : التي لا يعيش لها الأولاد . والنَّزورُ : القليلة الولد، كما مرَّ . والطَّريرُ من الرجال : ذو المنظر والرُّواء الحسن . والخِيرُ ـ بالكسر ـ: الكرم والشَّرف والأصل. ونُسب هذا الشعر أيضا لغير كثيِّر، وهو في الحماسة.

وقال الزِّبْرِقَانُ بن بدر :

تَعدو الذّئاب على مَن لا كِلابَ لَه   وتتَّقي مربِضَ المُستأسِدِ الضَّاري

يُحكى أنَّ عمر بن أبي ربيعة بينما هو يطوف إذ بَصُر بامرأة في الطواف، فأعجبته فكلَّمها فَنَفَرت وقالت : إليك عنّي، فإنّي في حرم اللّه وفي موضع عظيم الحرمة ! فلمَّا ألحَّ عليها وشغلها عن الطواف ذهبت إلى بعض محارمها فقالت له : احْضُرْ معي تُرِنِي المناسك ! فجاء معها فلمَّا رآه عمر تباعد عنها، فتمثَّلت حينئذ بهذا البيت . فبلغ المنصور خبرها فقال : وددت لَو لَم تَبقَ بنت في خِدرها إلاَّ سمِعته[81] .

وقال الحماسي :

ومَنْ أنتُمُ إنَّا نسينا مَنَ أنتُمُ   وريحُكُمُ من أيِّ ريحِ الأعاصيرِ ؟

فأنتُم أُلَى جئتُم مع البقْل والدَّبا   فطار وهذا شخْصُكم غير طائرِ

الدَّبا ـ بالدال المهملة وبالباء الموحَّدة المفتوحتين ـ: أصغر الجراد والنَّمل، الواحدة دَبَاةٌ . قال الراجز :

كأنَّ خرْقَ قُرطِها المَعْقوبِ   على دَبَاةٍ أو على يَعْسوبِ

وقال الآخر :

يا قَلبُ إنَّك من أسماءَ مغْرورُ   فاذكر وهل ينفَعنْك اليومَ تذْكيرُ ؟

حتَّى مَتى أنتَ منها مُدنَفٌ ولِهٌ   لا يَسْتبيك سِواهَا البُدَّنُ الحورُ ؟

تأتي أُمورٌ فما تدري أعاجِلُها   خيرٌ لنفسِكَ أم ما فيه تأخِيرُ

فاستقْدِرِ اللّهَ خيرًا وارضينَّ بِه   فبينما العُسرُ إذ دارَت مياسيرُ

وبينما المرءُ في الأحْياءِ مُغْتبطٌ   إذ صار في الرَّمسِ تعفوه الأعاصير[82]

---

81) هنا هامش في ب : «قوله فبلغ المنصور خبرها، هذا خطأ، فإن زمن المنصور متأخر عن زمن عمر بن أبي ربيعة. فإنه من شعراء الأموية». الملاحظة صحيحة من حيث الزمن، لكنها لا تنافي أن يكون المنصور العباسي علم في عصره بالقصة وقال ما قال.

82) في ب : «إذ سار في الرمس...» وهو تحريف.

يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفُهُ — وذو قرابَتِهِ في الحيِّ مَسْرورُ
حتَّى كأنْ لم يكُن إلاّ تذكُّرُهُ — والدَّهْرُ أيَّتما حالٍ دَهاريرُ
فذاك آخِرُ عُمرٍ مِن أخيك إذا — ما ضمَّنتْ شِلْوهُ اللَّحْدُ الحناشيرُ

وقال الآخــر :

تصبَّرتُ مغْلوبًا وإنّي لصابرٌ — كما صَبَرَ الظَّمآنُ في البَلَدِ القَفْرِ

وقبلــه :

أيا عمرُو لم أصْبِرِ ولي فيكَ حيلةٌ — ولكن دعاني اليأسُ منكَ إلى الصَّبْرِ!

غيـــره :

وإنَّ سعيد الجدِّ مَن باتَ ليلةً — وأصبح لم يُوشَبْ ببعضِ الكبائرِ[83]
فمَولاكَ لا يُهْضَمْ لديْكَ وإنَّما — هضيمةُ مولى المرءِ جَدْعُ المَناخِرِ
وجارُكَ لا يذْمُمْكَ إنَّ مسبَّةً — على المرءِ في الأدنَيْن ذمُّ المجاورِ
فإن قُلتَ فاعْلَم ما تَقولُ فإنَّهُ — إلى سامعٍ ممَّنْ تُعادي وآثِرِ
فإنَّكَ لا تسْطيعُ ردَّ مَقالَةٍ — شَأَتْكَ وزلَّتْ عن فُكاهَةِ فاغِرِ
كما ليس رامٍ بعد إرسالِ سهْمِهِ — على ردِّهِ قبلَ الوقوعِ بقادِرِ
إذا أنتَ عاديْتَ الرِّجالَ فلا تزلْ — على حَذَرٍ لا خيرَ في غيرِ حاذرِ
ومَن لا يُصانِعْ في أُمورٍ كثيرةٍ — يُضرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بحافِرِ
ترى المرءَ مخْلوقًا وللعينِ حظُّها — وليس بإحْناءِ الأمورِ بخابِرِ
فَذاك كماءِ البحرِ لستَ مُسيغَهُ — ويعْجَبُ منه ساجيًا كلُّ ناظِرِ
وتلْقى الأصيلَ الفاضِلَ الرَّأي جِسمُهُ — إذا ما مَشى في القومِ ليسَ بقاهِرِ
كذلكَ جَفْنٌ رثَّ عَن طولِ مُكْثِهِ — على حدِّ مفْتوقِ الغِراريْنِ باتِرِ[84]
وعاشٍ بعينيهِ لِما لا ينالُهُ — كساعٍ برجْلَيهِ لإدراكِ طائِرِ
ومُستنزِلٍ حربًا على غيرِ ثرْوةٍ — كمُقْتحِمٍ في البحرِ ليس بماهِرِ
ومُلتمِسٍ وُدًّا لِمَن لا يَوَدُّهُ — كمُعتذِرٍ يومًا إلى غيرِ عاذِرِ

---

83) سقطت الواو (او الفاء) من اول البيت في المخطوطات، وهو لا يستقيم وزنـًا بدونها.
84) في ب : «... الضرارين باتر» وهو تحريف.

ومتَّخِذٍ عُذْرًا فعادَ ملاَلَةً ... كوالِي اليتامى ما لهُم غير وافرِ[85]

فسارِع إذا سافَرتَ في الحمدِ واعلَمنْ ... بأنَّ ثناءَ الرَّكْبِ حظُّ المُسافِرِ

وطاوِعْهُمُ فيما أرادوا وقُل لهم : ... فِدًا للَّذي رُمتُم كلالُ الأباعِدِ !

وإن كُنتَ ذا حَظٍّ من المال فالتمِسْ ... به الأجْرَ وارفَعْ ذكْرَ أهل المقابِرِ

فإنّي رأيتُ المال يفْنى وذكْرُهُ ... كظِلٍّ يقيكَ الظّلُّ حرَّ الهواجِرِ !

وقال عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك العبسي :

لَحى اللَّهُ صُعْلوكًا إذا جنَّ ليلُه ... مُصافي المُشاشِ آلفًا كُلَّ مجْزرِ

ينامُ ثقيلاً ثمَّ يُصبحُ قاعِدًا ... يحُتُّ الحصى عن جنْبه المُتعفِّرِ[86]

يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعِنَّهُ ... فيمْضي طليحًا كالبَعير المُحسَّرِ[87]

ولكنَّ صُعلوكًا صَفيحَةُ وجْهِهِ ... كضَوءِ سراجِ القابِسِ المُتنوِّرِ[88]

مُطِلاًّ على أعدائِه يزجُرونَهُ ... بساحتهم زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ

وإن بَعُدوا لا يأمنونَ اقْتِرابَهُ ... تشَوُّفَ أهْلِ الغائِبِ المَتنظَّرِ[89]

فذالِك إن يَلقَ المنيَّةَ يلقَها ... حميدًا وإن يستغْنِ يومًا فأجْدرِ[90]

وقال الشريف الرضيّ :

أودى وما أودَتْ مناقِبُهُ ... ومِنَ الرِّجالِ مُعَمَّرُ الذِّكْرِ

غيـره :

طَربتَ إلى الأصَيبيَةَ الصِّغارِ ... وهاجَك منهُمُ قُربُ المزارِ

وأبرحُ ما يكونُ الشَّوقُ يومًا ... إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِن الدِّيارِ

وقال كثيِّر :

وقد زعَمتْ أنّي تغيَّرت بعدها ... ومَن ذا الَّذي يا عزَّ لا يتغيَّرُ ؟

تغيَّرَ جِسمي والخليقةُ مثلَما ... عهدتِ ولم يُخْبِرِ بسِرِّك مُخبرُ

---

85) في د : «كوال اليتامى..» وهو تحريف.

86) في الحماسة : ينام عشاء ثم يصبح ناعسًا

87) في الحماسة أيضا : ويسمي طليحًا...

88) في الحماسة : كضوء شهاب....

89) في الحماسة : إذا بعدوا...

90) في د :فذلك إن يلقى... وهو تحريف.

دخلت عَزّة هذه على عبد الملك بن مروان، رحمه اللّه، فقال : أنت عزّة كثيّر ؟ قالت : أذ أمّ بكر الضمريّة . فقال لها : أتروين قول كثيّر : وقَد زعَمتْ... (البيتين) ؟ فقالت : لا أروي هذا، ولكنّي أروي قوله :

صَفوحًا فما تلقاكِ إلاّ بخيلةً فمَن ملَّ منْها ذلكَ الوصلَ ملَّتِ

وهذا البيت من تائيّة كثيّر المشهورة التي مطلعها :

خليليَّ هذا ربْعُ عزّة فاعقِلا قَلوصيكُما ثمَّ ابْكيا حيث حلّتِ !

وقال آخـــر :

ما للكواعِب يا عيساءُ قد جعَلتْ تزْورُّ عنِّي وتُطوى دونيَ الحُجرُ
قد كُنتُ فتّاح أبوابٍ مُغلّقةٍ ذبّ الرِّياد إذا ما خُولس النظر[91]
فقد جَعلتُ أرى الشّخْصين أربعةً والواحدَ اثنين ممّا بوركَ البَصر
وكُنت أمشي على رجلَين مُعتدلاً فصِرتُ أمشي على أخْرى من الشجر

غيـــره :

خبّروها بأنّني قَد تزوّجْتُ فظلّتْ تُكاتِمُ الغيظَ سرًّا

وبعـــده :

ثم قالت لأُخْتها ولأُخْـرَى جزعًا : ليتَهُ تزوّج عشْرا !
وأشارتْ إلى نساءٍ لديْهـا لا تَرى دونَهُنَّ للسِّرِّ ستْرا :
ما لقلبي كأنّهُ ليس منّي وعظامِي أخالُ فيهِنَّ فتْرا
مِن حديثٍ نمَى إليَّ فظيعٍ خِلتُ في القلب من تلظّيه جمرا ؟

غيـــره :

شربنا من الرّازيِّ حتّى كأنّنَا ملوكٌ لهم برُّ العراقَين والبحرُ
فلمّا انجَلَت شمس النّهار رأيننا تولّى الغنى عنّا وعاودنا الفقرُ !

ومثله قول الأعرابي :

ولقد شربتُ الرّاح حتّى خِلتُني لمّا خرجتُ أجُرُّ فضلَ المئْزَرِ
قابوسَ أو عمرو بن هِندٍ ما ثلاً يـُجْبى له ما دون دارةِ قيصرِ

---

91) هنا في هامش د : الذّبّ : الثور الوحشي، ويقال ذبّ الرياد، لانه يرود أي يجيء ويذهب ولا يبقى في موضع».

وقال لقيط بن زرارة :

شربتُ الخمر حتَّى خِلتُ أنـِّي ... أبو قابـوسَ أو عبدُ المـدانِ

أُمَشـِّي في بني عُدُس بنبدرٍ ... رخيَّ البالِ مُنطلِقَ اللـّسانِ

غيــره :

إنـّي هزئتُ من امّ الغُمر إذ هزئت ... من شيبِ رأسي وما بالشَّيب من عارِ

ما شقْوةُ المرءِ بالاقتارِ يُقْتِره ... ولا سعادتُه يومـًا بإكْثـارِ

إنَّ الشَّقيَّ الذي في النـَّار منزلُه ... والفوز فوز الـَّذي ينجو من النـَّارِ

أعوذ باللـَّه من أمرٍ يُزيـِّنُ لي ... لومَ العشيرةِ أو يُدني من العارِ !

وخير دنْيا تُنسـِّي شرَّ آخرةٍ ... وسوف يُنبئُني الجبـَّارُ أخْباري

لا أقرِبُ البيت أحبو من مُؤخَّرِهِ ... ولا أُكَسـِّر في ابن العمّ أظْفاري

إن يحْجُبِ اللـَّهُ أبصارًا أُراقِبُها ... فقد يرى اللـَّهُ حال المُدلِج السَّاري

قوله : لا أقْرُبُ البيتَ إلخ... أي لا آتي لرؤيته، كقول الآخر :

ولستُ بصادرٍ من بيتِ جارٍ ... كفعلِ العَيْرِ غمَّرهُ الـورودُ

يقال : تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يـُرْوَ، فهو يلتفت وراءه، وكذا المُريب، وتقدَّم هذا قوله: ولا أُكَسـِّرُ في ابْنِ العَمّ أظْفَاري، أي لا أغتابه، كقول الحطيئة :

ملـُّو قِراهُ وهَرَّتْهُ كلابُهُمُ ... وجرَّحوهُ بأنْيـابٍ وأضْـراسِ

وقال جرير :

فلا توبسوا بيني وبينكُم الثـَّرى ... فإنَّ الـَّذي بيني وبينكُمُ مُثْـرِ !

وقال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

أسرَّ وفـاءً ثمَّ أظْهـر غدْرَةً ... فَمن لي بعُذر يوسِعُ النـَّاسَ ظاهرُهُ؟

وسيأتي سبب هذا الشعر في الاعيان، إن شاء اللـَّه تعالى .

غيــره :

إذا كُنتُ في نجْدٍ وطيبِ نَعيمِهِ ... تدكـَّرتُ أهْلِي باللـّوَى فمُحسَّرِ

وإن كُنتُ فيهِم زدتُ شوقًا ولوعةً ... إلى ساكني نجْدٍ وعيلَ تصبـُّري

لقد طال ما بين الفريقينِ موقفي ... فَمن لي بنجْدٍ بين أهلي ومعْشري ؟

غيــره :

أوليْتني نِعمًا أبوحُ بشُكْرها وكَفَيْتني كلَّ الأمورِ بأسْرِها
فلأشْكُرنَّك ما حيِيتُ وإن أمُتْ فلْتشكُرنَّكَ أعْظُمي في قبرها !

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرّم اللّه وجهه :

إذا المُشكلاتُ تصدّينَ لي كَشَفْتُ حقائِقَها بالنَّظَرْ
وإن برقَتْ من فخِيلِ الصَّوابِ عمْياءُ لا تجتَليها الفِكَرْ
مُقنَّعةٌ بغُيُوبِ الأمور وضَعْتُ عليها صَحيحَ الفِقَرْ
لسانًا كشِقْشِقةِ الارحَبِيِّ أو كالحُسامِ اليمانِي الذَّكَرْ
وقلبًا إذا استنطقتْه الغيوب أبـرَّ عليْهَـا بود درر
ولستُ بإمَّعةٍ في الرِّجالِ يُسائلُ هذا وذا ما الخَبَرْ
ولكنَّني مِذرَبُ الأصغريْنِ يُبَيِّنُ مَعْ ما مَضَى ما غَبَرْ

يُروى أنَّه سئل عن نازلة، فدخل مبادرًا ثمّ خرج في حداء ورداء وهو متبسّم . فقيل له : يا أمير المؤمنين، إنّك كنت إذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسكّة المحماة . قال إنّي كنت حاقنا، ولا رأي لحاقن ! ثمّ أنشأ يقول : إذا المُشْكلاتُ تَصَدَّيْنَ... الأبيات.

وقال أبو العبّاس التُّطيلي :

والنَّاسُ كالنَّاسِ إلاّ أن تُجرِّبَهمْ وللبَصيرةِ حُكْمٌ ليس للبَصَرِ
كالأيْكِ مُشتبِهات في منابتِها وإنَّما يقعُ التَّفضيلُ بالثَّمرِ

وقال التهامي في مثله :

ومن الرِّجالِ مجاهِلٌ ومعالِمٌ ومِنَ النُّجومِ غوامِضٌ ودَراري
والنَّاسُ مُشْتبهُونَ في إيرادهِمْ وتفاضُلُ الأقْوامِ في الاصْدارِ
ولربَّما اعتَضَدَ الحليمُ بجاهِلٍ لا خَيرَ في يُمنى بغيْرِ يسارِ !

وقال القاضي الجليس المصري :

ومن عجبٍ أنَّ السُّيوفَ لديهِمُ تَحيضُ دماءً والسُّيوفُ ذكُورُ
وأعْجبُ من ذا أنَّها بأكُفِّهِم تُؤجِّج نارًا والأكُفُّ بحورُ !

وقال ابن المعتزّ في التعزية :

لَم تمُت أنت إنّما مات مَن لَمْ ... يُبقِ للمجْدِ والمكارمِ ذِكْرَا

لستُ مُستسْقيًا لقبركَ غيْثًا ... كيف يُسقى وقَد تضمَّنَ بحْرًا ؟

وقال الآخــر :

وأصْبرُ حتى يحسبَ النّاسُ أنَّني ... بيَ الهَجرُ لا واللّه ما بي لكُم هجرُ !

ولكن أروضُ النَّفس أخْبُرُ هل لها ... على فُرقةٍ من بعد أحْبابها صبرُ

وقال الآخــــر :

لا غروَ أن يُصلى الفُؤادُ بهجركُمْ ... نارًا تُؤجّجُها يَدُ التّذْكارِ

قلبي إذا غبْتُم يُصوِّرُ شخْصكُم ... فيه وكُلُّ مُصوِّرٍ في النّارِ

وقال ابن الخطيب :

بلدٌ يحفُّ به الرّياضُ كأنّهُ ... وجْهٌ جميلٌ والرّياضُ عذارُهُ

وكأنّما واديهِ مِعْصمُ فضّةٍ ... ومن الجُسورِ المُحكماتِ سوارُهُ

وقال أبو الربيع :

فتحُ الشّقائقِ جرحاها ومغْنمُها ... وشْيُ الرّبيع، وقتْلاها من الثّمرِ

لأجْلِ هذا إذا هبّتْ طلائعُهُ ... تدرّعَ النّهرُ واهتزّت قَنى الشّجرِ

وقال القاضي الشريف :

وأحورَ وسْنانِ الجفونِ مُرابطٍ ... سبَى حُسنُهُ لُبَّ الحبيبِ وصبْرَهُ

حَمى ثغْرهُ عنّي بسيفِ لِحاظِهِ ... ولا غَروَ أن يحْمِيَ المُرابِطُ ثغْرهُ !

وقال ابراهيم بن المهدي :

إذا كلّمتْني بالعيونِ الفواترِ ... رددتُ عليها بالدّموعِ البوادِرِ

فلم يعلَمِ الواشونَ ما دارَ بيننا ... وقَد قُضِيَتْ حاجاتُنا بالضّمائرِ

وقال الخوارزمي :

عليكَ بإظْهارِ التّجلُّدِ لِلْعِدَا ... ولا تُظْهِرنْ منك الذُّبولَ فتحْقَرَا !

ألستَ ترى الرّيحانَ يُشتمُّ يانعًا ... ويُطرحُ في الميضاتِ مهْما تغيَّرَا ؟

وقال الآخــر :

تواضَعْ إذا نِلتَ المعالي تزد عُلا ... وتكْتسبِ الشُّكر الجميل من الورَى

فلن يشكُرَ الغيثَ الرَّبيعُ محلُّهُ ... قرينُ الثُّريَّا أو يعُودَ إلى الثَّرى

وقال صالح بن شرف :

الدَّهر لا يبقى على حالةٍ ... لكنَّه يُقبِل أو يُدبِرُ
فإن تلقَّاكَ بمَكْروهِهِ ... فاصْبِرِ فإنَّ الدَّهْرَ لا يصبرُ !

وقال الرصافي :

صونُ الفتى وجْههُ أوْقى لهِمَّتِهِ ... والرِّزْقُ جارٍ على حدٍّ ومِقْدارِ
قنعت، وامتدَّ مالي فالسماء يَدي ... وبَدرُها درهمي والشمس ديناري

وقال ابن طباطبا العلوي :

قالت : أراك خضَبت الشَّيبَ، قلتُ لها: ... سترتُه عنكِ يا سمْعي ويا بصَري
فاستضْحَكتْ ثمَّ قالت من تعجُّبها: ... تكاثرَ الغِشُّ حتَّى صار في الشَّعر !

وقال الآخــر :

إنَّ اللَّياليَ للأنامِ منَاهلٌ ... تُطوى وتُنشرُ بينها الأعْمارُ
فقصارُهُنَّ مع الهُمومِ طويلةٌ ... وطوالُهُنَّ مع السُّرور قِصارُ

وقال الآخــر :

النَّار آخِر دينارٍ نَطقْتَ بهِ ... والهمُّ آخِرُ هَذا الدِّرهَم الجاري
والمرءُ بينهُما ما لَم يكُن ورِعًا ... مُقلَّبُ القلب بين الهمِّ والنَّارِ

وقال عبد اللَّه بن طاهر :

إلى كم يكونُ الهجرُ في كلِّ ساعةٍ ... وكم لا تملِّين القطيعةَ والهجْرا ![92]
رُويدكِ إنَّ الدَّهر فيه كِفايةٌ : ... بتفريقِ ذاتِ البينِ، فانتظِرِ الدَّهرا !

وقال قيس بن الذريح :

لو انَّ امرءًا أخفى الهوى عن ضميرهِ ... لمِتُّ ولم يشْعُرْ بذاكَ ضَميرُ
ولكن سألْقى اللَّهَ والقلبُ لم يبُح ... بسرِّكَ والمستخْبرونَ كثيرُ !

وقال ابن خفاجة :

أرَى النَّاس يولونَ الغنيَّ كرامةً ... وإن لم يكُن أهلاً لرفْعةِ مقدار
ويولون عن وجه الفقير وجوههم ... وان كان أهلا ان يلاقى باكبار
بنو الدَّهر جاءتهم أحاديثُ جمَّةٌ ... فما صحَّحوا إلاَّ حديث ابن دينار !

---

92) في ب «ألم كم...»

وقال ابن معروف :

احـــــذَرْ عدوَّكَ مرَّةً ... واحذر صديقَكَ ألْفَ مرَّهْ

فلربَّما انقَلب الصَّديـقُ ... فكان أعْلَمَ بالمَضَرَّهْ !

وقال البستي :

إذا حيوانٌ كان طُعمةَ ضدهِّ ... توقَّاهُ كالفأر الَّذي يَحذَرُ الهرّا

ولا شكَّ أنَّ المرءَ طُعمَةُ دهرهِ ... فما بالُهُ يا ويحَهُ يامنُ الدَّهرا ؟

وقال الآخـــر :

إذا ذهبَ الحِمارُ بأُمِّ عمرٍو ... فلا رجعت ولا رجع الحمارُ !

لطيفة : حُكي عن الجاحظ قال : عبرت يوما على معلّم كتّاب، فرأيت هيئة حسنة . وقام إليَّ وأجلسني معه، ففاتحته القرآن فإذا هو فيه ماهر . ففاتحته النحو فوجدته ماهرا، ثمَّ في أشعار العرب واللّغة فوجدته كاملا في كلّ ما يُراد منه، فقلت : قوّى والله هذا عزمي على تمزيق دفتر المعلّمين ! فصرت أزوره في أكثر الأوقات . فأتيت يوما إلى زيارته، فوجدت الكتّاب مغلقا . فسألت عنه فقيل : مات له ميت . فسرت إليه لأعزّيه، فدققت الباب عليه، فخرجت جارية وقالت : ما تريد ؟ فقلت : أريد مولاك . فقالت : هو جالس وحده في العزا، ما يعطي الطريق لأحد . فقلت : قولي له : صديقك فلان . فدخلت وخرجت وقالت : ادخل ! فدخلت وقلت له : أعظم اللّه أجرك ! لقد كان لكم في رسول اللّه اسوة حسنة، وهذا سبيل لا بدَّ منه، فعليك بالصبر ! ثمَّ قلت : هذا الميت ولدك ؟ قال : لا . قلت : والدك ؟ قال لا . قلت : أخوك ؟ قال لا . قلت : فمن ؟ قال : صفيتي . فقلت في نفسي : هذا أول المناحس ! ثمَّ قلت : سبحان اللّه ! النساء كثير، وتجد أحسن منها . فقال لي وكأني رأيتها ؟ فقلت : وهذه منحسة ثانية ! ثمَّ قلت : وكيف عشقت من لم تره ؟ فقال : كنت في الطارمة فسمعت مغنيًا يقول :

يا أُمَّ عمْرٍو جزاكِ اللّهُ مكرُمةً ... ردِّي عليَّ فُؤادي أينما كانا !

فقلت في نفسي : لولا أنَّ أمَّ عمرو هذه ما في الدنيا مثلها، ما قيل فيها هذا الشعر ! فعلق قلبي بها.

فلمّا كان بعد أيّام، مرَّ بي ذلك الرجل وهو يقول :

إذا ذهب الحمارُ بأُمِّ عمْرٍو فلا رجعَتْ ولا رجعَ الحمارُ !

فعلمت أنَّها ماتت . فحزنت عليها وجلست للعزاء منذ ثلاثة أيَّام . قال الجاحظ : فعادت عزيمتي وقويت على إبقاء الدفتر بأمّ عمرو .

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكُن لهُ بوادرُ تحمي صفْوهُ أن يُكدَّرَا

ولا خير في رأيٍ إذا لم يكُن لهُ حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدرَا

يُروى أنَّه لمَّا أنشد قصيدته هذه بين يدي النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وبلغ هذا الموضع قال له صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **لا يفْضُضِ اللَّهُ فاكَ** ! فعاش مائة وعشرين سنة، لم تنفضَّ له ثنيَّة ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام . وقال المكيالي :

إن كُنتَ تأنَسُ بالحبيبِ وقُربِهِ فاصْبر على حُكْمِ الرَّقيب ودارِهِ !

إنَّ الرَّقيبَ إذا صبرتَ لذُلِّهِ بوَّاكَ في ربعِ الحبيبِ ودارِهِ

وقال التغري رحمه اللَّه :

مَن لي بزوْرةِ أحمَد الهادْي الذي مَن زارهُ غُفِرت له أوْزَارُهُ ؟

وأحُطُّ رحْلي في جوارِ مُحمَّدٍ لمُقامِ عزٍّ لا يُضامُ جِوارُهُ

حرمٌ عظيمٌ عُظِّمتْ حُرماتُهُ واخْتالَ في خِلعِ الرِّضى زُوَّارُهُ

وقال أيضــا :

يا خيرَ خلْقِ اللهِ دعْوةَ نازحٍ بانَت أحِبَّــتُه وشطَّ مزَارُهُ

وتقسَّمتْهُ يَد النَّوى فبمغْربٍ أوطــانُهُ وبمَشْــرقٍ أوْطَــارُهُ

وقـــال :

لأُولي الحِجى رُفع الحجابُ فشاهدوا قمَـرَ الحجازِ تلألأتْ أنـوارُهُ

واستنْشَقوا أرجَ النَّسيمِ فساقَهُم شوقًا لنجْدٍ شيحُهُ وعرَارُهُ

وقال آخر يهجو قاضي بلده :

لا مِثل قاضٍ رأيناه ببَلْدتِنا في الجهلِ منهُ وفي الجورِ الورى حاروا

فهْو من النَّفر الأدنينَ منزلةً من حاكمٍ بِسَذُومٍ عنْه أخْبارُ

وسذُومُ ـ بذال معجمة ـ بلد بحمص، أو هو قرية قوم لوط . وقاضي سذوم المشهور هو

الذي زعموا أنّه شكا إليه رجل مرّ بقوم ومعه امرأته على حمار . فضربوا الحمار وقطعوا ذنَبه، فتخبّط وطرح المرأة فأسقطت جنينا . فقال له : ادفع إليهم امرأتك يطؤونها حتّى تحمل ويردّونها إليك، وأعطهم الحمار يستخدمونه حتّى ينبت ذَنَبه ويردّونه إليك ! فيقال إنّ الرجل دعا عليهم، فخُسف بهم ولم يبق من أهل سذوم أحد.

وقال محيي الدين الاسكندراني :

ومُعتقدٍ أنّ الرّئاسة في الكِبْر فأصبح ممْقوتًا به وهْو لا يدري
يجُرّ ذيولَ العُجب طالب رِفْعةٍ ألا فاعجَبوا من طالب الرّفع بالجرّ !

وقال العرجي العثماني :

أضاعوني وأيّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ !

ويُحكى أنّه كان فتى يجاور الامام أبا حنيفة، رضي اللّه عنه، وكان يشرب كلّ ليلة، فإذا دبّ فيه الشراب جعل يغنّي . فكان أبو حنيفة يقوم من اللّيل ويسهر على النظر ويأنس بغنائه . وكان أكثر ما يغنّي بقول العرجي هذا : أضَاعُونِي وأيّ فَتًى أضاعُوا ... إلخ.

وبعـــده :

كأنّي لم أكُن فيهْم وسيطًا ولم تَكُ نِسبَتي في آلِ عمرِ

ثمّ إنّ الفتى خرج ليلة فأخذه العسس وحُبس، ففقد أبو حنيفة صوته في تلك الليلة . فلمّا أصبح سأل عنه فقيل له إنّه محبوس، فدعا بدابّته وركب إلى الأمير عيسى بن موسى . فلمّا استأذن عليه قال : ائذنوا له وأدخلوه راكبا، ولا تدعوه ينزل حتّى يطأ بساطي ! ففعلوا، فوسّع له الأمير في مجلسه وأجلسه معه وقال : ما حاجتك ؟ قال : جار لي أخذه العسس، فَأْمُر بتخليته ! قال : نعم، وكلّ مَن أُخِذ معه في تلك الليلة ! فأُطلقوا جميعا، وقيل إنّه بعد ثلاث ليال من حبسه . فقال الأمير : وكلّ من أُخذ من تلك الليلة إلى وقتنا . وأَطلق الجميع . فلمّا خرجوا دعا أبو حنيفة بالفتى فقال له : ألست كنت تغنّي : أضَاعُونِي وأيّ فَتًى أضاعُوا، فهل أضعناك ؟ قال : لا واللّه ! بل حفظت ورعيت، جزاك اللّه خيرا، وعليّ عهد اللّه ألاّ أشرب الخمر أبدا ! وتاب إلى اللّه تعالى .

وقال إسحاق الموصلي :

لاحَ بالمفرِق منكَ القتيرُ وذوى غُصنُ الشَّباب النَّضيرُ
هزئت أسماءُ منّي وقالتْ : أنت يا ابنَ الموصليّ كبيرُ !
ورأت شيبًا علانِي فأنَّتْ وابنُ ستّين بشيبٍ جديرُ
إن تريْ شيبًا علانِي فإنّي مع ذاكَ الشَّيبِ حُلوٌ مَزيرُ
قد يُفلّ السَّيفُ وهْوَ جُرازٌ ويصولُ اللَّيثُ وهوَ عَقيرُ

قوله : حُلْوٌ مزيرُ، المزير : المعظَّم المُكرم، وقيل الظريف ؛ والسَّيفُ الجُرازُ : القاطع.

وقال الربيع بن ضبع الفزاري :

فارقَنا قبلَ أن نُفارقَهُ لمَّا قَضى مِن جماعِنا وطَرًا

والضمير للشَّباب .

وقبلَهُ :

أقفرَ من ميَّةَ الحديبُ إلَى الرحبين إلاّ الظّباءَ والبَقَرا ؟
كأنّها دُرَّةٌ مُنعَّمَةٌ من نسْوةٍ كُنَّ قبلَها دُرَرَا
أصبحَ منّي الشَّبابُ مُبتكِرًا إن ينْأ عنّي فقد ثَوى عُصُرا[93]

وبعده :

أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولاَ أملكُ رأسَ البعير إن نَفَرا
والذّيبُ أخشاهُ إن مررتُ به [وحدي] وأخشى الرِّياحَ والمَطرا
ها أنا ذا آمُلُ الخلود وقَدْ أدركَ عُمْرِي ومَوْلِدِي حُجُرًا
أبا امرِىءِ القيسِ قد سمعتُ به هيهاتَ هيهاتَ طالَ ذا عُمُرًا !

وقال أعرابي من ضبَّة، قدم البصرة وخطب امرأة فاشتطوا عليه في الصداق :

خطبتُ فقالوا : هات عشرينَ بَكرةً ودرعًا وجلْبابًا فهذا هو المهْرُ
وثوبَين مروِيَّينِ في كلّ شَتْوةٍ فقلتُ : الزّنى خيرٌ من الحربَ القسرُ !

وقال خنافر بن التوام الحميري :

وكان مُضلّي مَن هُديتُ بِرشدهِ فللّهِ مُغْوٍ عاد بالرُّشْد آمِرا !

وقصَّته في إسلامه مشهورة في السِّيَر، فلا نطيل بسردها .

93) في د :... ثوى بصرا.

غيـــره :

إنـّي رأيتـُكَ كالورْقـاءِ يـُوحشـُها قـُربُ الأليفِ وتغـْشاهُ إذا نـُحرا

غيـــره :

فإن تبكِ للبرقِ الـّذي هيـّج الهوى أ'عـِنـْكَ وإن تصبرِ فلـَستُ بصابرِ

وقبلـــه :

سقـَى اللهُ حيـًّا بين صارةَ والحمى حمى فيدَ صوبَ المُدجناتِ المواطرِ

أمينَ فأدّى اللهُ ركـْبـًا إليهمُ بخير ووقـّاهـُم حمامَ المقـادرِ

كأنـّي طريفُ العين يومَ تطاولت بنا الرّملَ سُلاّفُ القلاص الضـّوامرِ

حِذارًا على القلب الـّذي لا يضرُّهُ أحاذرَ وشـْكَ البين أم لم يـُحاذرِ

أقول لـِقمْقامِ بن زيدٍ : أما ترى سنا البرقِ يبدو للعيونِ النـّواظرِ ؟

فإن تـَبـْكِ... (البيت)

غيـــره :

وما تعرفُ الأعرابُ مشـْيـًا بأرضها فكيف ببيتٍ من رُخامٍ ومرمـَرِ ؟

وهذا القائل أعرابي دخل البصرة على ابن عمّ له . فلمـّا كان يوم الجمعة رآه البصري أشعث، فقال له : إنّ النـّاس يتطهـّرون للجمعة ويتنظـّفون ويلبسون أحسن الملابس، فتعـَالَ أ'دخـِلـْك الحمـّام لتتنظـّف من شظف البادية وتتطهـّر للصلاة ! فدخل معه الحمـّام. فعندما وطىء الأعرابي فرش أوّل بيت في الحمـّام لم يحسن المشي عليها لـِمـَلاستها، فزلق وسقط لوجهه وصادف حرف مدخل البيت وشجـّه الحرف في وجهه شجـّة منكرة، فخرج مذعورا ودمه يسيل وهو ينشد :

وقالوا : تـَطهـّرْ إنـّهُ يومُ جـُمعةٍ ! فأ'بـْتُ من الحمـّام غيرَ مُطهـّرِ

تزوّدتُ منه شجـّةً فوق حاجِبي بغير جِهادٍ بـِئسَ ما كان متـْجري !

يقول ليَ الأعرابُ حينَ رأينـَني : به لا بـِظـَبـْيٍ بالصـّريمةِ أعـْفـَرِ

ومـَا تـَعـْرِفُ الأعـْرابُ... (البيت)

غيـــره :

تمتـّع من شـَميمِ عـَرارِ نجـْدٍ فما بعد العشيـّةِ من عـَرارِ !

وقبلـــه :

أقولُ لصاحبي والعِيسُ تَحذَى ... بِتَابَيْنَ المُنيفةِ فالضمَّارِ

وبعـــده :

ألا يا حبَّذا نَفحاتُ نجْدٍ ... وريَّا روضِهِ بعد القِطَارِ

وأهلُك إذ يحُل الحيُّ نجْدًا ... وأنت على زمانِكَ غيرُ زارِ

شهورٌ ينقضِينَ وما شعُرنا ... بأنْصافٍ لهُنَّ ولا سِرَارِ

وإنَّما نسوق مثل هذا لأنَّه ما من موضع أو أمرٍ إلاَّ ولك أن تعتبره لنفسك نجدا، وما من طيبٍ بل وما من خيرٍ إلاَّ ولك أن تعتبره عَرَارًا، وتعتبر اغتنامه شمِيما، فَتَضرِبَ هذا في انتهاز الفرصة من الشيء قبل فواته . وكثيرًا ما نورد مثل هذا أو أغْمَضَ منه في هذا الكتاب، والذكيّ السَّديد يفقهه، والغبيّ البليد ينْجَهُه.

وقال أبو صخر الهذلي :

ألا أيُّها الرَّكبُ المخبُّون هل لكم ... بساكن أجْزاع الحِمى بعدنا خُبْرُ ؟

وقبلــه :

لِليلى بذاتِ الجيشِ دارٌ عرفْتُها ... وأُخْرى بذات البينَ آياتُها سَطْرُ

كأنَّهُما مِلْآنَ لَم يتغَيَّرَا ... وقد مرَّ للدَّاريْنِ من بعدنَا عصْرُ

وقفتُ بِرسْمَيْها فعَيَّ جوابُها ... فقُلت وعيني دمْعُها سربٌ همرُ :

ألا أيُّها الرَّكبُ... (البيت)

فقالوا : طوينا ذاك ليلاً وإن يكُن ... به بعضُ من تهْوى فما شعَر السَّفرُ

وفي النَّوادر [لأبي علي][94] عن أبي العبَّاس : قال عبد اللَّه بن شبيب : حدَّثتني أم المغوار الباهليَّة قالت : كنت بفناء بيتي في السحر، فمرَّ بنا ركب، فتمثَّلت بهذا البيت: ألاَ أيُّهَا الرَّكْبُ... (البيت)، فأجابني غلام من صدر راحلته :

فقالوا : طويْنا ذاك ليلاً وإن يكُن ... به بعضُ من تهوى فما شعَر السَّفْرُ

خليليَّ هل يُستخْبرُ الرِّمثُ والغَضا ... وطلحُ الكُدى من بَطن مرَّانِ والسِّدرُ؟

وقال المعتمد بن عبَّاد، وقد رأى قُمريَّة تنوح وبين يديها وكر فيه طائران يترنَّمان :

بكت أن رأت إلْفينِ ضمَّهما وكْرُ ... مَساءً وقد أخْنى على إلفِها الدَّهرُ

94) ساقط من د.

وناحت وباحت واستراحتْ بسرِّها وما نَطقتْ حرفًا بيومٍ به سرُّ
فماليَ لا أبكي أمِ القلبُ صخرةٌ وكَم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهر!
بَكت واحدًا لم يشجُها غير فقده وأبكي لِألاّفٍ عديدهُمُ كُثْرُ
بُنَيٌّ صغيرٌ أو خليلٌ مُوافِقٌ يُمزّقُ ذا قفرٌ ويُغرقُ ذا بحرُ

وقال أيضا يخاطب نفسه، من أبياتٍ مشهورة :

قد كان دهرُكَ إن تأمُرهُ مُمتثلاً فردّك الدّهر مَنهِيًّا ومأمُورًا
مَن باتَ بعدكَ في مُلكٍ يُسرُّ به فإنّما باتَ بالأحْلامِ مغْرورًا

وقال الراضي باللّه لابنـه يخاطبه :

لا يَكْرِثَنّكَ خطْبُ الحادثِ الجاري فما عليكَ بذاكَ الخَطْب من عارِ
ماذا على ضيْغمٍ أمْضى عَزيمَتَهُ أن خانَهُ حَدُّ أنيابٍ وأظْفارِ ؟
لئن أتوكَ فمِن جُبنٍ ومِن خوَرٍ قد ينهضُ العيرُ نحو الضّيْغمِ الضّاري

وقال الوزير أبو محمّد بن عبدون يرثي بني المظفّر، من قصيدة مشهورة :

ما للّيالي أقال اللّهُ عثْرتَنا من اللّيالي وخانتْها يدُ الغِيَرِ
تسرُّ بالشّيءِ لكن كي تغُرَّ بِه كالأيْمِ ثارَ إلى الجاني من الزّهرِ ؟
كم دولةٍ وليت بالنّصر خِدمَتها لم تبقِ منها وسَل ذكْراك بالخبرِ !
هوتْ بدارًا وفلّتْ غرْبَ قاتِله وكان عضْبًا على الأيّامِ ذا أثُرِ
واسترجَعَت من بني ساسانَ ما وهبَت ولم تَدع لبني يُونانَ مِن أثَرِ
وأتْبعَت أُختها طسْمًا وعاد على عادٍ وجُرهُمَ منها ناقضُ المِرَرِ
وما أقالت ذوي الهيئاتِ من يمنٍ ولا أجارتْ ذوي الغايات من مُضَرِ
ومزّقت سبَئًا في كلّ قاصيةٍ فما التقى رائحٌ منها بمُبتكِرِ
وأنفَذت في كُليبٍ حُكمَها ورمَت مُهلْهِلاً بين سمعِ الأرض والبصرِ
ولم تَردّ على الضّلّيلِ صِحّتَهُ ولا ثَنَت أسدًا عن ربها حُجُرِ
ودوّخت آل ذُبْيانٍ وجِيرتَهُم لخْمًا وعضّت بني بدرٍ على النّهَرِ
وألحقَت بعديٍّ بالعراقِ على يَد ابنِه أحْمرِ العينين والشّعرِ
وبلّغت يزْدَ جرْدَ الصّينَ واختَزلت عنهُ سِوى الفُرس جمع التُّركِ والخزرِ

ومزّقت جعْفراً بالبيض واختلَست ... من غيلِه حمزةَ الظّلاّمَ للجُزُرِ
وأشرفت بخُبيبٍ[فـوق] فارعةٍ[95] ... وألْصقَتْ طَلْحةَ الفيّاضَ بالعَفر
وأجزَرت سيفَ أشْقاها أبا حسنٍ ... وأمكنتْ من حُسيْنٍ راحتيْ شمِر
وليتها إذ فدت عمْراً بخارجةٍ ... فَدت علِيّاً بما شاءت من البشر !
وما رعَت لأبي اليقْظان صُحبَتَهُ ... ولم تُزوّدْهُ إلاّ الضّيحَ في الغُمرِ
وفي ابن هندٍ وفي ابن المُصطفى حسنٍ ... أتَتْ بمُعضِلَةِ الألْبابِ والفِكرِ
فبعضُنا قائلٌ ما اغتالهُ أحَدٌ ... وبعضُنا ساكِتٌ لم يُوتَ من حَصَرِ
وعمَّمت بالرّدى فوْديْ أبي أنسٍ ... ولم ترُدَّ الرّدى عنهُ قَنا زُفرِ
وأنزلَت مُصعبًا من رأس شاهقةٍ ... كانت به مُهجةُ المُختارِ في وزَرِ
ولم تُراقِب مكان ابنِ الزُّبير ولا ... رعَت عِياذتَهُ بالبيتِ والحجَرِ
ولم تَدعِ لأبي الذُّبان قاضِبَةً ... ليس اللّطيمُ لها عمرٌو بمنْتصر[96]
وأظفَرت بالوليدِ بْن اليزيدِ ولَمْ ... تُبقِ الخِلافةَ بين الكأسِ والوترِ
ولم تُعِد قُضبَ السّفّاحِ نابيةً ... عن رأس مروانَ أو أشْياعِهِ الفُخُرِ[97]
وأسبلت دمْعة الرّوحِ الأمينِ على ... دمٍ هُريقَ لآلِ المُصطفى هَدرِ
وأشْرقت جعْفراً والفضلُ يَنظرُهُ ... والشّيخَ يحيى بريق الصّارمِ الذّكر
ولاوفَتْ بعُهود المُستعينِ ولا ... بما تأكّد للمعتزّ مِن مررِ
وأوثَقتْ في عُراها كلَّ مُعتمِدٍ ... وأشْرقَت بقَذاها كلَّ مُقْتدرِ
وروّعت كلَّ مأمونٍ ومُؤتَمِنٍ ... وأسْلمَت كلَّ منصُورٍ ومُنتَصِرِ

وقال الحاجب أبو مروان بن رزين، وقد سقط عن الفرس :

إنّي سقطتُ ولا جُبْنٌ ولا خَوَرُ ... وليس يُدفَعُ ما قَد شاءهُ القَدرُ
لا يشْمَتنَّ عدوّي إن سقطت فقَد ... تكْبو الجيادُ وينْبو الصّارمُ الذّكرُ
هذا الكُسوفُ يُرى تأثيرهُ أبداً ... ولا يُعابُ به شمسٌ ولا قَمَرُ !

وقال أبو بكر بن عمّار :

---
95) سقطت كلمة «فوق» من د.
96) في د :... بمهتصر.
97) في ب :...نائية.

قالوا : أضرَّ بِكَ الهوى فأجَبتُهُم : يا حبَّذَاهُ وحَبَّذَا إضْرارُهُ !
قَلبي هُوَ اخْتارَ السَّقامَ لنَفْسِهِ زِيًّا فخلُّوهُ وما يخْتارُهُ !
عَيَّرْتُمونِي بالنُّحُولِ وإنَّمَا شَرَفُ المُهَنَّدِ أن تَرِقَّ شِفَارُهُ !

وقال الوزير أبو القاسم بن الجدّ :

عجبْتُ لمن يهْوى مِن الدُّرِّ تومَةً وقد سالَ في أرجاءِ معْدنِهِ التِّبرُ !

وقال الوزير الفقيه ابن سراج :

بُثَّ الصَّنائِعَ لا تحْفِل بموقِعِها فيمَن نَأى أو دنا ما كُنتَ مُقتدِرا
كالغيث ليس يُبالي حيثُما انسكَبَت منهُ الغمائمُ تُربًا كان أو حَجرا[98]

وقال الحماسي :

ولا يكشِفُ الغمَّاءَ إلاَّ ابنُ حُرَّةٍ يَرى غمراتِ الموتِ ثمَّ يزورُها

وقال تأبَّط شرًّا :

إذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جِدُّهُ أضاع وقاسى أمرهُ وهوَ مُدْبِرُ
ولكن أخو الحزمِ الَّذي ليس نازلاً به الخطبُ إلاَّ وهو للخطْب مُبصرُ
فذاك قريعُ الدَّهر ما عاش حُوَّلٌ إذا سُدَّ منه مَنخرٌ جاش منخَرُ

ومنهـا :

هُما خُطَّتا إمَّا إسارٌ ومنَّةٌ وإمَّا دمٌ والقتْلُ بالحُرِّ أجْدَرُ

وقال القطامي :

وما يعلمُ الغيبَ امرُؤٌ قبل أن يرى ولا الأمرَ حتَّى تستبينَ دوابِرُهْ

دوابِرُ الأمْرِ : أواخِرُهُ، جمع دابِرَةٍ، كالعواقب.

وقال عبد اللَّه بن سبرة :

إذا شالَتِ الجَوزاءُ والنَّجمُ طالِعٌ فكُلُّ مَخاضاتِ الفُراتِ مَعابِرُ
وإنِّي إذا ضَنَّ الأميرُ بِبابِهِ على الإذْنِ من نفسي إذا شئتُ قادِرُ

وقال ابن حبناء التميمي :

إذا المرءُ أولاكَ الهوانَ فأولِهِ هوانًا وإن كانت قريبًا أواصرُهْ

98) في ب :منه الصنائع تربًا كان أو حجر

إذا أنت عاديتَ امرءاً فاطّفِر له ... على عثْرةٍ إن أمكنتْك عواثِره[99]
فإن أنت لم تقدر على أن تُهينَه ... فذرهُ إلى اليوم الّذي أنت قادرهْ
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلةٌ ... وصمِّم إذا أيقنتَ أنّك عاقرهْ

وقال جميل بن عبد اللّه :

بنو الصّالحين الصّالحون ومن يكُن ... لآباء صِدقٍ يلقهُم حيث سُيِّرا[100]
أرى كلّ عودٍ نابتًا في أُرومةٍ ... أبى منبِتُ العيدانِ أن يتغيَّرا
وكُلُّ كسيرٍ يعلمُ النّاس أنّهُ ... سوى عظْم سُوءٍ لا ترى فيه مجبرا
فلا تأمَنِ النّوكَى وإن كان أهلُهُم ... وراءَ عدولاتٍ وكُنت بقيصر[101] !

قوله : يَعْلَمُ النّاسُ أنّهُ، أي أنّه لا ينجبر سوى عظم سوء، بحذف خبر أنّ للعلم به .

وقال التميمي يرثي منصور بن زياد :

يُثني عليك لسانُ مَن لم تُولِه ... خيراً لأنّكَ بالثّناءِ جَديرُ

وقال سلمة الجعدي يرثي أخاه :

فتًى كان يُدنيهِ الغِنى من صديقِهِ ... إذا ما هُوَ استغْنى ويُبعدُه الفقرُ

وقال مسافع العبسي :

وليس وراءَ الشّيءِ شيءٌ يردُّهُ ... عليكَ إذا ولّى سوى الصّبرِ فاصبِرِ

وقال منقذ الكلابي :

الدّهرُ لاءمَ بين أُلفَتِنا ... وكذاكَ فرّق بيننَا الدّهْرُ
وكذاكَ يفعَلُ في تصرّفِهِ ... والدّهْرُ ليسَ ينالُهُ وِتْرُ
كنتُ الضّنينَ بمن فُجِعْتُ به ... وسَلَوْتُ حينَ تقادمَ الأمرُ
ولخيرُ حظّك في المُصيبةِ أن ... يلقاكَ عند نُزولِها الصّبْرُ

غيـره :

إيّاك والأمرَ الّذي إن توسّعَتْ ... موارِدُهُ ضاقتْ عليكَ المصادرُ
فما حسنٌ أن يعذِرَ المرءُ نفسهُ ... وليس لهُ مِن سائرِ النّاسِ عاذرُ !

---

99) في ب : على عشرة إن امكنتك عواثره.
100) في د : بنو الصالحين الصالحين...
101) في د : «... وكتب بقيصرا» وهو تحريف.

وقال ابن البرصاء المرّي :

تَـبيـَّنُ أعقابُ الأمورِ إذا مضَتْ   وتُقبِلُ أشْباهًا عليك صُدورُها

وقال الآخـــر :

رأيت [أخا] الدُّنيا وإن كان خافضًا   على سفرٍ يسري به وهْو لا يدري

مُقيمين في دارٍ نروحُ ونغْتَدي   بلا أُهبةِ الثّاوي المُقيمِ ولا السَّفْرِ

وقال الرقاشي :

ألا ليقُل من شاء ما شاءَ إنَّما   يُلامُ الفتى فيما استطاعَ من الأمْرِ !

وقال الآخر، من الحماسيّين :

فإنَّك واستِبْضاعَك الشِّعرَ نحونا   كمُستبضِعٍ تمْرًا إلى أرض خيْبرا

وتقدَّم إنشاده، على غير هذا الوجه، لغير هذا الحماسي .

غيـــره :

وجاءت للقتالِ بَنُو هَليكٍ   فسُحِّي يا سماءُ بغيْرِ قَطْرِ !

وهذا الشاعر استعظم مجيء هؤلاء للقتال، لصغر شأنهم وهَوانِهم وحقارتهم عنده، فقال : سُحِّيَ يا سَمَاءَ بغَيْرِ قَطْرِ، أي بدم لا يقطر، استهزاءًا بهم وسخريَّةً .

غيـــره :

ومن عجبٍ أنَّ الصَّوارمَ في الوغى   تحيضُ بأيْدي القومِ وهي ذكورُ

وأعجبُ منهُ أنَّها بأكفِّهمْ   تُسعِّرُ نارًا والأكُفُّ بُحورُ !

وقال يزيد بن مُفَرِّغٍ الحِميَري[102]

سقَى اللَّهُ دارًا لي وأرضًا تركْتُها   إلى جنْبِ دار معْقِلِ بن يَسارِ

أبو ملكٍ جارٌ لها وابنُ بُرثُنٍ   فيالكِ جاريْ ذِلَّةٍ وصَغَارِ !

وذكر أبو العبَّاس المبرِّد في **الكامل** أنَّ سليمان بن علي سأل خالد بن صفوان عن ابنيه جعفر ومحمَّد فقال : كيف إحمادُك جوارهما يا أبا صفوان ؟ فقال خالد متمثّلا بهذا البيت :

أبو ملكٍ جارٌ لها وابنُ بُرثُنٍ   فيالكِ جاريْ ذِلَّةٍ وصَغَارِ !

قال : فأعرض عنه سلميان . وكان سليمان هذا من أحلم النَّاس وأكرمهم، وهو في ذلك

102) صحف اسم هذا الشاعر في ب، فكتب يزيد بن مفرع (بالعين المهملة).

الوقت والي البصرة وعمّ الخليفة المنصور . قال : وكان خالد بن صفوان ممَّن إذا عرض له القول [قال] . [قال] : وكان الحسن رحمه اللّه تعالى يقول : لسان العاقل من وراء قلبه، فإن عرض له القول نظر، فإن كان له أن يقول قال، وإن كان عليه القول أمسك . ولسان الأحمق أمام قلبه، فإذا عرض له القول قال عليه أوله(103)

وقال الآخـــر :

نزَف البُكاءُ دموعَ عينِك فاستعِر عَينًا لغيْرِكِ دمْعُها مِدرَارُ
مَن ذا يُعيرُك عينه تبكي بِها أرأيتَ عينًا للبُكاءِ تُعارُ ؟

وقال حُجيّة بن مضرب يمدح يعفر بن زرعة، أحد الأملوك، أملوك ردمان :(104)

شكرتُ لكُم آلاءكُمْ وبلاءكُمْ وما ضاعَ معْروفٌ يُكافِئُهُ شُكْرُ

وقبلــه :

إذا كُنت سئّالاً عن المجدِ والعُلاَ وأين العطاءُ الجزْلُ والنّائلُ الغمْرُ
فنقّبْ عن الأمْلوكِ واهتِفْ بيَعْفُرٍ وعِشْ جار ظِلٍّ لا يُغالبُهُ الدّهْرُ
أُولئكَ قومٌ شيّد اللّهُ فخْرهُم فما فوقَه فخْرٌ ,وإن عظُم الفخْرُ
أُناسٌ إذا ما الدّهرُ أظْلمَ وجْهُهُ فأيديهُمْ بيضٌ وأوجُهُهُم زُهْرُ
يصونونَ أحْسابًا ومجْدًا مُؤثّلاً ببذْلِ أكُفٍّ دونها المُزنُ والبحرُ
سموْا في المعالي رُتْبةً فوق رُتبةٍ أحلّتْهُمُ حيث النّعائِمُ والنّسْرُ
أضاءت لهُم أحْسابهُم فتضاءلَتْ لنورهِمُ الشّمسُ المُضيئةُ والبَدْرُ
فلوْ لامَسَ الصّخْرُ الأصَمُّ أكُفّهُمْ لَفاضَت ينابيعُ النّدى ذلك الصّخْرُ
ولو كان في الأرضِ البسيطَةِ منهُمُ لمُخْتَبِطٍ عافٍ لَما عُرفَ الفقرُ !

شَكَرتُ لَكُمْ... (البيت)

وقلت أنا معرضًا بقوم يغشون طعَاما ليصيبوا منهم طعاما :

إنّا أُناسٌ لستَ تُبصرُنا نتحيَّنُ الطُّعَمَ الّتي تُزْري
يعرَى الفتى ويجوعُ وهْو يُرى مُتجمِّلاً بالصّبْرِ والبِشْرِ

---

103) في ب : قال له أو عليه

104) في ب : حجة بن ضرب.

والحُـرُةُ الشَّمَّـاءُ رُبَّتَمَـا ... جاعتْ ولَم تُرضِعْ عَلَى أجْرِ
والمورِدُ العذبُ الفُراتُ إذا ... راتَـتْهُ حُمْرٌ سيمَ بالهجْرِ
وإذا تَرى طَيْرًا بمَزْبَلَةٍ ... فالطَّيْرُ غيرُ البازِ والصَّقْرِ
وإذا رأيتَ المرءَ مُحْتَسِيًا ... كأسَ الهوانِ فَليْسَ بالحُرِّ

[ووقف عليها جماعة من فضلاء العصر فاستحسنوها غاية، فحاولت أن أزيد عليها شيئا من هذا النَّمط يتمّ به الغرض، فانجرَّ الأمر بها حتَّى كانت قصيدة رأيت أن أثبتها هنا على طولها، لأنَّها كلَّها أمثال وحكم، وهي :][104م]

والحرُّ ليس حياتُهُ بسِوَى ... عِزِّ الجنابِ ورفْعَةِ القَدْرِ
لا بالطَّعَامِ ولا الشَّرابِ ولاَ ... اسْتِلْقَائِهِ بأرائِكٍ وُثْرِ
وإذا تُزايِلُكَ الحَياةُ فَمَا ... مِن عيشَةٍ تبْقَى ولا عُمْرِ
وسُؤالُ ذِي لُؤْمٍ وذي بَخَلٍ ... ورجاءُ نعْشَتِهِ من العثْرِ[105]
أنْكى لقلْبِ أخي المروءةِ مِنْ ... إصْلائِهِ بلَوافِحِ الجَمْرِ
وأشَدُّ مِن عَدِّ الرِّمالِ ومِنْ ... نقْلِ الجبالِ ومحْمِلِ الصَّخْرِ
وأضرُّ من كلِّ النَّوائب إنْ ... عظُمت عليك وكُلِّ ما شرِّ[106]
وتقلُّدٌ لِلْمَنِّ مِنْ يَدِهِ ... غُلٌّ على هاديكَ فِي الأسْرِ[107]
بلْ وخْزَةٌ في القلبِ ناكِئَةٌ ... بلْ طعْنةٌ في لَبَّةِ النَّحْرِ
وغِناك عنه بالقناعةِ في ... حاليْكَ مِن يُسْرٍ ومن عُسْرِ
أجْدى منَ المُلكِ الَّذي جَمعتْ ... أبناءُ هُرمُزَ غابِرَ الدَّهْرِ
وألذُّ من سِنَةِ الشَّبابِ عَلى ... جِدَةٍ ومن وَثْرٍ على وِثْرٍ[108]
ولباسُ صونِكَ عَنْ تملُّقِهِ ... أبْهَى من الإستَبْرَقِ الخُضْرِ
وحُلَى الوقَارِ عليكَ أجْمَلُ من ... أن تَحْتلي بقَلائِدِ النَّضْرِ
وصبابةٌ من ماء وجْهِكَ أنفَسُ ... مِن رحِيقٍ سَلْسَلٍ غَمْرِ

104م) ما بين معقوفتين ساقط من أ.
105) في هامش كل من ب و د : في نسخة : «ورجاؤه لمعاضل الأمر» وفي نسخة أخرى : «لنوائب تجري».
106) في الهامش أيضا : في نسخة «المصائب» بدل «النوائب».
107) الهادي : العنق.
108) في الهامش : الوَثر - بفتح الواو - : النكاح، والوِثر - بكسرها -: الفراش الوطيء . وهو مثل.

فإذا عرتْكَ الحادثاتُ فَثِقْ ... بمليكِها ذي الخلْقِ والأمْرِ
واصبِرِ لروْحِ اللهِ مُرتَجِيًا ... فَلَتَحْمدنَّ عواقبَ الصبْرِ !
إنَّ اصْطَبارَ المرءِ مُفْتَتِحٌ ... مُتغلِّقَ البَأساءِ والعُسْرِ
ومُنفِّسٌ عنهُ الكُروبَ إذَا ... ضَاقَتْ بِهِنَّ جوانِحُ الصَّدْرِ
كم من حزينٍ باتَ مُكْتئبًا ... مُتسعِّرَ الأحْشاءِ ذا أفْرِ[109]
لا يرتَجِي جِلْبَابَ لَيْلَتِهِ ... أن يَنْثَنِي طَرفَاهُ بالسَّفْرِ
فَأتَتْهُ ألطَافٌ مُنفِّسَةٌ ... لفُؤادِهِ من حيثُ لا يَدْرِي[110]
ولكَمْ بُعَيْدَ الضِّيقِ من سعةٍ ... ولكم بُعَيدَ العُسْرِ من يُسْرِ !
هل بعد مُعْتكِرِ الظَّلامِ سَوى ... بلَجِ الصَّباحِ وطلعةِ الفَجْرِ ؟
أو بعد ظمْأةِ هَجْمةٍ وردتْ ... غيرُ ارتِواءِ جانب الغدرِ[111]
أو بعد خانقةِ التِّلاعِ سِوَى ... فيحِ الفجاجِ وفُسحةِ البُهْرِ[112]
وإذا تُحاولُ نيلَ مَكرُمَةٍ ... فانْهَضْ إليها نهْضَةَ الشِّمْرِ
واركَب جوادَ الجِدِّ مُكتَفِيًا ... ذيلَ الملالَةِ منكَ والفَتْرِ !
فلرُبَّ ذي أملٍ على مَلَلٍ ... ومُهَدَّرٍ في العُنَّةِ الحجْرِ[113]
ولرُبَّ ذي رعْدٍ على صَلَفٍ ... فتراهُ يخْلقُ ثَمَّ لا يَفْرِي
ومُخاطرًا بالنَّفس فيه فَما ... يُرجى الخَطِيرُ بغيرِ ذي خَطَرِ
واعلم بأنَّ الغوصَ في لُججٍ ... خُضُرٍ يخفُّ لجالِبِ الدُّرِّ !
وتعسُّفَ القِننِ الصِّعابِ عليَّ ... خِصب يخِفُّ لحالِبِ الدَّرِّ
ولَدى الرِّياحِ الكُثْرِ يَحْمدُ ما ... جاب المفاوزَ صاحبُ التَّجْرِ
ولدى الصَّباحِ يكونُ مُغْتبطًا ... وينالُ بُغيتَهُ الَّذي يسْرِي
وتسنَّمنَّ ذُرَى الأمورِ ولا ... تُخْلِدْ إلى سفْسافِها الخضْرِ !
واعْلم بأنَّكَ ما استطَبْتَ جَنَى ... إلاَّ لطيبِ الجذْرِ والبَذْرِ !

109) في الهامش : الأفر : غليان القدر. وفي نسخة : ذا زفر.
110) في الهامش : في نسخة : «فَأجَتْهُ ألطافٌ...».
111) الهُجمة ـ بضم الهاء ـ : القطعة من الابل.
112) صحفت كلمة «خانقة» في د، فكتبت «حانقة» بالحاء المهملة. والبهر : المكان المتسع.
113) في الهامش : الحظيرة المحجورة . وهذا مثل سياتي في الكاف (يدل هذا على أن هذه الهوامش للمؤلف نفسه)

والكرْمُ يُجدي المُجتَني عِنبًا والشّوكُ لا يُجدي سوى الشّصرِ[114]
ولكَم ترى مرعًى ولستَ ترى كرعايةِ السّعدانِ والثّغْرِ
والنّاس كالغوغاءِ هائمةً لو كان يبْلو النّاسَ ذو خُبْرِ
والمرءُ كلُّ المرءِ بينهُمُ ذو الملْبسِ الزّاهي وذو الوفْرِ
لا ينظرونَ إلى الوفاءِ ولاَ فضْلِ الذّكاءِ وثاقِبِ الفكْرِ
لو أقبَلت دُغَةٌ لهَشَّ لها كُلٌّ إذا راحَتْ إلى دَثْرِ
أو جاء قيسٌ يستغيثُ صدًى لم يَسْقَ إن أمْسى أخا فقْرِ
لم يدّروا أنَّ الكمالَ لِذي فضلِ النّدى والحِلمِ والحِجْرِ
لا ذي الحُلى المسبُور مائلةً أعْطافُه بالزّهْوِ والكِبْرِ[115]
فالعُجبُ بالمَلْبُوسِ من سخَفٍ في اللّبِّ وهْو لربّةِ الخِدرِ[116]
والسّيفُ ليس يشينُهُ خَلَقٌ في الجفْنِ وهو العضْبُ ذو الأثْرِ
وكذا ذبولُ المتنِ ليس يُرَى عيبًا على الخَطّيّةِ السُّمْرِ
والطِّرفُ ليس يُعابُ من ضُمُرٍ يغْشاهُ بعد تداوُلِ الحُضْرِ
ولكم ترى نبْتًا يلذُّ على شحْبٍ وكم من ناعِمٍ مُرٍّ !
ولكم ترى دِمَنًا تُعافُ إذا تُشْتمُّ وهْيَ أنيقَةُ الزّهْرِ !
فتوخَّ في النّاسِ الوفِيَّ إذا عاشَرتَهُم وحَذارِ ذا الغدْرِ !
واسبُرهُم قبلَ الاخَاءِ ولاَ تغْتَرَّ في الاخْوانِ بالسَّبْرِ !
كم من أخٍ مَذِقِ الوِدادِ على ما فيه من إحَنٍ ومن سِبْرِ[117]
إن تلقَهُ فالشّهْدُ مقْوَلُهُ وإذا تغيبُ يكونُ كالصّبْرِ
سِيمَى بوجهِكَ تستميلُ وإن أدبرْتَ عنهُ فكَيّةُ الظّهْرِ
وإذا الزّمانُ دعاكَ نائِبُهُ العاري إليهِ ترجّيَ البِرِّ
فسيحتبيكَ بوعْدِ غانِيَةٍ أو وعْدِ عُرقوبٍ جَنَى التّمْرِ

---

114) الشّصْرُ مصدر شَصَرَتْه الشوكة : أصابته.
115) في الهامش : المسبور أي الحسن السبر، وهو الهيئة.
116) في الهامش : في نسخة فالفخر» وفي أخرى «فالزهو» بدل «فالعجب»
117) في ب : «كم من أخ وذق الوداد على». وفي د : «فدق الوداد..» والسِّبر - بكسر السين - : العداوة.

وإذا تعُودُ يظلُّ مُكْتَلِحًا مُتغيِّظًا ينْــزو ويستشْــرِي
وإذا تُصادفْ ذا الصَّفاءِ فكُن منهُ ولَو صافاكَ ذا حِذْرِ !
وأسِمْ سوائِمَ سرحِهُ طُرَرًا مطْروقةً من مسْرحِ السِّرِّ[118]
وصُنِ السَّرارةَ واللُّبابَ ولاَ تبذُلْ له منهُ سِوى القِشْرِ !
فلربَّما يلْـوِي الزَّمانُ بِهِ فيكونُ أبْصَرَ فيكَ بالضُّرِّ
وإذا تُصاحِب أو تُجالِس أوْ تسْتبْ فالتمِسَنْ ذوي القدرِ !
فصداقةُ النُّبهاءِ مَفْخَرةٌ وكذا نواؤُهُمُ مِن الفَخْرِ
وصداقَةُ اللُّؤمَاءِ مُعْقِبَةٌ لُؤمًا كمثْلِ حِكاكِ ذي العرِّ
والسَّاقطُ الدَّاني مُشاتِمُهُ كالبائِعِ العقْيانَ بالصُّفْرِ
والحظُّ والمقْدارُ ما حُصِرَا في ذي الذَّكاءِ يبيتُ يستمْرِي
بل قسمَةٌ أزليَّةٌ نَشَأتْ بِيَدَيْ مُدبِّرِها على قَدْرِ
وإذا نَظَرْتَ وجَدْتَ في قرنٍ غَمْرَ الغنى وجهالَةَ الغُمْرِ
وترى اللَّبيبَ يبيتُ في ضَفَفٍ بهُمومِهِ مُتقسِّمَ الفِكْرِ
ليكون فضْلُ حجى الفتى عِوضًا عن فضْلِ مالِ الأنْوكِ الكثْرِ
وتكونُ أحْكامُ الالَهِ جَرتْ في الخَلْقِ عن غَلَبٍ وعن قَسْرِ
والمرءُ ممْدودٌ لَهُ أجَلٌ فُسُحٌ مَداهُ نصائِبُ القَبْرِ
يُسْدِي ويُلحِمُ في مُزاولَةٍ ما ليسَ يُدركُهُ مَدى العُمْرِ
ويبيعُ بالآلِ المَعينَ وبالخزفِ الكَسيرِ نضائِدَ التِّبْرِ[119]
ولِمن تبدَّلَ زائِلاً صَرِدًا مِن دائِمٍ قد باءَ بالخُسْرِ
فأُعدَّ لليومِ الَّذي خضعَت فيه الطُّلا لرواجِفِ الذُّعْرِ
وتحوَّلَت فيه الَّذينَ هُمُ قُنَنُ الذُّرى شممًا إلى الذَّرِّ
وتدوسهُــمْ أقْــدامُ طائفةٍ كانت لديْهِم موقِعَ السُّخْرِ !
وازْمُمْ ركابَكَ للرَّحيلِ غدًا إنَّ الخليط غَدَوْا على ظهرِ !

118) في د : «... مسرج السر». وفي آ «...ضرار مطرونة...» وهو تحريف.
119) الآل : السراب.

وتسلَّ عن ليلى فقد أزِفتْ عنها النـَّوى ومضاضـَةُ الهجْرِ !
وتخلَّ عن كلِّ الإلافِ إلى إلـْفاءِ إلفٍ واصِلٍ بـَرٍّ !
وتسوَّغـَنْ بجميلِ صبْركَ ما تـُسقى بغيرهمُ من الصـَّبْرِ[119م]
وفِ بالعـُهودِ ولا تكـُنْ إلـْفـًا نقـْضـًا ولو قبْضـًا على جمْرِ !
واعلـَم بأنَّ الوجْهَ ذو شَحَطٍ ومخاوفٍ ومجاهِلٍ غـُبْرِ !
فارتـَدْ خفيرَ إنابـَةٍ ولـَجـَا والعلمَ خِرِّيتـًا إذا تـَسْرِي !
وتزوَّدنَّ وخيرُ زادِكَ مِنْ تـَقـْوى المُهيْمنِ سامِعِ الأمْرِ !
واجعـَل مـَزادَ الصِّدقِ مُحكـَمَةً وتخيـَّرنَّ نجائبَ الصَّبْرِ !
وتخيـَّرِ الرُّفقـاءَ مُجتنبـًا قـُربَ الدَّدانِ وصُحبةَ المُزري[120]
وإذا ارتـَحـَلـْتَ فلا تشـُذَّ وسِرْ وسْطَ الخليطِ ومُعظمِ السَّفـْرِ !
وحذارِ رحْلـَكَ يقـْتفي سُبُلاً عن نهجهِم فيَضِلَّ في القـَفـْرِ !
وارعَ البطاحَ إذا مَرِعْنَ ولا تترقـَّيـَنَّ بحالِقٍ وعـْرِ !
وإذا الرِّياحُ عصفـْنَ في شَرَفٍ فلتـُسهِلـَنْ أو غـُلَّ في جُحْرِ !
وإذا ظمئـْتَ ففي الأصيلِ فـَرِدْ فردًا عن الضَّوضاءِ والكـَدَرِ !
وإذا رأيتَ سفينةً خـُرِقـَتْ فـَتأنَّ لا تعجـَلْ إلى النـُّكـْرِ !
وإذا تكونُ نزيلَ ذِي كـَرَمٍ رحْبِ الذَّرى مُتفضِّلٍ غـَمْرِ
لا يعدِمُ العافي نـَداهُ ولاَ يعْتلُّ عن ذُهْلٍ ولا فـَقـْرِ
فـَأرِح فـُؤادكَ أن يكونَ بـِهِ هـَمٌّ إلى زادٍ عـَلى ذكـْرِ !
وحذارِ أن يلـْقاكَ مُرتـَجِيـًا ما يجتنـِيهِ سواهُ من جـَبْرِ[121]
وكـُنِ الخلِيَّ وأنتَ ضائـِفـُهُ عارُ النـَّزيلِ على الذي يـَقـْرِي !
وإذا الهوى ناواكَ مُحتفِلاً ومُجمـَّعـًا بمُعسكـَرٍ مجـْرِ[122]
فلتـُعـْدِدنْ ما اسطعتَ من وجـَلٍ وضـَراعـَةٍ فتـُدالَ بالنـَّصـْرِ

119م) في أ «تسقى بـُعـَيـْدَهـُمُ...».
120) الدّدان : من لا غناء له. والمزري : الأحمق.
121) الجبرُ : العطاء.
122) معسكر مجر : أي كثير

واستمْدِدَنْ من واهِبٍ رؤُفٍ نوراً يقيكَ مَداحِضَ الحُكْرِ[123]
وكِلِ الأمورَ إليهِ مُلتَجِئاً مُتبرِّياً مِلْحوْلِ والأزْرِ !
وإذا حَللتَ بساطَهُ فَغَدَا يسْقيكَ صِرفَ عَتيقَةِ الخَمْرِ
فلْترْعَيَنْ أدبَ الجليسِ ولاَ تغْتَلْ حِجاكَ غوائلُ السُّكْرِ !
وإذا مليكُ الدّارِ في طَرفٍ منها أناخَ مَطاكَ أو عُقْرِ
فالزَمْ مُناخَكَ أو يُحوِّلَهُ بِرِضى الجنانِ وغايَةِ الشُّكرِ[123م]
ولْتعْتزز بحِماهُ مُعْتصِماً ناهِيكَ من سَندٍ ومِن حَظْرِ !
وثِقَنْ بما أولاكَ من عِدَةٍ فالنَّقدُ موعِدُ مُفْضلٍ مُثْري !
وتجلَّ في ثوبيْ عُبُودَتِهِ ناهيكَ من شَمَمٍ ومِن ذِكْرِ !
وتحلَّ بالخُلُقِ الجميلِ على لُقْيا الورَى وحوادِثِ العصرِ !
ولْتلقَهُم وحشاكَ مَشْرَبُهُ صافٍ مِن الشَّحْناءِ والغِمْرِ !
وبليغُ نُصْحِكَ للقصيِّ وللأدنى سَويُّ السِّرِّ والجهْرِ
واجْعلْ مُعاقَرةَ المَنونِ على بالٍ فيا ناهِيكَ من ذُخْرِ !

وقال الآخــــر :

إلى كَم يكون الصَّدُّ في كلِّ ساعةٍ وكم لا تملِّينَ القطيعةَ والهجْرا ؟
رُويْدكِ إنَّ الدَّهرَ فيه كِفايةٌ لتفْريقِ ذات البينِ فانتظِرِ الدَّهرا !

وقال الآخــــر :

هبَّ النَّسيمُ فاهْدى نشرهُم سَحَراً وأزْهر الرَّوضُ من أنفاسِهم عَطَراً
إنِّي وإن أبْعدتْ عنِّي منازلُهم فلا أزالُ أروِّي عنهُمُ الخَبَرا
قُلْ للسَّعيد الذي يحْظى برؤيتهم : إنِّي لتحْسُد عيني فيكُمُ النَّظرا

غيــــره :

وحقِّكُمُ مالي على فقدكُم صبْرُ وما طاب لي عيشٌ ولم يصف لي سرُّ

123) الحكر : الظلم.
123م) في ب : فانزل مناخك

وكيف يُسرُّ القلب يومًا بِلذَّةٍ ومنزلُكُم يا سادتي منزِلٌ قفْرُ
فما الدَّارُ دارٌ مُذ نأيْتُم ولا الكرى لذيذٌ وحُلوُ العيشِ بعدكُمُ مُرُّ

غيـــره :

لو كان لي مُسعِدٌ بالرَّاح يسعدُني لما انتظرتُ بشربِ الرَّاحِ إفطارا
الرَّاحُ أشرفُ شيءٍ أنت شاربُهُ فاشربْ ولو حمَّلتْك الرَّاحُ أوزارًا
يا من يلومُ على صهْباءَ صافيةٍ دعِ الجِنانَ ودعْني أُسكُنُ النَّارا !

وفي **لطائف المنن** للتاج ابن عطاء اللّه أنَّ هذا الشعر أنشده منشد بين يدي الشيخ . فأنكر عليه بعض الحاضرين أن ينشد مثل هذا في هذا الموضع . فقال الشيخ للمنشد : قل ودع عنك هذا، فإنَّه محجوب ! انتهى بالمعنى وهو بيِّن، فإنَّ الخمر خمران، والنَّار ناران، والجنان جنانان . فكلّ يشرب بحسب ذوقه، ويفهم بمقتضى قصده .

وقال الآخـــر :

هلاَّ رأيتَ وقائِـــعَ الدَّهـــرِ أفلا تُسيءُ الظَّنَّ بالعُمْرِ ؟
بينا الفتى كالطَّـودِ تمنعُهُ هضباتُهُ والعضْبُ ذو الأثْرِ[124]
يأْبَى الدَّنـيَّةَ في عشيرتِهِ ويُجاذِبُ الأيْدي على الفخْرِ
زلَّ الزَّمـانُ بوطْءِ أخْـمَصِهِ ومـواطِىءُ الأقْـدامِ للْعَـثْـرِ

غيـــره :

أين الملوكُ وما بنوْهُ وشيَّدوا ؟ ماتوا جميعًا في التُّرابِ وسارُوا
آثارهُم تُنْبيكَ عن أخْبارِهِمْ هذي هي الأطْلالُ والأخْبَـارُ
إن سَلْتَ عنهُم قُل لنفسك:بعدهم لم يبق إلاّ الواحِدُ القَهَّارُ !

غيـــره :

يا راقدَ اللَّيلِ مسْرورًا بأوَّلِهِ إنَّ الحوادثَ قد يطرُقْنَ إسْحارا !

ولـــه :

لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنت كالغصَّانِ بالماءِ اعْتِصار

غيـــره :

124) في ب :هضاته. وهو تحريف.

النَّاسُ شتَّى إذا ما أنت ذُقتهُمُ لا يستوُونَ كما لا يستوِي الشَّجر[125]
هذا له ثمَرٌ حُلْوٌ مَذاقَتُهُ وذاكَ ليس لهُ طعْمٌ ولا ثَمَرُ

وقال النَّمر بن تولب :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرّ[126]

سَلْم الخَاسر[127] :

من راقَبَ النَّاس ماتَ غَمَّا وفازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ

ابن المعتزّ :

لا تأمَنوا من بعدِ خيرٍ شرًّا كَم غُصنٍ أخْضَرَ صارَجَمْرًا !

الصَّنَوْبري :

مِحَنُ الفتى يُخبرنَ عن فضْلِ الفتى كالنَّارِ تُخْبِرنا بفضْلِ العَنْبَرِ

غيره :

كم كافِرٍ باللَّهِ أمْوالُهُ تزدادُ أضْعَافًا على كُفْرِهِ
ومُؤمِنٍ ليس لهُ دِرهَمٌ يزدادُ إيمانًا عَلَى فَقْرِهِ !

غيره :

يا صاحِ إنَّ من الرِّجال بهيمةً في صورةِ الرَّجل السَّميعِ المُبصرِ
فَطنًا بكُلِّ مُصيبةٍ في حالِهِ وإذا أُصيب بدينهِ لم يشْعُرِ !

وقال الآخر :

عَتَبتُ على الدُّنيا لتقديمِ جاهلٍ وتأخير ذي عِلْمٍ فقالت خُذِ العُذْرا
بنو الجهلِ أبْنائي وكلُّ فضيلةٍ فأَبْناؤها أَبناءُ ضرَّتِيَ الأُخْرى

وقال الآخر :

غائظْ صديقكَ تكشِفْ عن ضمائرِهِ وتهْتِكِ السِّرَّ عن محجوبِ أستارِ
فالعودُ يُنْبيك عن مكْنونِ بَاطِنه دُخانُهُ حينَ تُدنيهِ من النَّارِ !

---

125) في ب : «الناس شيء...» وهو تحريف.
126) هذا البيت ساقط من ب. ووردت بعض الأبيات والمقطعات في أ على غير الترتيب الموجود في المخطوطات الأخرى
127) حرف هذا الاسم في ب فكتب سلم الحيار.

وهذا كقول الحكيم : إذا أردت أن تعرف صديقك فأغضبه ! وذلك لأنّ الرضى يصلح معه كلّ أحد، ولا يصلح على الغضب إلاّ الأصفياء الصادقون، وقليل ماهم .

غيــره :

سقى اللّهُ أيّامًا لنا لسنَ رُجّعَا   وسقْيًا لعصْرِ العامريّةِ من عصْرِ
لياليَ أعطيتُ البِطالةَ مِقْودِي   تمرُّ اللّيالي والشُّهورُ وما ندري !

حكى أبو علي البغدادي في **نوادره**، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم قال : كان فتى من أهل البصرة يختلف معنا إلى الأصمعي فافتقدته ، فلقيت أباه فسألته عنه فقال : سألني عن بيتين كان الأصمعي يردّدهما :

سقَى اللّهُ أيّامًا (البيتين)

فقلت له : يا بنيّ، إنّك لست بعاشق، ولولا ذلك لعرفت ما يفعله الذكر بصاحبه ! قال : فبعثته على أن عشق لجاجا[128].

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب مخافة السآمة، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

128) في د :«على أن أعشق لجاجا».

بَابُ الزَّاي المُوحَّدَة

زَبَّبْتَ وأنْتَ حِصْرِمٌ .

هذا مثل مشهور، غير أنَّه مولَّد . وهو من كلام أبي علي الفارسي، قاله لأبي الفتح عثمان بن جنّي لمَّا مرَّ به وهو في حلقته . فلمَّا قال له ذلك قام أبو الفتح فترك حلقته وتبعه حتَّى تمهَّر . ذكر ذلك شمس الدين بن خلّكان، رحمه اللّه تعالى . ويضرب فيمن يتعاطى رتبة قبل أن يصل إليها .

ومنه قول ابن النقيب[1]

إذا صَرصَرَ البازِي فلاَ ديكَ يَصرخُ ولا فاخِتٌ في أيْكةٍ يترنَّمُ[2]

وما الموتُ إلاَّ طيِّبٌ طعْمُه إذا تَدايَك فرُّوجٌ وزبَّبَ حِصْرِمُ

زاحِمْ بعَوْدٍ أو دَعْ !

المُزاحَمةُ معروفة . يقال : زَحَمْتُهُ على كذا، زَحْمَةً، وزاحَمْتُهُ، وازدحَمَ القومُ على هذا الأمر، وتزاحموا عليه، ازدِحامًا وزِحامًا ومُزاحَمَةً . والعَوْدُ ـ بفتح العين المهملة وسكون الواو ـ: المُسِنّ من الابل الذي جاوَزَ البَازِلَ والمُخْلِفَ سِنًّا . قال امرؤو القيس :

على لاحِبٍ لا يُهتَدى بمَنارِهِ إذا سافَهُ العَوْدُ النّباطيُّ جرْجَرا

والجمع عِوَدَة ـ كَزَوْج وزِوجَةَ ـ، والأنثى عَوْدَة، والجمع عُود[3] ؛ وعَوَّدَ البعيرُ تَعْويدًا : بلغ ذلك . والعَودُ أيضا : الطريق القديم . قال الراجز :

عوْدٌ على عودٍ لأقْوامٍ أُوَلْ يموت بالتَّركِ ويحْيا بالعَمَلْ

أي جمل مسنّ على طريق قديم . وفي الصحاح : ربَّما قالوا : سُؤدَدٌ عَوْدٌ أي قديم، وأنشد للطِّرماح :

1) سقطت كلمة «ابن» من د.

2) في ب : تترنم

3) في لسان العرب أن عَوْدة تجمع على عِيَاد.

هل المجدُ إلاّ السُّؤددُ العودُ والنَّدى ورأبُ الثَّأَى والصَّبرُ عند المواطِنِ[4] ؟

والمراد من المثل المعنى الأوّل، وهو على التمثيل والتشبيه . والمعنى أنَّك إذا حاولت أمرا أو زاولت حربا، ينبغي لك أن تستعين عليه بأهل السنّ والمعرفة والتجريب . فإنَّ رأي المشائخ كثيرا ما كان أنفع من مشاهد الشباب، على أنَّ مشهد الشيوخ وأهل البصيرة والصدق أيضا هو المشهد، كما قال أبو الطيّب :

سأطْلبُ حقِّي بالقَنا ومَشَائِخٍ كأنَّهُمُ من طول ما الْتَثَموا مُردُ

ثقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعوا كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وعلى أسلوب هذا المثل ما يقال : قَاتِل بِسعْدٍ أو بجَدٍّ، وإلاَّ فَلاَ !

زعَمُوا مَطِيَّةُ الكُذِبِ .

الزَّعْمُ : الظَّنُّ، يقال : زعَمَ كذا واقعًا، يزعُمُهُ . قال :

زعَمَتْنِي شَيْخًا ولَستُ بشَيْخٍ....[5]

وقال كثيّر :

وقد زعَمَت أنّي تغيَّرتُ بعْدها ومَن ذا الّذي يا عزَّ لا يتغيَّرُ ؟

ولها معان أخرى غير مرادة هنا . والمَطِيَّةُ : النَّاقة التي يُركب مَطَاها أي ظهرها . قال امرؤ القيس :

ويومَ عقَرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتي فيا عجَبًا من رَحْلِها المتحمَّلِ !

ويحكى أنَّ ابن عمر، رضي اللّه عنهما، قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت حاملا أمَّه على ظهره وهو يقول :

إنّي لها مطيَّةٌ لا تُذْعَرُ إذا الرِّكابُ نفَرتْ لا تنفُرُ

ما حملَت وأرْضعَتْني أكْثَرُ اللّهُ ربِّي ذو الجَلالِ أكْبَرُ !

وذكر في الصحاح أنَّ المطيَّة تؤنَّث وتذكَّر، وأنشد على التذكير لربيعة بن مَقْرُوم الضَّبِّي جاهلي[6]

---

4) في ب : «هل المحل...»، وفي د : «هل العود...»

5) تمامه : انما الشيخ من يدب دبيبا.

6) حرف اسم الشاعر في أ فكتب : ربيعة بن مضروم.

ومَطيّةٍ ـ مَلّ الظّلامُ ـ بعثْتُه   يشكو الكلالَ إليَّ دامي الأظْلَلِ

وكأنّ المطيّة، على هذا، هو المركوب، جملاً كان أو ناقة . وجمع المطيّة مَطِيّ ومَطَايا . قال امرؤ القيس :

سَريْتُ بهِم حتّى تكلّ مطِيّهُم   وحتّى الجِيادُ ما يُقَدنَ بأرسَانِ

وفي الحديث على رواية **يُوشِكُ أن يَضْربَ النّاسُ آباطَ المَطِيّ في طَلَبِ العِلْمِ فَلا يَجِدونَ عَالِمًا أعْلَمَ من عَالِمِ المَدينَةِ** .

وقال جريـــر :

ألستُم خيرَ مَن ركبَ المَطايا   وأنْدى العالَمينَ بُطونَ راحِ ؟

ومنه قول أبي نواس :

وإذا المطيُّ بنا بلغْنَ مُحمّدًا   فظهورُهُنّ على الرّجالِ حَرامُ

ومنه قول أبي دلامة (×) :

إنّ المطايا تشْتكيكَ لأنّهَا   قَطعتْ إليكَ سَباسبًا ورمالاَ

ومعنى الكلام أنّ الرجل إذا أراد أن يتحدّث قال : زعموا كذا وكذا، وزعموا أنّ الأمر كذا وأنّ كذا واقع . فلمّا كان هذا اللفظ يقدمه أمام كلامه ويتوصّل به إلى حاجته، جعل مطيّة تشبيها بالمطيّة المركوبة، بجامع التوصّل بهما إلى الغرض . ثمّ إنّهم قالوا : إنّما يقال هكذا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنّما يجري على الألسن، وأكثر ما يكون ذلك كذب .

وفي الحديث : حَسْبُ الرّجُلِ مِن الكَذبِ أن يُحَدّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ . فجعل زَعَمُوا مَطِيّةً للكَذِبِ، أي للتحديث به من أجل هذا . وقد يعبِّر بهِ مَن يتعمّد الكذبَ لسهولته إذ ذاك وتستّره حيث لم يتعيّن المكذوب عليه ولا المنقول عنه حتّى يفتضح الناقل عند سؤاله .

فائدتان . الأولى . قال الجلال السيوطي في كتابه **الهمع** : قولهم زعَمُوا مَطِيّةُ الكَذِبِ لم أقف عليه في شيء من كتب الأمثال . وذكر بعضهم أنّه روى : مَظِنّةَ الكَذِبِ ـ بالظاء المعجمة والنون ـ . وأخرج ابن أبي حاتم في **تفسيره**، عن صفوان بن عمرو

×) صوابه أبو العتاهية، وسيحيل عليه المؤلف نفسه فيما بعد.

الكلابي، قال : بِئْسَ مَطِيَّةُ المُسْلِمِ زعموا إنَّما زعموا مطيَّة الشيطان . وأخرج ابن سعد في **الطبقات**، من طريق الأعمش عن شريح القاضي قال : زَعَموا كُنْيَةُ الكَذِبِ . انتهى .

وذكر بعضهم : **زَعَموا مَطِيَّةُ الكذِبِ** حديثًا عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم .

وقال بعضهم : لا يوجدُ زَعَمَ في فصيح الكلام إلاَّ عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، أو تبقى عهدته على الزاعم . ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف . وقول سيبويه : زعم الخليل كذا، إنَّما يجيء فيما تفرَّد الخليل به . انتهى .

قلت : ولم يكن يأتي به سيبويه على أنَّ ذلك كذب، بل من أجل ذلك التفرّد وبقاء العهدة فقط . وقد يأتي زَعَمَ مع القطع بصدق الزاعم، كما في السير من قول سعد، رضي اللَّه عنه، للقرشي بمكَّة إنَّ مُحمَّدًا يَزْعُمُ أنَّهُ قاتِلُكَ، ولم يكن المخبر يشكّ في صدق محمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، بل أيقن القرشي مع كفره بذلك فقال : إنَّا لا نُكَذِّبُ مُحَمَّدًا في خبره . والقصَّة مشهورة .

الثانية : قول جرير السابق . قالوا : هو أمدح بيت قالته العرب . وكان امتدح به عبد الملك بن مروان من قصيدة، وكان أوَّلها أن قال :

أتصْحو أم فُؤادُك غيرُ صاحِ [7]

فقال عبد الملك : بل فؤادك ! ثمَّ تمادى في الانشاد إلى أن قال :

تعَزَّتْ أُمُّ حزْرَةَ ثمَّ قالتْ : رأيْتُ الواردينَ ذَوِي امْتِياحِ [8]
ثِقِي باللَّهِ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ ومِن عندِ الخليفَةِ بالنَّجاحِ
سأشكُرُ إن رددتَ إليَّ ريشي وأنبَتَّ القوادِمَ في الجناحِ [9]
ألستُم خيرَ مَن ركبَ المَطايا وأنْدى العالمينَ بُطونَ راحِ ؟

فطرب عبد الملك وأخذته الأريحيَّة وكان متّكئا فجلس وقال : من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ! ثمَّ قال : يا جرير، أترى أم حزْرَة ترويها مائة ناقة سود الحدق ؟

---

7) تمامه : عشيَّةَ همّ صحبُك بالرَّواحِ.

8) ما نحفظه ويوجد في كتب الادب : «امتناح» بالنون، بمعنى العطاء. وستأتي كلمة امتياح قافية لبيت ثالث بعد هذا أهمله اليوسي، فيلزم عليه عيب الايطاء.

9) في المخطوطات «وأثبت» وهو خلاف ما نحفظ ونقرأ في كتب الادب. وتركنا «الجناح» كما هو، ولو أن المشهور «جناحي» المناسب لريشي السابق.

فقال : يا أمير المؤمنين، إنّ الابل إِباق ونحن مشائخ ليس بأحدنا فضل عن راحلته . فلو أمرت بالرعاة ؟ فأمر له بثمانية أعبد وكانت بين يدي عبد الملك صحاف فضّة يقرعها بقضيب بيده . فقال جرير : والمَحْلَب[9م]، يا أمير المؤمنين ؟ وأشار إلى صحفة منها . فنبذها إليه بالقضيب . وفي ذلك قال جرير :

أعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحدُوها ثمانيَةٌ ما في عطائِهِمُ منٌّ ولا سَرَفُ !

قلت : وما ذكر في بيت جرير هو بحسب ما فيه من الشمول بذكر العالمين، وإلاّ فلزهير أبيات هي الغرر في جبهات المديح، كقوله :

بلِ اذكُرَنْ خيرَ قيسٍ كُلِّها حسبًا وخيرها نائلاً وخيرهَا خُلُقا

فإنّه يجمع أوصافا من المدح مع السبك العجيب والاتساق البديع . إلاّ أنّه خصّصه بقيس وهو لا يوجب كبير قصور، لأنّ العناية بتفضيل الممدوح وتَعْلِيَتِه إنّما هي بحسب أقرانه ومزاحميه في الشرف، مع أنّ هذا أقرب إلى الصدق، وليس الكذب البشيع بممدوح في الشعر . إلاّ أن يريد جرير رهط الممدوح جميعا حتّى يدخل النبي صلّى اللّه عليه وسلّم فيكون كلامه صدقا . وقوله :

إن تلْقَ يومًا على عِلاّتِه هرمًا تلْقَ السَّماحةَ منهُ والنَّدى خُلُقا

فإنّه ترك إثبات السماحة والندى للممدوح إلى إثبات كونهما من سجاياه وخلائقه، إيهامًا لكون ثبوتهما ليس متوقف العقول، لاتّضاحه كالنّهار، واشتهاره غاية الاشتهار . ووقع لزهير غير هذا ولغيره أيضا ممّا يطول تتبّعه .

قالوا : وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جريرا :

قومٌ إذا استنْبَحَ الضّيفانُ كلبَهُمْ قالوا لأُمِّهِمُ بولي على النّارِ !

وبعــده :

فتُمسِكُ البَولَ بُخْلاً أن تَجودَ بِه فَما تَبُولُ لَهُمْ إلاّ بِمقْدَارِ !

وتقدّم هذا :

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً ويأْتيكَ بالأخْبارِ ما لم تُزوِّدِ

9م) في ب و د : «والصحاف» بدل «والمحلب» وهو تصحيف.

وأحمق بيت قول أبي محجن :

إذا مِتُّ فادفِنـِّي إلى جنْب كرمةٍ تـُروِّي عظامي عند موتي عـُروقـُها !
ولا تدفنـَنـِّي في الفـَلاةِ فإنـَّني أخافُ إذا ما مِتُّ ألاَّ أذوقـُهَا

وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :

إنَّ العيونَ الـَّتي في طرفِها حَورٌ قتلننا ثمَّ لم يُحْيينَ قتـْلانـَا

وبعـــده :

يصْرعـْن ذا اللـُّبِّ حتـَّى لا حراكَ به وهُنَّ أضْعفُ خلقِ اللـَّهِ أركانا[10]

قلت : وأصدق بيت قالته العرب قبل النبي صلـَّى اللـَّه عليه وسلـَّم قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللـَّهَ باطِلُ[11]

وبعده قول الآخـر :

وما حَمَلـَت من ناقـَةٍ فوق رحْلِها أبرَّ وأوفى ذمَّةً من مُحمَّدِ !

عجيبة . أبو العتاهية في شعره السَّابق امتدح عمر بن العلاء، فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه حتـَّى لم يقدر على القيام لـِما عليه من الثياب . ثمَّ إنَّ جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر فقال بعضهم : يا عجبا للأمير ! يعطي أبا العتاهية سبعين ألفا . فبلغ ذلك عمر فقال : [عليَّ بهم ! فأُدخلوا عليه . فقال][12] : ما أحسد بعضكم لبعض، يا معشر الشعراء ! إنَّ أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشبـِّب بصديقته في قصيدته بخمسين بيتا، فما يبلغنا حتـَّى يذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بيتين ثمَّ قال :

إنـِّي أمِنـْتُ من الزَّمانِ وريـْبـِهِ لمـَّا علقـْتُ من الأميرِ حِبالاَ
لو يستطيعُ النـَّاسُ من إجْلالـِهِ لحذَوا له حُرَّ الوجوهِ نـِعالاَ
ما كان هذا الجودُ حتـَّى كُنت يا عـُمرًا ولو يومًا تزولُ لـَزالاَ
إنَّ المَطايا تشتكِيكَ لأنـَّها قـَطعـَت إليكَ سَباسِبـًا ورِمالاَ

10) كذا في المخطوطات . إلاّ ب كتب فيها «إنسانا» حسب المشهور، ثم كتب في الهامش أن الصحيح بحسب النص هو «أركانا».
11) تمامه : وكل نعيم لا محالة زائل.
12) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

فإذا أتينَ بنا أتينَ مُخِفَّةً   وإذا رجعْنَ بنا رجعْنَ ثِقالا

ويُذكر أنَّه لمَّا امتدحه قال له : أقم حتَّى أنظر في أمرك ! فأقام أيَّاما فلم ير شيئا . وكان عمر ينتظر مالا من وجه فأبطأ عليه . فكتب إليه أبو العتاهية :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابن القرمِ مِرداسِ   إنِّي امتدحْتُكَ في صحْبي وجُلاَّسي

أُثْني عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُني   فيما أقولُ فأسْتحْيِي من النَّاسِ

حتَّى إذا قيلَ ما أعْطاكَ من صَفَدٍ   طَأطَأْتُ من سوءِ حالٍ عندها راسي

فقال عمر لحاجبه : اكفنيه أيَّاما ! فقال له الحاجب كلاما دفعه به وقال : تنتظر ! فكتب إليه:

أصابتْ علينا جودكَ العينُ يا عُمَرْ   فنحنُ لها نبْغي التَّمائمَ والنُّشَرْ

أصابتْكَ عينٌ في سَخائِكَ صَلْبَةٌ   ويا رُبَّ عينٍ صَلبةٍ تفْلِقُ الحَجَرْ

سنرقِيكَ بالأشْعارِ حتَّى تَملَّهَا   فإن لم تُفِق منها رقَيناكَ بالسُّوَرْ[1]

فضحك عمر وقال لصاحب بيت ماله : كم عندك ؟ قال : سبعون ألف درهم . فقال : ادفعها إليه ! ويقال إنَّه قال له : اعذرني عنده ولا تُدخله عليَّ، فإني أستحي منه !

زَنْدَانِ في وِعَاءٍ .

الزَّنْدُ - بفتح الأوَّل - العود الذي يُقدح به . والوعَاءُ معروف . يُضرب هذا في تساوي الرجلين، فيقال : هُما زَنْدَانِ في وِعَاءٍ، وكَزَنْدَيْنِ في وِعَاءٍ .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : ولا يكاد يوضع في المدح . إنَّما هو في موضع الخساسة والدناءة .

فقال البكري : لا أعلم لِمَ جُعِلَ في موضع الدناءة إلاَّ أن يتناولوا فيه قولهم : اللَّئِيمُ مُزَنَّدٌ، والتَّزنيد : التَّضييق .

قلت : ولا يخفى بُعدُه . والمزنَّد - بصيغة اسم المفعول - وهو البخيل الضيِّق . قال الحماسي :

ومِن الرِّجالِ أسِنَّةٌ مَذْروبَةٌ   ومُزنَّدونَ شُهودُهُمْ كالغَائِبِ

وقد أتى الحريري في **مقامته** البغداديَّة بهذا المثل في مطلق الاستواء أو في الاستواء في

1) في المخطوطتين : بالنثر، وهو تصحيف، والتصحيح من الديوان.

المدح بالحذق والذكاء . فقال ابن ظفر : المشهور استعماله ـ يعني هذا المثل ـ في الحقارة والخساسة .

أزْكَنُ مِن إيَاسٍ .

الزَّكَنُ : العلْمُ، تقول : زَكِنْتُهُ ـ بالكسر ـ أزْكَنُهُ، زَكَنًا إذا علمتَه . قال ابن أمّ صاحب :

ولن يُراجِعَ قلبي وُدَّهُمْ أبَدًا   زَكِنْتُ من أمرهِم مثل الّذي زَكِنوا

ويروى : زَكِنْتُ منهُمْ على مِثْلِ الّذي عَلِموا .

والزَّكَن أيضا : التفرّس، وهو علم خاصّ . وإياس هو ابن معاوية، قاضي البصرة . وضُرب به المثل في الفراسة والذكاء، وله في ذلك أخبار كثيرة تقدّمت جملة منها في ذكائه، من حرف الذّال . وكان يُحكى أنّه قال : تعلّمت الزَّكَنَ من أمّي، وكانت خراسانيّة، وأهل بيتها يَزْكَنُون، أي يتفرّسون . قيل : وقد أُلّف في أخباره كتاب يُسمّى «زَكَنُ إيَاس».

أزْنَى مِنْ قِرْدٍ .

الزِّنَى ـ بالزاي المكسورة والنون ـ معروف، يُمدّ ويُقصر . قيل : والقصر لغة الحجاز، لقوله تعالى : **ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى** ! والمدّ لغة نجد، كقول الفرزدق :

أبا حاضِرٍ مَن يَزْنِ يُعْرَفْ زِناؤُهُ   ومن يشرَب الخُرطومَ يُصبحْ مُسكَّرا[13]

وزَنَى الرجل ـ بالفتح ـ يَزْنِي، زِنًى، وزَانَى مُزَانَاةً وزِنَاءً . وفي عَدّ الكبائر : وأن تزاني حليلة جارك . والقِرْدُ ـ بكسر القاف ـ معروف، وتقدم في الحاء، وهو يوصف بالزنى . وقد وقع في السيرة أنّه زنى قرد في الجاهلية فرجمته القردة . وزعموا أنّ القرد أزنى الحيوان .

وقيل إنّ المعنيّ في هذا المثل ليس القرد المعروف، بل رجلا من هُذَيْل يقال له قرد بن معاوية، وبه ضُرب المثل، واللّه تعالى أعلم !

---

13) في أ: «ألا يا حاضر....» وهو لا يستقيم وزنًا.

أزْهَـى مِـنْ طاوُوسٍ .

الزَّهْـوُ : الاعجاب والتَّكبـّر . يقال : زُهِـيَ - بالبناء للمفعول - يـُزْهَـى، فهو مـَزْهُـوٌّ . ويقال أيضا : زَهَـى - بالفتح - يـَزْهُـو، زَهْـوًا . وهي لغة حكاها ابن دُرَيْـد . والطَّاووسُ: الطَّائر المعروف، وتقدَّم في الحاء . وإنَّما وُصف بالزَّهْـو لِـمـَا مَـرَّ من أنَّ طبعه حبّ الزهو لنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه : ثمَّ إنـَّهم بنوا اسم التفضيل هنا من فعل المفعول وعلى الشذوذ، كما قالوا : أشْغَـلُ مِـن ذاتِ النـِّحْـيَـيْـن، وأجَـنُّ من دُغَـة، وأولَـعُ من قِـرد . وتعجـَّبوا منه أيضا فقالوا : ما أزْهَـاهُ ! وما أشْغَـلَـهُ ! وما أجَـنـَّهُ ! وهو مسموع في هذه الألفاظ ونحوها . ولا يقال في المضروب والمجروح ونحوهما : أضـْرَبُ من كذا، ولا أجْـرُحُ، ولا : ما أضـْربـَهُ ! وأجْـرَحَـهُ !

ومن الشَّاذّ قول سيبويه، رحمه اللـّه تعالى : واعلم أنَّ العرب يقدّمون ما هم به أهمّ وهم ببيانه أعنى، وهو من عَـنـَاهُـم وعُـنُـوا به، فهم مَـعْـنـِيـُّونَ به .

قال الامام السُّهَـيْـلي، رحمه اللـّه تعالى : وسبب جوازه - يعني في الأفعال المذكورة دون غيرها - أنَّ المفعول فيها فاعل في المعنى : فالمَـزْهُـوّ متكبـّر في المعنى . وكذلك المَـنْـخُـوُّ، والمشغول مشتغل وفاعل لشغله، والمَـعْـنـِيُّ بالأمر كذلك، والمجنون كالأحمق، فيقال : ما أجَـنـَّهُ ! كما يـُقال مَـا أحْـمَـقَـهُ ! وليس كذلك مضروب ولا مركوب ولا مشتوم ولا ممدوح، فلا يقال في شيء منه : ما أفْـعَـلَـهُ، ولا : هو أفْـعَـلُ من كذا.

قال : فإن قلت : فعلى هذا القياس كان ينبغي أيضا أن يؤمر فيه بغير اللاَّم، كمأمور الفاعل إذ قلتم إنـَّه فاعل في المَـعْـنَـى، يعني وليس الأمر كذلك، لأنـَّك إنـَّما تقول في أمر المخاطَـب، من عُـنـِي وزُهِـي وشُغِـل : لِـتـُعْـنَ ولْـتـُزْهَ ولْـتـُشْـغَـلْ ! كما يؤمر الغائب في سائر الأفعال .

قال : فالجواب أنَّ الأمر إنـَّما هو بلفظ المستقبل، وهو : تـَضْـرِبُ وتخـْرُجُ . فإذا أمرت حذفت حرف المضارعة، وبقيت حروف الفعل على بنيتها . وليس كذلك زُهيت، فأنت تـُزهى، ولا شُغلت، فأنت تـُشغل . لأنـَّك، لو حذفت منه حرف المضارعة لبقي لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ولا للمخاطب، لأنَّ بنية الأمر للمخاطَـب : افْـعَـلْ، وبنيته للغائب :

فَلْيَفْعَلْ . والبنية التي قدَّرناها لا تصلح لواحد منهما، لأنَّك كنت تقول : ازْهَ، من زهيت، وكنت تقول من شغلت : اشْغَلْ، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مَشْغُول إلى باب شَغَلْتَ غَيْرك، فلم يستقم فيه الأمر باللاَّم . انتهى . وهو حسن، وهذا في زهي إنَّما هو على أنَّ التفضيل جاء فيه على اللّغة المشهورة . وأمَّا على أنَّه على اللّغة الثانية التي ذكرها ابن دريد فلا شذوذ فيه.

قال الجوهري، بعد ذكره هذه اللغة : ومنه قولهم مَا أزْهاهُ، وليس هذا من زُهِي، لأنَّ اسم المفعول لا يُتعجَّب منه . انتهى .

أزْهَى مِنْ دِيكٍ .

تقدَّم الزَّهْوُ . والدِّيكُ ـ بكسر الدال المهملة ـ معروف، جمعه ديَكَة ودُيُوك . وهو موصوف بالزهو والتبختر والتمايل في مشيته، وذلك معروف فيه .

أزْهَى مِنْ غُرَابٍ .

الزَّهْوُ مَرَّ، وكذا الغراب، وهو أيضا موصوف بالزهو . قال الشاعر :

لَنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلاَفْ ... كثيرُ الخَطاءِ قليلُ الصَّوابْ
ألَجُّ لَجاجًا مِن الخُنفُساءْ ... وأزْهَى إذا ما مشى من غُرابْ .

زَوْجٌ من عُود، خَيْرٌ من قُعُود .

الزَّوجُ ضدّ الفردِ . والزوج أيضا بَعْلُ المرأة، وهي أيضا زَوجُهُ . فالزوج للذَّكر والأنثى هذا هو الفصيح . قال تعالى : **اُسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ** ! وقد يقال زَوْجَة . قال الفرزدق :

وإنَّ الذي يسعى ليُفْسد زوجتي ... كساعٍ إلى أُسْد الشَّرا يستبيلُها !

وتقدَّم هذا . والعُود ـ بضمّ العين المهملة ـ: معروف، جمعه عِيدان وأعْواد، والقُعُود: الجلُوس، وقد يُفرّق بينهما فيقال : القعود ضدّ القيام . فإذا كان أحد واقفا قيل له : اقعد ! ولا يقال : اجلس ! وإذا كان مضطجعا ثمَّ استوى جالسا قيل : إنَّه قد جلس .

ومعنى المثل أنَّ التزوّج، ولو بأدنى زوج، خير من البقاء بلا زوج . قالته بنت همام بن مُرَّة الوائلي البكري . وكان له ـ فيما زعموا ـ أربع بنات . فكان يُخطبن إليه فيستأمرهنَّ فيمنعهنَّ الحيا أن يأذن، فلا يزوّجهنَّ . وكانت أمّهنَّ تأمره بتزويجهنَّ فلا يفعل . فخرج ذات ليلة إلى متحدَّث لهنَّ، فجعل يستمع تحديثهنَّ وهنَّ لا يعلمن . فقلن : تعالين نتمنَّ ولْنَصْدُقْ ! فقالت الكبرى :

ألا لَيتَ زوجِي من أُناسٍ ذوي غِنًى حديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والعطْرِ
طَبيبٌ بأدواءِ النِّساءِ كأنَّهُ خَليفَةُ جانٍ لا يبيتُ على وِتْرِ !

فقلن لها : إنَّك تحبّين رجلا ليس من قومك . وقالت الثَّانية :

ألا هَل أراها مرَّةً وضَجيعُها أشمُّ كماضِي الشَّفرتينِ مُهنَّدِ
لصوقٌ بأكبادِ النِّساءِ وأصْلُهُ إذا ما انتَمى من أهلِ سرِّي ومحتِدي ؟

وقالت الثَّالثة :

ألا ليتَهُ على الجِفان مدلَّبُ[14] له جفْنَةٌ تشقى بها النِّيبُ والجُزْرُ
به مُحكماتُ الشَّيبِ من غير كبْرةٍ تشينُ فلا العاني ولا الضَّرعُ الغمرُ !

فقلن لها : تحبّين رجلا شريفا . فقلن للصغرى : تمنَّيْ أنت ! فقالت : ما أريد شيئا . فقلن: واللَّه لا تبرحين حتَّى نعلم ما في نفسك ! فقالت : زَوْجٌ مِن عُودٍ، خَيْرٌ من قُعُودٍ. فلمَّا سمع أبوهنَّ ذلك زوَّجهنَّ .

وهكذا حُكي عن بعضهم هذه القصَّة . والذي ذكر صاحب **القاموس** في اللغة أنَّ هَمَّام بن مُرَّة له ثلاث بنات، وآلى على نفسه ألاَّ يزوّجهنَّ . فلمَّا عنسن قالت إحداهنَّ بيتا وأسمعته إيَّاه، متجاهلة . فقالت :

أهمَّامَ بنَ مُرَّةَ إنَّ هَمِّي لفي اللاَّئي يكونُ مع الرِّجالِ

فأعطاها سيفا وقال : هذا يكون مع الرجال ! فقالت أخرى : ما صنعت شيئا ولكنّي أقول :

أهمَّامَ بنَ مُرَّةَ إنَّ همِّي لفي قَنْفاءَ مُشْرِفَةِ القَذَالِ

والقنفاء تُطلق عند العرب على الغليظة من آذان المعزى، كأنَّها نعل مخصوفة . وتُطلق

---

14) هكذا في أ وكتب الناسخ فوقها : «كذا». و في بـو د: «الحقان مدله» وفي أمثال الميداني (1 : 321) : ألاليته يُعطِي الجمال بديهة.
وتداخل بعض هذه الأبيات في بعض وتغيرت بعض ألفاظها عند الميداني، فلتراجع.

على الكمرة العظيمة، وهو مراد القائلة . فقال أبوها : وما قنفاء ؟ تريدين معزى . فقالت الصغرى : ما صنعتما شيئا، ولكني أقول :

أهمَّامَ بن مُرَّةَ إنَّ همِّي   لفي عَرْدٍ أَسُدُّ به مَبَالِي

فقال : أخزاكنَّ اللّه ! وزوَّجهنَّ . والعرْدُ - بفتح العين وسكون الرَّاء -: الذكر.

ويُحكى أيضا، في نحو هذه القصَّة، أنَّ رجلا من العرب كان له ثلاث بنات قد عضلهنَّ ومنعهنَّ الاكفاء . فقالت إحداهنَّ : إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظّ الرجال منَّا، فينبغي لنا أن نعرض له بما في نفوسنا، وكان يدخل إلى كل واحدة منهنَّ يوما . فلمَّا دخل على الكبرى تحادثا ساعة . فلمَّا أراد الانصراف أنشدته :

أيُزجَرُ لاهينا ويُلْحَى على الصِّبا   وما نحنُ والفتْيانُ إلاَّ شقائقُ ؟

يؤبْنَ حَيِيَّاتٍ مِرَارًا كثيرةً   وتنْباقُ أحْيانًا بهِنَّ البوائِقُ

فلمَّا سمع الشعر ساءه . ثمَّ دخل على الوسطى فتحادثا . فلمَّا أراد الانصراف أنشدته:

ألا أيُّها الفتيانُ إنَّ فتاتَكُمْ   دهاها سماعُ العاشقينَ فحَنَّتِ

فدونكُمُ ابْغُوها فتًى غير زُمَّلٍ   وإلاَّ صبتْ تلكَ الفتاةُ وجُنَّتِ !

فلمَّا سمع الشعر ساءه . ثمَّ دخل على الصغرى في يومها . فلمَّا أراد الانصراف أنشدته :

أما كان في ثِنْتينِ ما يزَعُ الفتى   ويعْقلُ هذا الشَّيخُ إن كان يعْقِلُ

فما هوَ إلاَّ الحِلُّ أو طلبُ الصِّبا   ولابُدَّ منه فائْتِمِرْ كيف تفعَلُ !

زُرْ غِبًّا، تَزْدَدْ حُبًّا !

الزيارة معروفة، والغِبُّ في الماء أن ترد الابل يوما وتدع يوما . فهي إبل غَابَّة وغواب. وغِبُّ كلّ شيء : عاقبته .

وأمَّا في الزيارة فقال الجوهري : قال الحسن : الغِبّ في الزيارة كلَّ أسبوع . يقال : زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا . انتهى . وهذا الكلام قد يُروى حديثًا مرفوعًا، وهو أمر بأوسط الأمور، وأفضلها في الزيارة الموجب للمحبَّة ودوام الوصلة . ووراء ذلك طرفان كلاهما مذموم :

أحدهما الاكثار من الزيارة والافراط فيها، وهو يوجب السآمة والملل والضجر . والثاني الاقلال منها جدًا والافراط في الغيبة والقطيعة . وهو يوجب الوحشة والتقاطع والتباغض . ونظم بعض الشعراء الكلام المذكور فقال :

إذا شئتَ أن تُقْلى فزُر مُتتابعًا وإن شئتَ أن تزدادَ حُبًّا فزُرغِبًّا !

وقال الثعالبي :

عليك بإقلالِ الزِّيارةِ إنَّها تكونُ إذا دامت إلى الهجرِ مسْلكا
فإنِّي رأيتُ القطْرَ يُسأمُ دائمًا ويُطلبُ بالأيْدي إذا هو أمْسكا !

وقال أبو العتاهية :

أقْلِل زيارتَكَ الصَّديقَ ولا تُطِلْ إتْيانَهُ فَيَلَجُّ في هِجْرَانِهِ !
إنَّ الصَّديق يُلجُّ في غشْيانِهِ لِصديقِهِ فيُملُّ في غِشْيانِهِ
حتَّى تراهُ بعدَ طول سُرورِهِ وكأنَّهُ مُتبرِّمٌ بمكانه[15]
وإذا تولَّى عن صيانةِ نفسِهِ رجلٌ تنقَّص واستخفَّ بشانِهِ[16]

وقالوا : قلَّة الزيارة أمان من الملالة . وقالوا، في الطرف الآخر، ترك الزيارة سبب القطيعة . ويُنسب لعلي كرَّم اللَّه وجهه :

الصَّبر من كَرمِ الطَّبيعهْ والمنُّ مفسدَةُ الصَّنيعهْ
تركُ التَّعاهُد للصَّديقِ يكونُ داعيَةَ القطيعَهْ

زيادَةُ الأمَلِ، تَقْتَضي نُقْصانَ العَمَل .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى .

زِدْهُمْ عَنْزًا[17]

الزَّيْدُ والزِّيادَةُ معروف . يقال : زِتْدُهُ الشيء أزيدُه زيادَةً وزَيْدًا، وازْدَدْتُ كذا

15) في أ : متورم بمكانه .
16) هنا بهامش أطرة نصها : قال الحريري رحمه الله :

لا تزر من تحبّ في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في السهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه

17) ورد هذا المثل عند الميداني بصيغة : «زدهم أعنُزًا».

ازْدِيَاداً . والعَـنْـزُ ـ بفتح العين وسكون النون ـ الأنثى من المعز ومن الظباء والأوعال.
والعنز أيضا اسم فرس، وهي التي في قول الشاعر :

دلَـفْـتُ لهُ بصَـدْرِ العنـْزِ لمَّا تحامـتْـهُ الفـوارِسُ والرجـالُ

والعنز أيضا اسم قبيلة من هوازن، وهي التي في قول الآخر :

وقاتلتِ العنـْزُ نصْفَ النـَّهارِ ثـُمَّ تولـَّتْ مَـعَ الصـَّادِرِ

والعنز أيضا الأكمة السوداء، وهي التي في قول رُؤْبَـةَ :

وإرمٍ أخْرسَ فَـوقَ عنـْزِ

وأراد بالإِرَم العَـلَـم المبنيَّ من حجارة، وبكونه أخرس أنـَّه بناء أصمّ . وقوله : فَـوقَ عَـنْـزٍ، أي أكمة .

وعنز أيضا امرأة من طَـسْم سُبيت فحملو ها في هودج وألطفوها بالقول والفعل، فقالت : هذا شَرُّ يَـومَـيَّ ! أي : حين صرت أكرم للسباء . وقال الشاعر :

شرُّ يومَـيهـا وأغْــواهُ لَـهَــا رَكِـبَـت عنـزُ بحِـدجٍ جَـملاَ

وسيأتي . والمراد هنا العنز من المعز، وقائله هبنقة القيسي الأحمق ذو الودعات . وكان أخوه اشترى له بقرة بأربع أعْـنُـز، فركبها وركضها . فلمَّا أعجبه عَـدْوُها التفت إلى أخيه فقال : زِدهُـمْ عَـنْـزاً ! فصار مثلا يُـضرب في الاعطاء بعد إمضاء البيع .

ويحكى أنـَّه سار بها، فرأى أرنبا تحت شجرة، ففزع منها وركض البقرة وقال :

اللـَّه نجـَّاني ونجـَّىْ البقرهْ من جاحِـظِ العينينِ تحت الشـَّجرهْ؟

وأخباره في الحمق كثيرة، تقدَّم بعضها في الحاء .

زُيـِّنَ في عينِ والِـدٍ ولَـدُهُ .

يُـضرب في عجب الرجل برهطه وعترته ونحو ذلك . وهو في قول الشاعر :

نعمَ ضجيعُ الفتى إذا بَـرَدَ اللـَّيلُ سُحيـْراً قُرقـفَ الصـَّرِدُ

زيـَّنها اللـَّهُ في الفـُؤادِ كما زُيـِّنَ في عينِ والِـدٍ ولَـدُ !

* ومثله في أمثلة العامـَّة قولهم :

---

18) ورد هذا المثل عند الميداني (1 : 319) بلفظ : «زين في عين والد ولد» بحذف الضمير.

كُلُّ خُنْفُسٍ عِنْدَ أُمِّهِ غَزالٌ .

ومن قول العرب :

كُلُّ فَتاةٍ بأبيهَا مُعْجَبَةٌ .

وسيأتي .

* * *

ولنذكر بعض ما تيسَّر من الشعر في هذا الباب . قال ابن الرومي :

خيرُ ما استعْصمَت به الكفُّ عضْبٌ ذكَرٌ حَدُّهُ أنيثُ المَهَزِّ
ما تأمَّلتَهُ بعَينَيْكَ إلاَّ أُرْعِدَتْ صَفْحتاهُ من غَيرِ هزِّ
مثلُه أفزَعَ الشُّجاعَ إلى الدِّرْعِ فغالى بها على كُلِّ بَزِّ
ما يُبالي أَصَمَّمَتْ شَفْرَتَاهُ في محَزٍّ أمْ حارتَا عَن مَحَزِّ

وقال أبو الطيِّب يمدح علي بن صالح الروذباري :

ليس كُلُّ السَّراةِ بالرُّوذ باريّ ولا كُلُّ من يَطيرُ ببَازِ !

وقال الآخر :

إذا ما اعتزَّ ذو عِلْمٍ بعِلْمٍ فعِلمُ الفِقْهِ أشْرف في اعتزازِ
فكم طيبٍ يفوحُ ولا كَمِسْكٍ وكَم طَيْرٍ يطيرُ ولا كَبَازِ !

وقال بعض السادة :

رجالُ اللّهِ قد سعدوا وفازوا ونالوا رحْمةَ المولى وحازوا
رجالٌ طلَّقوا الدُّنيا بتاتًا ولو جازَ الرُّجوعُ لما استجازوا
بدا علَمُ النَّجاةِ فميَّزوهُ يُحرِّكُهُم بِدارٌ وانْحِفَازُ
فَبعْضٌ تُشرقُ الأمْصارُ منهُ وبعْضٌ تستنيرُ به النِّفازُ
تميَّزَ كلُّ ذي دُنْيا بِدنْيا وهُم لهُمُ بدينهِمُ امْتيازُ
وما عزُّوا بمَخْلُوقٍ ولكِنْ لهُمْ بالخالِقِ الأحَدِ اعتِزازُ
أردتَ لحاقَهُمْ فعجَزْتَ عنهُمْ وحِدتَ عن الاجازةِ إذْ أجازُوا
أتطمعُ في اللَّحاقِ ولا نُهوضٌ وتفْرحُ بالرَّحيلِ ولا حِفَازُ ؟

وأنت أخُوهُمُ نسَبًا ولكنْ طِرازٌ فوقَهُ ذاكَ الطـِّرازُ
دعِ الدُّنْيا فَلَسْتَ لهُمْ بِنِدٍّ وهل تخْفى الحقيقةُ والمجازُ ؟

وقال آخـر :

لِي صديقٌ هو عنْدي عوزٌ من سِدادٍ لا سِدادٌ من عَوزْ
وجْهُه يُذكِرني دارَ البَلاَ كُلَّما أقْبَلَ نَحْوي وضَمَزْ
وإذا جالسَني جَـــرَّعَني غُصَصَ الموتِ بكَرْبٍ وعَلَزْ
يَصفُ الوُدَّ إذا شَاهَدنِي فَإذا غَابَ وشَى بي وهَمَزْ
كَحمارِ السُّوءِ يُبْدي مَرحًا وإذا سِيقَ الى الحَمْلِ غَمَزْ
لَيتَني أعْطيتُ منهُ بَدلاً بِنصيبي شَرَّ أولادِ المَعَزْ !
قَد رَضينا بَيْضَةً فاسِدةً عِوضًا منهُ إذا البيْعُ نَجزْ

العَوزُ - بفتحتين - : الحاجة . تقول : عَوِزَ الشيء - بالكسر - أي لم يوجد . وسِداد الشيء : ما يُسدّ به . تقول : هو سِدادٌ من عَوَزٍ، ووجدت سِدادا من عيش، أي ما تسدّ به الخلَّة، وهو بكسر السين، والفتح ضعيف أو لحن . والسَّدادُ - بالفتح - : الصَّواب . والعَلَزُ - بفتحتين - : القلق والضيق . تقول : عَلِزَ - بالكسر - عَلَزًا في مرضه.

وقال آخر :

أرضنا التَّلتْ آوتْ ذوي الفقرِ والذُّلِّ فآضُــوا ذوي غِنَىً واعتـــزازِ

قوله : التَّلتْ - بسكون التاء - لغة في التي الموصول.

وقال ابن الرومي :

وحديثُهَا السِّحْرُ الحَلالُ لو أنَّهُ لم يجْنِ قتْلَ المُسلمِ المتحرِّزِ
إن طال لم يُمْلَلْ وإن هيَ أوجَزَتْ ودَّ المُحدَّث أنَّها لم توجِزِ
شَرَكُ العُقولِ ونُزهَةٌ ما مِثلُها للمُطمئِــنِّ وعُقْلَةُ المُستوْفِزِ

ونحوه، في ذكر الحديث، قول الآخر :

وحديثُها كالقَطْرِ يسْمَعُهُ راعِي سنينَ تتابَعَتْ جَدْبا
فأصاخَ يرجو أن يكونَ حيًا ويقولُ من فَرحٍ هَيا ربًّا !

وقول الآخـر :

فَبِتْنا على رغْمِ الحسودِ وبيننا حديثٌ كمثْلِ المسكِ شيبت به الخمرُ
حديثٌ لو أنَّ الميتَ نودِي ببعضِهِ لأصْبحَ حيًّا بعدما ضمَّه القبرُ !

وقول الآخـــر :

مُنعَّمةٌ يحارُ الطَّرفُ فيها كأنَّ حديثَها سُكْرُ الشَّرابِ
من المُتصدِّياتِ لغيرِ سُوءٍ تسيلُ إذا مَشَتْ سَيْلَ الحَبَابِ

وقول الآخـــر :

وكُنتُ إذا ما زُرتُ سُعْدَى بأرضِها أرى الأَرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفِراتِ البيضِ ودَّ جليسُها إذا ما انقَضَتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

وتقدَّمت قصَّة هذا الشعر. وقول بشَّار :

وكـأنَّ رفْضَ حَديثِهـا قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسين زهْرا
وكـــأنَّ تحتَ لسانِهـــا هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرًا
وتخالُ ما جَمعتْ عليهِ ثيابَها ذهبًـا وعِطْـرا[19]
وكأنَّهـــا بردُ الشَّـــرابِ صفا ووافَقَ منْكَ فِطْرا

وفي استكراه الحديث قول أبي علي البصير :

غناؤُكِ عندي يُميتُ الطَّربْ وضربُكِ بالعودِ يُحيي الكُربْ
ولم أر قبْلكِ من قَيْنَةٍ تُغنِّي فأحْسبُها تنتحِبْ[20]
ولا شاهَدَ النَّاسُ إنْسِيَّةً سواكِ لها بَدنٌ من خَشَبْ
ووجْهٌ رقيبٌ على نفسِهِ يُنفِّرُ عنهُ عُيونَ الرِّيَبْ
ولو مازَجَ النَّارَ في حرِّها حديثُكِ أُخْمِدَ منه اللَّهَبْ
فكيفَ تصدِّينَ عن عاشِقٍ يودُّكِ لو كان كلبًا كَلَبْ

وقال الآخـــر :

أويتُ في الدِّهْليزِ مُذْ أربعٍ ولـم أكُـن آوي الدَّهاليـزَا
خُبْزي من السُّوقِ وشِعري لكُم تلكَ لعَمري قسْمةٌ ضيزًا !

وقلت أنا :

إذا كُنتَ مُرتادًا أخًا ذا صداقةٍ فلا تصحَبَنْ إلاَّ الَّذي أنت رائِزُ

19) في ب : ذهبًا وعطرًا
20) صحفت كلمة تنتحب في د، إذ كتبت بالخاء.

فعيبُ الفتى غيبٌ إذا ما تركْتَهُ   وعند احْتكاك الجدلِ تبدو الغَرائزُ
[وإنَّ أخِلاَّءَ الرَّفــاهةِ جمَّةٌ   ولكنَّ إخْوان الكُــروبِ معـاوزُ][21]

وقلت أيضا على وجه التمليح والمطايبة لبعْضهم :

أتهمِز يا ابن الأسودِ اسمِيَ آفكًا   فهَلْ حسنٌ لولا الضَّلالةُ يُهْمزُ ؟
نعم تُهمَزُ الأنـْذالُ مثلُكَ كُلـَّما   تعاورها نظْمُ القريض وتُلْمزُ
فهَل أنت عن تلكَ السَّفاهة مُقصِرٌ   فتنـْجوَ من سَيْلٍ له أنت مركزُ ؟
وإلاَّ فبحْري لا تكدِّرهُ الدلاَ   ومَتـْنُ قناتي لا يُرى فيه مَغْمزُ
تـُوافيكَ منِّي بُكْرةً وعَشيـَّةً   قوافي بها طِمْرُ الهجاءِ يُطرَّزُ
على أنَّ هجْو النـَّذلِ مثْلِكَ شائنٌ   وما الهجْوُ إلاَّ الهجْوُ للكُفءِ يبرزُ
وإذْ لستَ بالكفْءِ الكريمِ فلا يكُن   بقلبِك منِّي أو لحائـِي مَعْلَزُ !

ولعلَّ هذا القدر يكفينا من هذا الباب. واللَّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

21) هذا البيت ناقص من ب.

بَـابُ السّيـن المُـهْـمَـلَـة

المَـسألةُ أَخِـرُ كَـسْـبِ المرءِ.

السُّؤالُ : الطَّلَـبُ، والسُّؤْلُ ـ بالضَّمّ مهموزًا ومخفّفًا ـ: ما تسأله ؛ وسألته الشيء وعنه وبه، سُؤالاً ومَسألةً وتسْآلاً . وقد يقال سَالَ ـ مخفَّف الهمز ـ قال الشاعر :

ومُرهفٍ سال إمتاعًا بأُصْدتِهِ لم يستَعِن وحوامِي الموتِ تغشاهُ[1]

الأُصْدَةُ : قميص صغير يُلبِس تحت الثوب، والكسْبُ معروف.

وهذا من أمثال أكْثَم بن صيفيّ، يُضرب في استقباح مسألة النّاس . قاله أبو عبيد القاسم بن سلاّم . وقال البكري : بل هو من كلام قيس بن عاصم، قال لبنيه : إيّاكم ومسألة النّاس، فإنّها أَخِر كسبِ الرجل ! قال : وأَخِر على وزن فَعِل، ومعناه أبعد من الخير وأرذله.

ومن حديث الزهريّ عن أبي سلمة وسعيد أنّ رجلا من أسلم أتى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فقال : إن الأخِرَ زَنَى، أي الأبعد . قال : ولا يحسن أن يقال هنا آخِر ـ بالمدّ ـ الذي هو نقيض أوّل، لأنّ ذلك إباحة للمسألة، وأن تكون من آخر ما يكتسب به المرء، والمسألة مكروهة منهيّ عنها في الجاهليّة والاسلام. وقد أمر النبي صلّى اللّه عليه وسلّم بأن يحتطب المرء على ظهره ولا يسأل النّاس . انتهى .

والذي في **الصحاح** : يقال في الشّتم أبعد اللّه الأخِرِ ـ بقصر الهمزة وكسر الخاء ـ، وهو قريب ممّا مرّ ودليل على صحّته.

أسَائِـرِ اليوم وقَـدْ زالَ الظّهْرُ ؟

السّائِرُ : الباقي، وقد يُستعمل بمعنى الجميع، وتقدّم ما فيه . والظّهْرُ معروف، والهمزة للاستفهام الانكاري.

---

1) في المخطوطات : «وحوام الموت» بدون ياء.

وسبب هذا أن قوما أغير عليهم، فاستصرخوا ببني عمّهم فأبطؤوا عنهم حتّى أُسروا وذُهب بهم . فجاؤوا يسألون عنهم، فقال لهم المسؤول : أسائِر القوم وقَد زالَ الظُّهْرُ ؟ أي كيف تطمعون فيما بعد، وقد تبيَّن لكم اليأس والفوات ؟ وذلك أنّ من كانت حاجته اليوم جميعه ثمّ زال الظُّهر وجب أن ييأس من الحاجة كما ييأس منها بغروب الشمس.

تَسْأَلُني بِرامَتَيْنِ سَلْجَمًا[2]

السُّؤالُ تقدّم ؛ ورَامَة اسم موضع . قال زهير :

لمن طَلَلٌ برامَةَ لا يَريمُ ؟ عَفَا وخَلالَهُ حِقْبٌ قديمُ !

وثَنَّوْه في هذا المثل اتساعًا.

ومثله قول الآخــر :

لمن الدّيارُ بِرامتيْنِ فعاقِلِ ؟ درسَتْ وغيَّر آيَها القَطْرُ !

وهذه التثنية هكذا شائعة في أسماء المواضع عند العرب.

ومثله قول ورقة :

بِبطْنِ المكّتين على رجائِي حديثُك أن أرى منه خُروجَا

وإنّما يريد مكّة .

وقول الفرزدق :

عشيَّةَ سال المرْبَدانِ كلاهُما

وإنّما يريد مَربَد البصرة .

وجعل السهيلي من هذا قول زهير :

ودارٌ لها بالرَّقْمتين كأنّها مراجِعُ وشْمٍ في نواشِرِ مِعصم

وقول عنتـرة :

شربَت بماء الدُّحْرُ ضَين فأصبحت زوراء تنفرُ عن حِياضِ الدَّيْلمِ

في أصحّ القولين .

---

2) سيقول المؤلف كأنّ هذا المثل شطرُ رجز. وفي هامش المخطوطات : تمامه : يا أم لو طلبت شيئا أمما. والمراد به النبت وهو اللفت المعروف، وهو من خضر الحاضرة فمن طلبه في البادية كرامة فقد أبعد. وانظر شرح الخزرجية لابن فرزدق رحمه الله تعالى انتهى من خط سيدي محمد بن الحسن اليوسي.

وقوله أيضـــا :

كيف المزارُ وقد تربَّعَ أهْلُها بعُنيزتينِ وأهلُنـا بالغَيْلمِ ؟

وقولهم : صِدنا بِقنَوَيْن . ويُقال : عنيزة اسم موضع، وقنا اسم جبل . وقال غيره : عنيزتان اسم موضع، وأمّا الدحرضان فهو على التغليب لمائَيْن : أحدهما يقال له دُحْرُض" والآخر وسِيع"، فثنّاهما الشاعر وغلّب لفظ أحدهما على الآخر ـ كالقمريْن ـ

وحكى الجوهري، أوّل كلامه، أنّ الدُحْرُض اسم موضع، وهو يوافق ما قال السهيلي.

وأمّا الرقمتان، في قول زهير، ففي شرح **ديوان الشعراء** هما موضعان : أحدهما قرب المدينة، والآخر قرب البصرة . فأراد أنّ الدار بين الرقمتين، كما تقول : فلان بمكّة، أي بين بيوت مكّة.

وفي **القاموس** : الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة أيضا جانب الوادي والروضة، ومنه قول زهير عند الجوهري . ويُحتمل أن يوافق ما قال السهيلي أو يخالفه، إذ لا مانع من أن يريد روضتَيْن . فتجيء الثتنية على بابها . ووجه تثنية الموضع الواحد، في كلّ ما مرّ، الاشارة الى جانبَيْه .

قال السهيلي : وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنّة أو بستان، فتسمّيها جنّتين في فصيح الكلام، إشعارا بأنّ لها وجهَيْن، وأنّك كلّما دخلتها ونظرت يمينا وشمالا رأيت من كلا الطرفين ما يملأ العين قرّة والصدر مسرّة .

وفي التنزيل : **جنّتانِ عن يمينٍ وشمالٍ**، إلى قوله : **وبَدّلْناهُمْ بجَنّتِهِمْ جنّتينِ** . وفيه : **جعلنا لأحدهما جنّتينِ [من أعْنابٍ]**[3] وفي آخرها : ودخل جنّتَهُ، فأفرد بعد ماثنّى، وهي هي . قال . وقد حمل بعض الفقهاء على هذا قوله سبحانه : **ولمن خاف مقام ربّهِ جنّتانِ** . انتهى .

ومن هذا، واللّه أعلم، أيضا عمايتان، في قول الآخر :

لو أنّ عُصمَ عَمايتينِ ويَذبُلٍ سَمعا حديثَكِ أنْزلاَ الأوعالاَ !

وإن وقع في كلام ابن مالك، في شرح «التسهيل» وأتباعه، أنّهما جبلان، فإنّ الذي في متون اللّغة المتداولة أنّ عماية جبل من جبال هذيل، وليس فيها ذكر الجبلين . وكما

3) ساقط من ب.

ثنَّت العرب البقاع للمعنى السَّابق، كذلك جمعتها أيضا، إشارة إلى جوانب الشيء، إلاّ أنّ الجمع أقلّ .

ومنه قول مطرود بن كعب الخزاعي :

وهاشمٍ في ضريحٍ عند بَلْقَعَةٍ تسفِي الرِّياحُ عليه وسْطَ غزّاتِ

يعني غزّة، وهو بلد بفلسطين مات به هاشم بن عبد مناف .

ومثله : بغَاذِين في بَغْذان، كما وقع في شعر بعض المولَّدين . ولأبي الطيّب معه قصَّة ذكرها صاحب **العمدة** . ويرد هنا سؤال، وهو أنّ العَلَم إذا ثُنّي سُلب التَّعيين، فجازت تحليته بألْ . وهذه التثنيات المذكورات في أعلام البقاع ليست على وجهها : فإنَّها في اللفظ تثنية وفي المعنى إفراد، إلاّ على حال واعتبار . والظاهر أنّ الوجه الذي به نسوغ التثنية، وقد مرّ شرحه، يسوغ به إدخال الألف واللاّم، وبذلك الوجه كان اللَّفظ مثنّىً لفظًا ومعنًى . ويدلّ لهذا قول ورقة السَّابق المكَّتَيْن . على أنَّا لو سلَّمنا أنَّه تثنية في اللفظ خاصَّة دون المعنى، منعنا دخول الألف واللاّم، إذ التثنية الملزومة لسلب التعيين ودخول ألْ هي المعنويَّة لا اللفظيَّة، وتكون ألْ في المكَّتَيْن زائدة، كما تزاد في المفرد العَلَم، نحو :

رأيتُ الوليد بنَ اليزيدَ مُباركًا شديدًا بأعْباءِ الخِلافةِ كاهِلُهْ

والسَّلْجَمُ نبت - بوزن جَعْفر -. والسلجم أيضا : الطويل من الخيل أو الرجال . والسلجم أيضا : البئر العادية الكثيرة الماء .

وهذا المثل لم أقف له بعد على تفسير، وكأنَّه شطر رجز . والظاهر انّ المراد بالسَّلْجَم فيه النبت أو البئر، وأنَّه استبعادٌ لسؤال ذلك وطلبه في هذا المكان الذي هو رامة، لعدمه فيه . فيكون على معنى المثل الآتي :

تَسألُني أبا الوليدِ جَمَلاً يَمشي رُويدًا ويكونُ أوّلاً، في طلب ما لا يكون . ومثله قول العامة :

في دارِ البَقَر تصِيب التّبن .

أسألُ من قَرثَع .

السُّؤال تقدَّم ؛ وقرثع - بثاء مثلثة، على مثال جَعْفَر - رجل من تغلب، ثمَّ من أوس، كان من أشدّ النَّاس سؤالا، فضُرب به المثل .

سُبَّنِي واصْدُقْ .

السَّبُّ : الشَّتْمُ . والسَّبُّ أيضا : الطَّعن في السبَّة، أي الاسْت . قال :

وما كان ذَنْبُ بني مالِكٍ   بأنْ سَبَّ منهُمْ غُلامٌ فسُبَّ

أي شَتَمَ فعُقِر . وتسابَّ الرجلان : تشاتما أو تقاطعا . والسُّبَّةُ - بالضمّ -: العار، ومن يسبّه النَّاس كثيرا ؛ والسُّبَبَةُ - كهُمَزَة - من يسبُّهم ؛ والسِّبُّ - بالكسر - الكثيرهُ، وسبك من يسابك . قال حسَّان :

لا تسُبَّنَّني فلستَ بِسِبِّي   إنَّ سِبِّي من الرِّجالِ الكريم[4]

والصِّدقُ ضدّ الكذب . والمعنى أنَّك إذا سابَبتني وجانبت الكذب، فلا أبالي .

سُبَّ مَن سَبَّكَ يا هبَّارُ !

يُتمثَّل به كثيرا، وهو من كلام النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . كان هبَّار بن الأسود تبع زينب ، بنت رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، حين خرجت من مكَّة مهاجرة ، فروَّعها وأسقطت ذا بطنها، في قصَّة مشهورة في السير . ثمَّ أسلم وصحب النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . فكان المسلمون يسبّونه بما فعل، حتَّى شكا الى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم،[5] فقال له : سُبَّ من سبَّكَ يا هبَّارُ ! فكفَّ النَّاس عن سبّه بعد .

سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ !

السَّبقُ معروف، والسَّيفُ كذلك، والعَذلُ - بالذَّال المعجمه - : الملامة ؛ والعَذَل - بالتحريك - الاسم منه . وهذا المثل يُضرب في الأمر يفوت ولا يُطمع في تداركه وتلافيه .

4) نسب صاحب لسان العرب هذا البيت الى عبد الرحمان بن حسان، وقال إنه هجا به مسكينًا الدارمي.
5) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

وأصله أنّ الحارث بن ظالم ضرب رجلاً بسيفه فقتله فأُخبر بعذره فقال : سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ !

وقيل إنّ أصله أنّ سعداً وسعيداً، ابني ضَبَّةَ بنِ أدٍّ خرجا في طلب إبل لهما، فرجع سعد وفُقد سعيد . وكان ضبّة إذا رأى شخصا مقبلا قال : أسعد أم سعيد ؟ ثمّ إنّه في بعض مسائره أتى مكانا ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام، فقال : قتلت هنا فتى صفته كيت وكيت، وأخذت منه هذا السيف . فتناوله ضبّة فعرفه فقال : إنّ الحديث ذو شجون ! ثمّ ضربه فقتله، فعذل فقال : سَبَقَ السَّيْقُ العَذَلَ !
وقال جريـر :

يُكلّفني ردّ الغرائبِ بعد ما سبقْنَ كسبْقِ السَّيفِ ما قال عاذلُهْ

وذكر البكري أبو عبيد أنّ أوّل من قال : سَبَقَ السَّيفُ العَذلَ، خريم بن نوفل الهمداني، وذلك أنّ النعمان بن ثواب العبدي كان له بنون : سعد وسعيد وساعدة . فأمّا سعد فكان رجلا شجاعا بطلا ؛ وأمّا سعيد فكان جوادا سمحا ذا إخوان وصنائع ؛ وأمّا ساعدة فكان صاحب شراب وندمان . وكان أبوهم النعمان ذا شرف . وكان يوصيهم ويحملهم على أدبه . فقال لسعد، وكان صاحب حرب، : إنّ الصارم ينبو، والجواد يكبُو، والأثر يعفو، والحليم يهفو . فإذا شهدت حربا فرأيت نارها تسعر، وبحرها يزخر، وبطلها يخطر، وضعيفها يبصر، فإيّاك أن تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها ! واعلم عند ذلك أنهم ينصرون ! ثمّ قال لسعيد، وكان جوادا : يابني، إنّه يبخل الجواد، ويصلد الزناد، ويحمد الثماد، وتمحل البلاد . فلا تدع أن تجرب إخوانك، وتبلو أخدانك ! ثمّ قال لساعدة : يا بني، إنّ كثرة الشراب يفسد القلب ويقلّ الكسب، ويحدث اللّعْب[6]. فانظر نديمك واحم حريمك، وأعن غريمك . واعلم أنّ الظمّأ القامح، خير من الريّ[7] الفاضح . وعليك بالقصد، فإنّ فيه بلاغًا!

ثمّ إنّ النعمان توفّي، فقال سعيد : لآخذنّ بأدب أبي ولأبلونّ أوثق إخوتي في نفسي ! وعمد إلى كبش فذبحه، ثمّ أضجعه في قبّته وغشاه ثوبا . ثمّ دعا رجلا كان

6) صحفت كلمة «اللغب» في ب فكتبت «الغب».
7) صحف «الري» في د فكتب بالزاي.

أوثق إخوانه في نفسه فقال : يا أبا فلان، إنّما أخوك من صدقك بعهده، وحاطك برفده، وقام معك بجهده، وسواك بولده . قال : صدقت ! قال : فإنّي قتلت فلاناً فما عندك ؟ قال : فالسوأة السّوأى وقعت فيها وانغمست. قال: فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينني عليه حتّى أغيّبه . قال : لست لك في ذلك بصاحب ! فتركه وانطلق . ثمّ دعا سعيد رجلا آخر من إخوانه يقال له خريم بن نوفل فقال : يا خريم، ما عندك ؟ قال : ما يسرّك . قال : فإني قتلت فلانا . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أريد أن تعينني عليه حتّى أغيّبه . قال : لهان ما فزعت فيه إلى أخيك ! ثمّ قال، وعبد لسعيد معهما : هل أطلع على هذا عبدك هذا ؟ فقال : لا . فأهوى خريم بالسيف الى العبد فقتله وقال : ليس عبد بأخ لك ! ففزع لذلك سعيد وقال : ما صنعت إنّما أردت تجربتك . فقال خريم : سَبَقَ السَّيْفُ العَذلَ ! انتهى .

وقال الطغرائيّ :

إن كان ينْجعُ شيءٌ في ثَباتِهمُ على العُهودِ فسبْقُ السَّيفِ للعَذلِ

سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ .

يُتمثّل به كثيرا، وهو من كلام النبي صلّى اللّه عليه وسلّم . لمّا ذكر الذين يدخلون الجنّة بغير حساب، قام إليه عكاشة بن محصن، رضي اللّه عنه، فقال : أمنهم أنا، يا رسول اللّه، أو ادع اللّه أن يجعلني منهم ؟ فقال : نعم ! فقام رجل آخر فقال مثل ذلك، فقال صلّى اللّه عليه وسلّم : سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ . والحديث مشهور معروف ما فيه من المعنى .

سَحابَةُ صَيفٍ عن قَليلٍ تَقَشّعُ .

[ ][8]

سَدّ ابنُ بِيضٍ الطَّريقَ .

السَّدُّ ضدّ الفتح معروف، وابنُ بيضَ ـ بكسر الباء، وقيل بالفتح ـ رجل من عاد تاجر

8) بياض بالاصل. وحتى الميداني (1 : 344) لم يزد في شرح هذا المثل على قوله : «يُضرب في انقضاء الشيء بسرعة».

عقر ناقته على ثنيَّة فسدَّ بها الطريق ومنع النَّاس من سلوكها . ويقال إنَّ ابن بيض، لمَّا حضرته الوفاة قال لابنه : لا تقارب لقمان في أرضه ! فإذا متُّ فسر بأهلك ومالك حتَّى إذا كنت في ثنيَّة كذا فاقطعها بأهلك واترك فيها للقمان حقَّه، فإنَّ له عندنا في كلّ عام حلَّة وجارية وراحلة . فإن هو قبله فهو حقّه عرفناه له لاجارته وخفارته ؛ وإن هو لم يقبل وبغى، أخذه اللَّه تعالى ببغيه . فلمَّا مات، فعل الفتى ما أمره به . فأتى لقمان الثنيَّة وأخذ ذلك وقال : سدَّ ابنُ بيضِ الطَّريقَ ! وقال عمر بن الأبرد في ذلك :

سَددنا كما سدَّ ابنُ بيضٍ سبيلها فلم يجدوا عند الثَّنيَّة مطْلَعا

سَدادٌ في كفافٍ، أفضلُ من غنًى مع إسْرافٍ .

هذا مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . وتقدّم ضبط السَّدادِ .

يُسدِي ويُلحِمُ .

السَّدا من الثوب معروف . وأسْديْتُ الثوبَ وسَدَّيْتُهُ . واللُّحْمَةُ - بضمّ اللاّم - من الثوب : ما سوى السَّدا . وألْحَمْتُ الثوب : نَسَجْتُه . ثمَّ جُعل مثلا في الاشتغال بالشيء وإتمامه، كما قالوا في المثل الآخر : **ألحِمْ ما أسْدَيْتَ** ! أي تمِّمْ ما ابتدأت ! وقال أبو تمَّام في الأوَّل :[9]

وقلت أنا، من قصيدة تقدَّم إنشادُها :

يُسْدِي ويُلحمُ في مُزاولَةٍ ما ليس يُدركُهُ مَدى العُمْرِ

السَّراح، من النَّجاح .

السَّراحُ - بالفتح - اسم من التَّسريح وهو التَّطليق، سَرَّحْتُ المرأةَ تَسْريحًا ؛ والنَّجاحُ معروف . والمعنى أنَّك إذا لم تقدر على قضاء حاجة إنسان فأيسته بمرَّة، كان ذلك بمنزلة ما لو قضيت مطلوبه .

---

9) هنا أيضًا بياض.

سِرُّكَ أسيرُكَ، فإن نَطَقْتَ بهِ كُنْتَ أسيرَهُ .

هذا من الأمثال الحكميَّة في حفظ السرّ.

ومثله ما رُوي أنَّ معاوية، رضي اللّه عنه، أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثا، فقال الوليد لأبيه : يا أبت، إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثا، وما أراه يطوي عنك ما بسط إلى غيرك . قال : فلا تحدّثني به، فإنَّ من كتم سرَّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه ! قال : قلت : يا أبت، وإن هذا ليدخُلُ بين الرجل وبين أبيه ؟ قال : لا واللّه، يا بنيَّ ! ولكن أحبّ أن لا تذلّل لسانك بأحاديث . قال : فأتيت معاوية فحدثته، فقال : يا وليد أعتقك أخي من رقّ الخطإ !

وحكى الامام الغزّالي، رحمه اللّه تعالى، قال : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند، والصين، وكسرى، وقيصر، فقال أحدهم : أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل . وقال الآخر : إنّي إذا تكلّمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم اتكلّم ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث : عجبت للمتكلّم إن رجعتْ عليه كلمتُه ضرَّته، وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرّابع : أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ على ردِّ ما قلت .

وسيأتي إتمام هذا المعنى في الحكم بأشبع من هذا، إن شاء اللّه تعالى .

أسْرعُ من نِكاحِ أُمِّ خارجَةَ .

السُّرعَةُ ـ بالضمّ ـ، والسَّرَعُ ـ بفتحتين ـ، والسِّرَعُ ـ بوزن عِنَب ـ ضدّ البطء . سَرُعَ الرجل ـ بالضّمّ ـ، فهو سريع ؛ وأسرعَ أيضا، فهو مُسرِعٌ . قيل : وأصل الرباعي التعدّي بنفسه، أي أسرع نفسَه أو مشيَه، كما في الحديث : **فَلْيُسْرِعِ المَشْيَ** ! لكنَّه يُحذف لظهوره.

والنِّكاحُ ـ بالكسر ـ: الوَطْءُ والعقد أيضا . يقال : نَكَحها ـ بالفتح ـ ينْكِحُ ـ بالفتح والكسر ـ ؛ ونَكَحَتْ هي أيضا، فهي ناكح، أي ذات زوج. قال تعالى : **حتَّى تَنْكِحَ زوجًا غَيْرهُ** . وقال الشاعر :

لَصَلصَلَةُ اللِّجامِ برأسِ طِرفٍ أحبُّ إليَّ من أنْ تنكِحيني

واسْتنكحَها بمعنى نكَحها ؛ وأنكحَها : زوَّجها، والاسم منه النِّكْحُ - بالكسر والضَّمّ -، وهي كلمة كانت العرب تتزوَّج بها . يقول الخاطب : خِطْبٌ - بكسر الخاء وضمّها -، ويقول المخطوب : نِكْحٌ - بكسر النون أيضا وضمّها - ؛ وأمّ خارجة امرأة من بجيلة ولدت قبائل كثيرة من العرب، واسمها عمرة بنت سعد، وخارجة ابنها.

قال في الصحاح : ولا يعلم ممَّن هو، ويقال هو خارجة بن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . وكانت أمّ خارجة من الشهوة والشَّبَق إلى الرجال في غاية . فكان يقال لها : خِطْبٌ، فتقول : نِكْحٌ، فقالوا : أسرَعُ من نِكاحِ أمّ خارجَةَ .

ويُحكى أنَّ السيّد الحميري خرج يوما سكران، فلقي بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري الخارجيَّة، وكانت امرأة حسناء . فواقفها وأنشدها من شعره، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها، فقالت: كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق؟ قال: يكون كنكاح أمّ خارجة، قيل لها : خِطْبٌ، قالت : نِكْحٌ . فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسأليني بقومي تسألِي رجُلاً | في ذِرْوَةِ العِزّ من أجوادِ ذي يمنِ
ثمَّ الولاءُ الَّذي أرجو النَّجاةَ بِهِ | من كبَّةِ النَّارِ للهادِي أبي حَسَنِ

فقالت : لا شيء أعجب من هذا : يمانيٌّ وتميميَّة، ورافضيٌّ وإباضيَّة، فكيف يجتمعان ؟

فقال : بحسن رأيك فيَّ تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفًا ولا مذهبا . قالت : أفليس التزويج إذا عُلم انكشف معه المستور ؟ قال : إنَّما أعرض عليك . قالت : وما هي ؟ قال : المتعة التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أخت الزنى . قال : أعيذك باللَّه أن تكفري بعد الايمان ! قالت : وكيف ؟ [قال لها :] قال اللَّه تعالى : **فما اسْتَمْتَعْتُمَ به منهُنَّ فآتوهُنَّ أجُورَهُنَّ فريضَةً** . فقالت : استخير اللَّه وأقلّدك إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . فانصرفت معه وبات معرسًا بها . وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوَّجت بكافر . فجحدت، وكانت تختلف إليه مرَّة وتواصله .

قلت : وأين هاتان المرأتان من أمّ حكيم الخارجيَّة ؟ وكانت من أجمل نساء زمانها ومن أشجع النَّاس وأحسنهم بديهة . خطبها جماعة من أشراف الخوارج، فردَّتهم . وهي القائلة:

ألا إنَّ وجهًا حسَّن اللَّهُ خلقهُ | لاجدرُ أن تلقى به الحُسنَ جامعا

وأُكرم هذا الجِرمَ عن أن ينالَهُ تورُّكُ فحْلٍ همُّهُ أن يُجامِعا

وكانت مع قطريّ بن الفجاءة في عسكر الاباضيَّة . فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول:

أحمِلُ رأسًا قد سئِمْتُ حملَهُ وقـــد مللتُ دُهنهُ وغَسْلَهُ

ألا فتًى يحملُ عنِّي ثقْلَهُ ؟

والخوارج يفدونَها بالآباء والأمَّهات . وكان قطري يشبِّب بها، وفي ذلك يقول في وقعة دولاب :

لعمرُكَ إنِّي في الحياةِ لزاهِدٌ وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ

من الخَفِراتِ البيضِ لم يُرَ مثْلُها شفاءً لِذي بثٍّ ولا لسَقيمِ

لعمرُك إنِّي يوم ألطَمُ وجهَهَا على نائباتِ الدَّهرِ جِدُّ لئيمِ

ولو شهِدتْني يوم دولابَ أبصرتْ طعانَ فتًى في الحرب غير ذميمِ

غَداةَ طَفَتْ علماءِ بكْرِ بن وائِلٍ وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميمِ

فلم أر يومًا كان أكثَر مقْطعًا يمُجُّ دمًا من فائِظٍ وكليمِ

وضاربةٍ خَدًّا كريمًا على فتًى أغرَّ نجيبِ الأمَّهاتِ كريمِ

أُصيبَ بِدولابٍ ولم يكُ موطنًا له أرضُ دولابٍ وديْرُ حميمِ

فلوْ شهِدتْنِي يومَ ذاكَ وخيلُنا تُبيحُ من الكُفَّارِ كلَّ حريمِ

رأتْ فتْيةً باعوا الالهَ نفوسَهُم بجنَّاتِ عدنٍ عنْدهُ ونعيمِ

سُرعانَ ذَا إهَالَةً ! [10]

السُّرعَةُ تقدَّمت . ويقال : **سُرْعَانَ ذا خُروجًا** ـ مثلَّث السين ـ، أي سَرُعَ هذا حروجا . ويقال : لَسُرعانَ ما صنعتَ كذا ! أي ما أسْرعَ ! والاهالة : الشَّحْم، أو ما أذيب منه أو الزيت، وكلّ ما ائتُدم به، وهمزتها أصليَّة، ورجل مستأهل : آخذ الاهالة أو آكلٌ لها . قال :

لا، بل كُلي يا أمَّ واستأهِلي إنَّ الَّذي أنفَقْتِ من ماليَهْ !

10) أورد الزمخشري هذا المثل في أساس البلاغة بلفظ : وشْكانَ ذَا إهالَةً.

وأصل المثل أنّ رجلا كانت له نعجة عجفاء يسيل رغامها من أنفها، فقيل له : ما هذا ؟ قال : ودكها - يظنّ الرغام شحما -. فقال السائل : سُرعان ذا إهالةً !

ونصب إهالة، إمّا على التمييز المحول من الفاعل، أي : سرع إهالةُ هذه، أو على الحال، أي : سرع هذا الرغام حال كونه إهالة

فيُضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

وسمعت قديما من بعض الأشياخ أنّ أصل هذا المثل أنّ أعرابيّة كان لها ابن أحمق، فذهب فوجد نعجة عجفاء فاشتراها، فقال لأمّه : إنّي اشتريت نعجة بسمينة . فلمّا أخرجها إلى أمّه، ورغامها يسيل من أنفها، قال لها : انظري الى إهالة ما علفتها ! فقالت أمّه : سُرعانَ ذا إهَالَةً.

أسْرَعُ من تَلَمُّظِ وَرَلٍ.

يقال : لَمَظَ يَلْمُظُ - بالظاء المشالة - وتَلَمَّظ إذا تتبّع بقيّة الطعام في فيه بطرف لسانه أو أخرج لسانه فمسح به شفته ؛ واللُّماظة - بالضّمّ -: البقيّة التي يتلمّظها. قال الشاعر يصف الدنيا :

لُماظَةُ أيّامٍ كأحْلامِ نائمٍ

والوَرَلُ - بفتحتين والرّاء المهملة - حيوان كالضّبّ، جمعه أوْرَالٌ ووِرْلانٌ، وهو سريع التّلَمُّظ - أي الأكل بطرف اللسان -.

أسْرعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ .

هذا شطر بيت لأبي الطيّب،[11] وسيأتي في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

أسْرَقُ من زَبَابَةٍ .

السَّرِقَةُ معروفة، سَرَقَ الشيء - بالفتح - يَسرِقُهُ سَرَقًا - بفتحتين -، وسَرِقَة - كَنَبِقَة -.

---

11) وأوله : ومِنَ الخَيْرِ بُطءُ سَيْبكَ عَنّي
وهذا البيت من قصيدة يمدح بها عليّ بن أحمدّ المري الخراساني.

والزِّبابُ - بالزاي وباءين موجدتين، والواحدة زبابة : فارة صمّاء عظيمة تسرق، ويُضرب بها المثل في السرقة، وشُبِّه بها الجاهل . قال الشاعر :

ولقـد رأيتُ مَعَاشِراً   جَمَعُوا لهُمْ مالاً وولْداً
وهُـمُ زبـابٌ حائـرٌ   لا تسمَعُ الآذانُ رعْداً

أي لا تسمع آذانهم رعداً لصممهم . وحذف الضمير من اللفظ، أو استغني عنه بالألف واللاّم، على ما عرف في المذهبين . ويعني أنّ من النّاس من رُزق أموالا وأولادا، وهو ما هو في الجهل والحيرة والدناءة . وذلك من الدّليل على أنّ اللّه تعالى هو مستند الأرزاق لا العقول والحيل، وأنّه تعالى لم يجعل الدنيا الدنية مقصورة على العقل الشريف ولا كفؤاً له.

أسْرَى من جُنْدُبٍ .

السُّرَى - بوزن الهُدَى -: سير اللّيل . يقال : سَرَى يَسْرِي سُرًى ومَسْرًى، وأسرى، إذا مشى فيه ؛ والجُنْدُبُ - بضمّتين، ويجوز فتح الدّال - ضرب من الجراد، الجمع جنادب . قال كعب رضي اللّه عنه :

وقال للقومِ حاديهمْ وقد جَعَلَتْ   وُرقُ الجنادب يركُضْنَ الحصا قيلوا

أسْرَى من قُنْفُذٍ .

السُّرى تقدّم ؛ والقُنْفُذُ - بالذال المعجمة، بوزن جُنْدُب - معروف، والأنثى قُنْفُذَة، ويقال له الأَنْقَذُ، وتقدّم في حرف الباء، وأنّه يسري الليل ولا يكاد يظهر إلاّ فيه.

أسَعْدٌ أم سَعِيدٌ ؟

هذا يقولونه مثلا في السؤال، أي هذا الشيء ممّا يُحَبُّ أم ممّا يُكْرَه ؟

وأصل ذلك أنّ سعداً وسعيداً، ابني ضَبَّةَ بنِ أُدٍّ، خرجا في طلب إبل لهما . فرجع سعد وفُقد سعيد - وتقدّمت الحكاية في هذا الباب - فصار سعيد يُتشاءم به .

وقد رُوي عن عبد اللّه بن الحارث قال : بعثني أبي، وبعث العبّاسُ ابنَه الفضل، رضي اللّه عنهما، إلى النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يسألانه أن يجعل لنا السقاية . فلمّا أتيناهما منصرفَيْن قالا : ما وراءكما ؟ أسعد أم سعيد ؟ قلنا ووقع مثل ذلك لبيهس، المعروف بنعامة، إذ قتل إخوته . ذكر ذلك كلّه أبو عبيد القاسم بن سلاّم في **أمثاله** .

السّعيدُ مَن وُعِظَ بغَيْرِهِ.

هذا مثل في الأمر بحسن التدبير.وتمامُه : والشّقيُّ من وُعظَ بنفسِهِ . ويروى الأوّل حديثًا، واللّه أعلم . وفي معناه ما أنشد الجاحظ :

لا أعرفنّكَ إن أَرسَلْتَ قَافِيَةً   تلقى المَعاذِير إن لم تنفَعِ العِذَرُ
إنّ السّعيدَ لهُ في غيرهِ عِظَةٌ   وفي التّجارب تحْكيمٌ ومُعتبَرُ[11م]

أسْفَدُ من دِيكٍ .

يقال : سَفَدَ الذكر[12] على الأنثى يَسْفِدُ - كضَرَبَ يَضْرِبُ - وسَفِدَ يسْفَدُ - كعلِمَ يعْلَمُ ، سِفَادًا، إذا نزل عليها ؛ والديک معروف، وهو كثير السفاد.

أسْفَدُ من هِجْرِسٍ.

الهِجْرِسُ - بالكسر - ولد الثعلب، وقيل هو الثعلب والقرد والدبّ، وقيل كلّ ما يعسّ بالليل ممّا دون الثعلب وفوق اليربوع.

وفي المثل أيضا : أغْلَمُ من هِجْرِسٍ، والغُلْمَة : شهوة النكاح - وسيأتي -، وأزْنى من هجْرِسٍ، وتقدّم .

والهجرس أيضا : ابن كليب بن ربيعة التغلبي، ذكر في حرب البسوس.

سَفيهٌ لم يجِدْ مُسافِهًا .

السّفَهُ والسّفاهُ والسّفاهَةُ - بالفتح - ضدّ الحِلْم أو خفّته أو الجهل، وسَفّهَهُ

11م) في ب : وفي التجاريب...
12) في ب : سَفَدَ الديکُ...

تَسْفيهًا : نسبه إليه، وسافَهَهُ مُسافَهَةً : شاتَمَهُ وسابَّهُ ؛ وسافَهَ الشراب : أسْرفَ فيه . والمثل عند الجوهري من المعنى الأوّل . وكذا أبو عبيد، ذكره في أمثال الملاحاة والتّشاتم. قال البكري : وهذا المثل يُروى عن الحسن بن علي أنّه قالهُ لفلان . وأنشد في نحو ذلك لحاجب بن زرارة :

أغرَّكُمُ أنّي بأحْسنِ شيمةٍ رفيقٌ وأنّي بالفواحِشِ أخْرقُ
وأنّكَ قد فاحشْتني فغلبتَني هنيئًا مريئًا أنت بالفُحش أرفَقُ
ومثلي إذا لم يَجْز أفضَلَ سعْيِه تكلَّمُ نُعماهُ بفيها فتنطِقُ

سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرحانٍ .

السُّقوطُ معروف ؛ والعَشَاءُ ـ بفتح العين المهملة والمدّ ـ طعام العشيّ كالعِشَى ـ بالكسر ـ جمعه أعْشِيةٌ ؛ وعَشَوْتُ الرجل وأعْشَيْته وعَشَّيْتُه تَعْشِيَةً : أطعمته ذلك، وتَعَشَّى هو . قال الفرزدق :

تعشَّ فإن عاهَدتني لا تخونُني نكُنْ مثل من، يا ذئبُ، يصطحبانِ[13]

وهو عَشْيَان ؛ والعَشَى ـ بالقصر ـ سوء البصر بالليل والنّهار، كالعشاوة أو العَمَى، عَشِيَ ـ بالكسر ـ يَعْشَى، وعَشِا يَعْشُو، فهو عَشٍ، وأعْشَى، وهي عَشْواء ؛ والسِّرحانُ ـ بالكسر ـ: الذّئبُ . قال امرؤ القيس :

له أيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

وهو بلغة هذيل الأسد، قال الشاعر يرثي ميّتا :

هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان

وهذا المثل يُضرب للرجل يطلب حاجة فيقع في هَلَكَة.

واختلفوا في أصله . فقيل دابّة خرجت تلتمس العَشاء، فوقعت على الأسد أو على الذئب، فأكلها.

وقيل رجل خرج كذلك، فوقع عليه.

وقيل إنّ سِرحانًا اسم رجل، وهو سرحان بن معتب اليربوعي . وكان فاتكا، فحمى واديا، فجاء عوف الأسدي فقال : لأرعين إبلي بهذا الوادي ! فرعاها فأتاه سرحان فقتله، وقال هدلة بن معتب، أخوه، لامرأة الأسدي يقال لها نصيحة :

13) يروى أيضًا : تَعَشَّ ! فإنْ واثَقْتَني لا تَخُونُني

أبلِغْ نصيحَةَ أنَّ راعِيَ إبْلِها   سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرحانِ
سقَطَ العَشاءُ به على مُتقَمِّرٍ   طَلْقِ اليدينِ مُعاودٍ لطعانِ

وعلى هذا كلّه، فالعشاء بالمدّ.

وقيل إنَّ أصله أنَّ رجلا أعشى البصر وقع على ذئب فأكله . وعليه، فيكون العَشَى مقصورا .

اسْقِ أخاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِحْ !

السَّقْيُ معروف، يقال : سَقَيْتُهُ وأسْقَيْتُهُ، وسَقَّيْتُهُ تَسْقِيَةً.

وقيل أسْقَيْتُهُ : دلَلتُهُ على الماء، وأسقيت ما شيته أو أرضه : جعلت لها ماء . وسقاه اللّه غيثا : أنزله عليه، وأسْقَيْتُه أنا : قلت له : سقاك اللّه أو سَقْيًا ! قال امرؤ القيس :

فأسقي به أختي ضعيفة إذ نأتْ   وإذ بعُدَ المزار غير القريضِ

أي أدعو لها بالسُّقْيا .

وقال ذو الرُّمَّة :

فما زلْتُ أسْقي ربْعَها وأخاطبُهْ

وقلت أنا في هذه المادّة :

سقى اللّه أطلالاً بأكْثِبَةِ الحِمى   من العارضِ الهتّانِ صوبَ عِهادِ
بلادٌ بها حلّتْ سُليمَى وأهلُها   فحلَّ فُؤادي عندها ووادي[14]
وإنّي متى أسقيْتُها أو بَكَيتُها   هُيامًا فما أسْقَيْتُ غيرَ فُؤادي !

ويجوز أن يقع أحدهما موقع الآخر، كما قال لبيد :

سقى قومي بني مجْدٍ وأسْقى   نُميرًا والقبائلَ من هِلالِ

والنَّمَريّ ـ بفتح الميم ـ نسبة إلى النَّمِرِ بن قاسط ـ بكسر الميم ـ، وهو أبو قبيلة من جَذيلة . وإنّما فُتحت الميم في النسبة، كنظائره، كراهية توالي ما هو في حكم الكسرات .

---

14) في ب : حلّت سُلَيْمى ودارُها
وفي د : فحلَّ فؤادٌ عندها.

واصطبح الرجل : شرب الصَّبوح ـ بالفتح ـ، وهو ما يُشرب صباحًا ؛ واصطبح أيضًا : أوقد المصباح.

ولم أقف بعد على تفسير هذا المثل، وأظُنُّ أنَّ معناه أنَّه لثقله إذا سَقَيْتَهُ انْتَظَرَ الصَّبُوحَ فيكون كالمثل السابق : **أجْلَسْتُهُ عنْدي فَاتَّكأَ**، والمثلِ الآتي: **أطْعِمِ العَبْدَ الكِراع، فيطْمَعَ في الذِّرَاع !**

اسْقِ رَقَاشِ إنَّها سَقَّايَةٌ !

السَّقْيُ مرٌّ ؛ ورقاش اسم امرأة، ويقال : امرأة سَقَّايَةٌ وسَقَّاءَةٌ ـ بالتشديد فيهما ـ وجاز في الياء القلب وعدمه، نظرا إلى اعتبار زيادة هاء التأنيث وإلى لزومها في هذا البناء. ويُضرب للمحسن، أي : أحسنوا إليه لكونه محسنًا . قال الحماسي :

] [(15)

سَكَتَ ألْفا، ونَطَقَ خَلْفا .

السكوت معروف ؛ والألْفُ عدد معروف ؛ والنُّطْقُ خلاف السكوت ؛ والخَلْفُ نقيض القدَّام . والخَلْفُ أيضا الرَّديء من الكلام، ومنه المثل . ومعناه : سكت عن ألف كلمة صواب ثمَّ نطق بخطإ . هكذا فسَّروه.

وحكوا أنَّ أعرابيًّا جلس مع قوم، فَحَبَقَ حَبْقَةً فتشَوَّرَ، فأشار بإبهامه الى اسْتِهِ وقال : **إنَّها خَلْفٌ نَطَقَتْ خَلْفًا** ! وهذا صحيح في لفظ الخلف في المثل . وأمَّا في لفظ الألف، فالذي يظهر منه لا . والبديهة أنَّ المراد به ألف سنة أو نحو ذلك من الأزمان، ويكون المراد الاخبار عن إطالة السكوت، لا حقيقة الألف . وكأنَّه قيل : إنَّه أطال السكوت ثمَّ لمَّا تكلَّم لم ينطق إلاَّ بالرديء من الكلام.

ومن هذا يُحكى أنَّ شابًّا كان يجالس الأحنف وكان صموتا، فأعجب الاحنف ذلك منه . ثمَّ خلت الحلقة يومًا فقال له : يا ابن أخي، مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : يا عمِّ، أرأيت لو أنَّ رجلا سقط من شرفة هذا المسجد، أيضره شيء ؟ فقال الاحنف : ليتنا تركناك، يا ابن أخي !

---

15) بياض في المخطوطات. ولعل الحماسي المقصود هو بشامة بن جزء النهشلي في قوله :

إنّـا محيّـوكَ يا سلمى فحيّينـا وإن سقيت كرامَ القومِ فاسقينا

ثمّ أنشد متمثّلا :

وكائن تَرى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتُهُ أو نقصُهُ في التّكلُّمِ
لسانُ الفتى نصْفٌ ونصفٌ فؤادهُ ولم يبق إلاّ صورةُ اللّحمِ والدّمِ !

ويُحكى أيضا أنّ رجلا كان يكثر مجالسة أبي يوسف ويطيل الصمت . فقال له أبو يوسف يومًا : ألا تسأل ؟ فقال : بلى ! متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غربت الشمس . قال : فإن لم تغرب الى نصف اللّيل ؟ فضحك أبو يوسف وتمثّل بقول أبي الخطفا :

عَجِبْتُ لإزرَاءِ الغَبِيِّ بنفْسِهِ وصَمْتِ الّذي قد كانَ بالعلم أعْلما
وفي الصّمتِ ستْرٌ للْغَبِيِّ وإنّما صَحِيفَةُ لُبِّ المرءِ أن يتكلّما

ومن معنى هذا الشعر قول الآخر :

المرءُ يُعْجِبُني وما كَلّمْتُهُ ويُقالُ لي : هذا اللّبيبُ ألَلّهْذَمُ[16]
فإذا قَدحْتُ زنادَهُ وسبَرتُهُ في الكَفِّ زافَ كما يزيفُ الدّرهمُ

وقول الآخر :

ترى النّاس أشْباهًا إذا جلسوا معًا وفي النّاسِ زيفٌ مثلُ زيفِ الدّراهِمِ

وقال عَدِيُّ بن الرّقاع :

النّاسُ أشْبَاهٌ وبين حُلُومِهِمْ بونٌ كَذاكَ تشابُهُ الأشْياءِ

ومن معنى الحكايتَين المذكورتين، من سؤال المغفّلين، ما يحكى عن الامام الماوردي، رحمه اللّه، قال : كنت بمجلس درسي بالبصرة، فدخل عليّ شيخ مسنّ قد ناهز الثمانين أوجاوزها، وقال : قصدتك بمسألة اخترتك لها . فقلت : ما هي ؟ وظننت أنّه يسأل عن حادثة نزلت به . فقال : أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو ؟ فإنّ هذين لعظيمٌ شأنهما، لا يُسأل عنهما إلاّ علماء الدين . قال، فعجبت وعجب من في المجلس من سؤاله . وبادر إليه قومٌ منهم بالانكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت : هذا لا يقنع، مع ما ظهر من حاله، إلاّ بجواب مثله ! فأقبلت عليه وقلت : يا هذا، إنّ المنجّمين يزعمون أنّ نجوم النّاس لا تُعرف إلاّ بمعرفة مواليدهم . فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرتك بالطالع . فقال : جزاك اللّه خيرا ! وانصرف مسرورا . فلمّا كان بعد أيّام

16) في غير د: اللهدم بالدال المهملة وهو تحريف.

عاد وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

أسْكَتُ مِنْ سَمَكَةٍ .

السَّمَكَةُ ـ بفتحتين : واحدة السَّمك، وهو الحوت.

أسْلَحُ من حُبَارَى .

السُّلاحُ ـ بالضمّ ـ كغُراب ـ: النَّجْوُ، يقال : سَلَحَ الرجلُ وغيره يَسْلَحُ ـ كمَنَعَ يَمْنَعُ ـ. والحُبَارى : الطائر المعروف.

وذكروا أنَّ للحبارى خزانة في دبرها فيها أبدا سلح رقيق، فمتى ألحَّت [عليها][17] الجوارح سلحت عليها فينتف ريشها، وفي ذلك هلاكها . قالوا : فجعل سلحها سلاحا لها .

وقال الشاعر :

وهُم تركوكَ أسلَحَ من حُبارَى   رأتْ صَقْرًا وأشْردَ من نَعامِ

أسْلَحُ من دجاجٍ .

الدَّجاجُ ـ مثلَّث الدال المهملة ـ معروف، واحده دَجَاجَةٌ . ويقال : **أسْلَحُ منَ الحُبَارَى** حالَ الخوف، وأسْلَحُ **من دَجاجٍ** حال الأمن.

السُّلْطَانُ كالنَّارِ.

هذا من الأمثال الحكميَّة، وتمامه : إن باعَدْتَها بَطَلَ نَفْعُها، وإن قاربْتَها عَظُمَ ضَررُها، وسيأتي في الحكمِ، إن شاء اللَّه تعالى، استيفاءُ هذا المعنى.

أسْمَعُ من حَيَّةٍ.

السَّمْعُ حِسُّ الأذن، يقال : سَمِعَهُ ـ بالكسر ـ يَسْمَعُهُ سَمْعًا وسَمَاعًا وسَمَاعةً وسَمَاعِيَةً، وتَسَمَّع واسْتَمَع، ورجل سميع : سَامِع أو مُسْمِع . قال

---

17) ناقص من د.

عمرو بن معدي كَرِبَ :

أمِن ريْحانَةِ الدّاعي السَّميعُ يُؤرِّقُنِي وأصْحَابِي هُجُوعُ ؟[18]

والحيَّة اسم يقع على الذكر والأنثى، ويُميَّز باللفظ . يقال : هذه حيَّة، وهذا حيَّة . والتاء للوحْدة الجنسيَّة، لا للتَّأنيث، إلاّ ما يحكى من قول بعض العرب : رأيت حيًّا على حيَّة . وهي موصوفة بالسماع القويّ .

أسْمَعُ من دُلْدُلٍ .

الدُّلْدُلُ ـ بدالين مهملتَين، على مثال جُنْدُب ـ: القُنْفُذ، أو أعظم القنافذ . والدلدل أيضا : الاضطراب . أنشد في **الصحاح**، لأبي مَعْدَانَ الباهِلِيّ :

جاء الحزائمُ والزَّبائِنُ دلْدُلاً لا سابِقِين ولا مَعَ القُطَّانِ

أي : لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

أسْمَعُ من سِمْعٍ .

ويقال : **أسْمَعُ منَ السِّمْعِ الأزَلِّ**، والسِّمْعُ ـ بكسر فسكون ـ: ولد الذئب من الضبع، وهو سبع مركب من هذين، فاستفاد قوّة الضبع وجرأة الذئب . ويوصف بقوّة السمع . قال بعض الأعراب :

تراهُ حَديدَ الطَّرفِ أبْلَجَ واضِحًا أغرَّ طويلَ الباعِ أسمَعَ من سِمْعِ

ويوصف أيضا بالسرعة . يقال إنَّه في عدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا.

وفي بعض المجامع أنَّ ربيعة بن أبي مراد قال : أخبرني خالي قال : لمَّا أظهر اللَّه علينا رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، أشْعَبْنا في كلّ شِعْبٍ، لا يَلْوي حميمٌ على حميم . فبينما أنا في بعض الشعاب قد رأيت ثعلبا قد تحوّى عليه أرقم، والثعلب يعدو عَدْوًا شديدًا فانتحيت عليه بحجر فما أخطأه . فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه، وإذا الأرقم تقطَّع وهو يضرب . فقمت أنظر إليه، فهتف بي هاتف ما سمعت

---

18) في ب : يؤرقني وإعجابي هجوعي

أفصح من صوته يقول : تعسا لك وبؤسا ! قد قتلت رمسًا ووترت تيسا ! ثمَّ قال : يا دامر، يادامر ! فأجابه مُجيب من العدوة الأخرى : لبَّيْك، لبَّيْك، بادر إلى بني الغدافر، فأخبرهم بما صنع الكافر ! فناديت : إنّي لم أشعر، وأناعائِذٌ بك، فأجِرْنِي ! فقال : كلاَّ، والحَرَمِ الأمين، لا أُجير مَن قاتل المسلمين، وعَبَدَ غَيْرَ رَبِّ العالمين ! قال . فناديت : إنّي مسلم ! فقال : إن أسلمت سقط عنك القصاص، وفُزْتَ بالخلاص، وإلاَّ فَلاَتَ حِينَ مَنَاص ! قال . فقلت : أشهدُ أنَّ لا إله إلاَّ اللَّه، وأشهد أنَّ محمَّداً رسول اللَّه . قال . فقال : نجوت وهديت، ولولا ذلك لرديت . فارْجِعْ من حيث جئت ! قال : فرجعت أقفو أدراجي، فإذا هو يقول : امتطِ السِّمْعَ الأزَلَّ، فقد بدا إليك هنالك أبو عامر يتبع بك ألفان . قال . فالتفتّ فإذا سِمْعٌ كالأسد، فركبته فمرَّ يَنسلُ حتَّى أتى إلى تلّ عظيم فأسندني إلى تلّ فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصوَّبت من الحدور نحوهم . فلمَّا دنوت منهم خرج إليَّ فارس فقال : ألق سلاحك، لا أمَّ لك ! فألقيت سلاحي فقال: ما أنت؟ قلتُ مسلم. فقال: سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته! فقلت: وعليك السلام والرحمة والبركة، مَن أبو عامر ؟ قال : أنا هو . قلت : الحمد للَّه ! قال : لا بأس عليك ! هؤلاء إخوانك من المسلمين . ثمَّ قال : إنّي رأيت بأعلى التلّ فارسا، فأين فرسك ؟ قال : فقصصت عليه القصَّة، فأعجبه ما سمع منّي، وسرت مع القوم أقفو آثار هوازن حتَّى بلغوا من اللَّه ما أرادوا .

أسْمَعُ مِنْ فَرْخِ عُقَابٍ .

الفرخ ولد الطائر، والأنثى فَرْخَة، والجمع أفْرُخ وأفراخ . قال الحطيئة :

ماذا أقولُ لأفْراخٍ بِذِي مَرخٍ   حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ ؟

يعني أولاده ؛ والعُقَابُ : الطائر المعروف، وتقدَّم الكلام عليها في حرف الباء .

أسْمَعُ مِن قُرَادٍ .

القُرادُ - كغُراب - معروف، جمعه قِرْدَان، وقَرَّدْتُ البعير تَقْرِيدًا : أزلتُ عنه القُراد . والتقريد أيضا : الخِداع، وأصله في البعير إذا أراد أن يأخذه وهو صعب قَرَّدَهُ

أولاً ليرتاح إليه فيأخذه .

قال الشاعر :

وهُم يمنعُونَ جارهُمْ أن يُقَرَّدَا[19]

وقال الحطيئة :

لعَمرُكَ ما قُرادُ بني كُلَيْب   إذا نُزِعَ القُرادُ بمُسْتَطَاعِ

ويزعمون أنَّ القُراد يسمع وطء أخفاف الابل، من مسيرة يوم، فيتحرَّك لها . ويزعمون أيضا أنَّهم ربَّما رحلوا عن ديارهم بالبادية وتركوها خالية، والقِرْدَانُ منتشرة منشرة في أعطان الابل، ثمَّ لا يخلفهم فيها ولا يعودون إلى تلك الديار إلاَّ بعد عشر سنين وعشرين سنة، فيجدون القِرْدانَ حيَّةً وقد أحسَّت بروائح الابل قبل أن توافيها فتتحرَّك لها . ومن ثمَّ قالوا : **أعْمَرُ من قُرادٍ**، أيضا .

أسْمَعُ جَعْجَعَةً ولا أرَى طِحْنًا.

الجَعْجَعَةُ صوت الرَّحى، وتُطلق أيضا بمعنى الحَبْس والتَّضْييق، كما في كتاب ابن زياد : جَعْجِعْ بالحُسَيْن، رضي اللَّه عنه ! والطَّحْنُ معروف، تقول : طحَنتُ البُرَّ - بالفتح - إذا صيَّرته دقيقا . والطّحن -بالكسر -الدقيق نفسه، ومنه المثل.

والمعنى : أسمع صوت الرَّحى ولا أرى دقيقًا . يُضرب في سماع جلبة لا يعقبها نفع، وفي الجبان يُوعِد ولا يُوقِع، والبخيل يَعِدُ ولا يَفِي .

تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خَيْرٌ من أنْ تَرَاهُ .

المُعَيْدِيُّ تصغير المَعَدّيّ - مشدَّد الدّال -، ثمَّ خُفِّفت عند التصغير كراهيةَ اجتماع الساكنين . قال النابغة :

ضلَّتْ حُلُومُهُمُ عَنْهُمْ وغرَّهُمُ   سَنُّ المُعَيْدِيّ في رَعْيٍ وتَعْزِيب

وهذا على ما وقع في الصّحاح وغيره من المعيدي في هذا المثل نسبة إلى مَعَد

19) هذا عجُز بيت للحُصين بن القَعْقَاع، وصدره :
همُ السَّمْنُ بالسَّنُّوتِ لا ألْسَ فيهِمُ

-بالتشديد - وقيل : المعيدي نسبة إلى مَعْدٍ - بسكون العين وتخفيف الدال -، وهي قبيلة . وتصغيرها مُعَيْد . والمعيدي المذكور رجل من هذه القبيلة كان فاتكا يغير على مال النعمان بن المنذر، فيأخذه ولا يقدرون . فأعجب به النعمان لشجاعته وإقدامه فأمَّنه . فلمَّا حضر بين يديه ورآه، استزرى مرآته، لأنَّه كان دميم الخلقة، فقال : لأنْ تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ! فقال : أبيت اللَّعن، إنَّ الرجال ليست بجزر، وإنَّما يعيش المرء بأصغريْه : قلبه ولسانه ! فأعجب النعمان كلامه وعفا عنه، وجعله من خواصّه إلى أن مات .

وقوله : تسمع، مضارع يَنْسَبِكُ مع أن مقدَّرة بالمصدر . وربَّما أظهرت فقيل : **أن تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيّ** . وهذا المصدر مبتدأ مُخْبَر عنه بما بعده .

والمعنى : أنَّ سماعك بالمعيدي خيرٌ من رؤيتك إيَّاه . يُضرب للرجل يكون له صيت وذكر حسن، فإذا رأيته اقتحمته عينك، وكان عندك خُبْره دون خَبَره . وقيل : معناه : اسمعْ به ولا تَرَه، على الأمر.

وذكر أبو عبيد أنَّ هذا المثل أوَّل ما قيل لجُشَم بن عمرو النَّهْدِيّ المعروف بالصقعب النهدي، قاله فيه النعمان بن المنذر . قال : وهذا على من قال إنَّ قضاعة من معَدّ، لأنَّ نهداً من قضاعة . والصقعب المذكور هو الذي ضُرب به المثل، فقيل : **أقْتَلُ من صَيْحَةِ الصقعب** . زعموا أنَّه صاح في بطن أمّه، وأنَّه صاح بقوم فهلكوا عن آخرهم.

وقيل : المثل للنعمان بن ماء السماء، قاله لشقَّة بن جمرة التميمي، وذلك أنَّه سمع بذكره، فلمَّا رآه اقتحمته عينه، فقال **أن تَسْمَعَ بالمُعَيْديّ خَيْرٌ من أن تَرَاهُ !** فقال شقَّة : أيّها الملك، إنَّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان، ولا تُوزَن بالميزان، ولست بمسوك يُستقى فيها الماء، وإنَّما المرء بأصغريْه : قلبه ولسانه، إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان ! فأعجب المنذر ما سمع منه وقال : أنت ضَمْرَةُ بنُ ضَمْرَةَ !

وذكر شمس الدين بن خلّكان أنَّ أبا محمَّد القاسم بن علي الحريري، رحمه اللَّه، جاءه إنسان يزوره ويأخذ عنه شيئا، وكان الحريري دميم الخلقة جداً . فلمَّا رآه الرجل استزرى خلقته، ففهم الحريري ذلك . فلمَّا طلب الرجل أن يملي عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوَّلُ سارٍ غرَّهُ قَمَرٌ ورائدٍ أعجبتْهُ خُضْرةُ الدِّمَنِ

فاخْتَرْ لنفسِكَ غيري إنَّني رجُلٌ مثلُ المُعَيدِيِّ فاسمَع بي ولا تَرني !

انتهى .

ويُزاد في هذه القصَّة أنَّ الرجل قال :

كانت مُساءلَةُ الرُّكْبانِ تخْبرنا عن قاسمِ بنِ عليٍّ أطْيَبَ الخَبَرِ

حتَّى التقَينا فلا واللَّه ما سمعَتْ أذني بأحْسنَ ممَّا قد رأى بَصَري !

وربَّما جعل في هذا الشعر، مكان القاسم بن علي، أحمد بن علي، وأنَّه قيل في أحمد بن علي، أحد الفقهاء، وأنَّ قائله لقي الزمخشري فأنشده إيَّاه . فذكر له الزمخشري عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه قال : ما بَلَغَني عَن رجُلٍ ثمَّ لقِيتُهُ إلاَّ وجَدتُهُ دونَ ما بَلَغَني عَنْهُ، إلاَّ ما كان من زيْدِ الخَيْلِ، فإنِّي [وجَدتُهُ][20] فوقَ ما قِيلَ عَنْهُ، أو كلامًا هذا معناه طال عهدي به.

وحدَّثني الرئيس الأجلّ أبو عبد اللَّه محمَّد الحاجّ بن محمَّد بن أبي بكر أنَّ رجلا كان يحضر مجلس والده ويطيل الصمت لا يتكلَّم ولا يعرفه أحد . ومكث على ذلك مدَّة، ثمَّ كتب رقعة بخطّ رفيع فائق وذهب . فأخذوا الرقعة فإذا فيها مكتوب :

كانتْ مُساءلَةُ الرُّكْبانِ تُخْبِرُنا عن مجْدكُمْ وثناكُم أطْيَبَ الخَبَرَ

حتَّى التقيْنا فلا واللَّهِ ما سمِعَت أذْني بأحْسنَ ممَّا قد رأى بَصري

اسْتَسْمَنَ ذَا ورَم .

تقول : استسمنت الشيء إذا عددته أو وجدته سمينا ؛ والورَمُ نتوء وانتفاخ في الجسد يقال : ورِمَ الجسد ـ بالكسر ـ ورَمًا، وتَوَرَّمَ ؛ واستسمان ذي الورم هو أن يرى الحجم النَّاتيء من علَّة فيحسب ذلك سمنًا وشحمًا .

والمثل مشهور عند المتأخرين يضربونهُعند خطإ الرأي في استجادة القبيح واستحسان الخبيث واستصواب الخطإ لأمارة وهميَّة كاذبة : قال أبو الطَّيب :

أُعيذُها نظَراتٍ منْك صادِقَةً أن تَحسِبَ الشَّحمَ فيمَنْ شحمُهُ ورَمُ

وما انتِفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِهِ إذا اسْتَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

---

20) ناقص من ب.

وفي **المقامات الحريرية** : قد استسمنت ذا ورَم، ونفختَ في غيْر ضَرَم.

سِمِّنْ كَلْبكَ يُجَوِّعُ أهْلَه .

السِّمَنُ ضدّ الهُزال، سَمِنَ - كَفَرِحَ - سِمَنًا وسَمانَةً، فهو سامن وسمين، وسمَّنته تسمينا ؛ والكلب كلّ سبع عقور، إلا أنَّه غلب على النَّابح المعروف ؛ والجوع معروف .

يُضرب هذا المثل في الرجل يأكل مال غيره فيسمن وينعم . وأصله أنَّ الكلب إذا وقع الـمُوتانُ والهلاك سمن هو بأكل الجيف وأهله جياع .

وقيل إن رجلا سئل رهنا فرهن أهله، ثم تمكن من أموال من رهنهم فاستاقها وترك أهله .

وحكى أبو علي البغدادي أن رجلا من أهل الشام كان مع الحجَّاج يحضر طعامه، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك . فكتبت إليه :

أتُهْدي ليَ القِرْطاسَ والخُبزُ حاجَتي ... وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطينُ !

إذا غِبْتَ لمْ تَذكُرْ صديقًا وإنْ تُقِمْ ... فأنتَ على ما في يَديْكَ ضَنينُ

فأنتَ كَكَلْبِ السُّوءِ جوَّعَ أهْلَهُ ... فَيَهْزِلُ أهْلُ البيتِ وهْوَ سَمِينُ

سَمْنُكُم في أديمكُمْ.

السَّمْنُ - بالفتح فسكون - معروف ؛ والاديمُ هنا فسَّره بعضهم بالزقّ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : الأديم هنا الطعام المأدوم، فعِيل بمعنى مَفْعُول، فيقال أديم ومَأدوم، كما يقال قَتِيل ومَقْتُول . وعلى كلّ حال فمعناه أنَّ خيرهم موقوفٌ عليهم، وفَضْلَهم راجعٌ إليهم، فيُضرب للبخيل ومن لا يتعدّاه خيره ومن ينفق على نفسه دون غيره . وقد يقال : سَمْنُكُمْ هُرِيقَ في أديمكُم، وهو معناه.

سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْكَ !

التَّسْمينُ معروف، تقدَّم ؛ والكلب مرَّ أيضًا.

وهذا مثل قديم مشهور . وقد تمثَّل به عبد اللَّه بن أُبَيّ ركنُ المنافقين في غزوة بني

المُصْطَلِقِ حيث اختصم المهاجريّ والانصاريّ، فقال ابن أبَيّ : ما نحن وهؤلاء -يعني المهاجرينَ - إلاّ كما قال الأول : **سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْكَ** ! وفيها قال : لا تُنفقوا على أصحاب محمَّد ! وقال : **لَئِنْ رجَعْنَا إلى المدينَةِ ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَ**، كما ذكر اللّه جلّ اسمه في سورة المنافقين.

ولفظ المثل، إمَّا أن يكون على معنى الاخبار كأنَّه قيل : إن سمنت كلبك أكلك، كما في الآخر : **اسْقِ أخَاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِحْ** !، أي إن سَقَيْتَه اصْطَبَحَ، وقد تقدَّم ؛ وإمَّا أن يكون إنشاء على ظاهره، كأنَّه قيل : سَمِّنْ كَلْبَكَ لِيَأكُلَكَ ! كما يقال : اضْرِبْ عَبْدَكَ يَسْتَقِمْ ! أي ليستقيم، ويكون على معنى قولهم :

لِدُوا للمَوتِ وابْنُو للخراب !

وهو أيضا راجع الى الخبر بهذا الاعتبار.وفي معنى المثل قول الشاعر :

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ حِينٍ   فلمَّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رمانِي

وكَم عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافِي   فَلمَّا قال قافِيَةً هَجَانِي !

ثمّ رأيت في **عماد البلاغة** أنّ الكلب المضروب به المثل لرجل من طَسْم، وذلك أنَّه ارتبط كلبا وجعل يشبعه اللَّبن، رجَاءَ أن يصطاد به ثمّ أبطأ عليه طعمه، فوثب على مولاه فافترسه، فصار مثلا في كفران النعمة ومجازاة المحسن بالاساءة، وفيه قيل : **سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْك** !

وقال مالك بن أسماء :

هُم سمَّنوا كَلبًا ليَأكُل بعْضَهُم   ولَو ظَفِروا بالحزمِ لم يسمَنِ الكَلْبُ !

اسْتَنَّتِ الفِصالُ حتَّى القَرْعَى !

يقال : استنّ الفَرسُ وغيرُه إذا قَمَصَ، وهو أن يرفع يديه ويضعهما معًا ويعجن برجليه ؛ والفِصال جمع فَصِيل من الابل معروف ؛ والقَرعَى جمع أقْرع، والقَرَع داء يصيب الفصلان في أعناقها، وتقدَّم تفسيره في حرف الحاء، تقول : منه قَرِعَ الفصيل بالكسر - قرعًا، فهو أقرع، والأنثى قَرعاء. ودواؤه أن ينضح الفصيل بالماء ويُجرّ في أرض سَبْخَة أو مرشوشة بملح، فتقول : قرَّعت الفصيل تقريعًا إذا فعلت به ذلك، فهو مقرَّع

قال أوْسُ بن حَجَر :

لدى كلّ أُخْدودٍ يُغادرنَ دارعًا[21] يُجَرُّكـمَا جُرَّ الفصيلُ المُقَرَّعُ

والقرعى لا يمكنها الاستنان، فيُضرب هذا المثل في الضعيف يباري القويّ، وعند تمدّح الرجل بالشيء ليس من أهله. وقد قيل إنّ اسْتَنَّتْ هنا معناه سَمِنت، من قولهم : سَنّ الراعي إبله، إذا أحسن رعيها وأسمنها، وكأنّه صقلها بذلك وزيّنها . قال النّابغة :

ضلّت حُلومُهمُ عنهُمْ وغرّهُمُ سَنُّ المُعَيْديّ في رِعْيٍ وتعزيبِ

وهو على مضربه أيضا بأن يراعى في الكلام نوع تهكّم وسخرية.

سَواءٌ عَلَيكَ هُوَ والقَفْرُ.

يُضرب للبخيل الذي لا خير عنده إذا نعت بمعنى أنّه بمنزلة القفار الممحلة . قال ذو الرمّة :

تخطّ إلى القفْر امرأَ القيسِ إنّه سواءٌ على الضّيفِ امرؤُ القيس والقفْرُ !

يُحبُّ امرؤُ القيسِ القرى أن ينالهُ[22] ويأبى مُقاريها إذا طَلَع النّسرُ

النّسْرُ : أوّل اللّيل يطلع عند شدّة البرد وكلب الزمان .

سُوءُ الاسْتِمْساكِ خَيْرٌ من [حُسن][23] الصِّرْعَةِ .

يقال : ساءَه يسوءه إذا فعل به ما يكره، والاسم منه السُّوء - بالضمّ-ويقال : استمسك به، ومسك، وأمسك، وتمسك احتبس واعتصم به، والصرع : الطرح في الأرض ؛ صَرَعَهُ صَرعًا وصَرْعَةً. والصِّرعَة - بالكسر - : النوع من ذلك، ومنه المثل . ويُروى فيه بالفتح، على معنى المرّة.

وهذا المثل يُضرب في المداراة والتودّد . قاله أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وقال : معناه لأن يزل الانسان، وهو عامل بوجه العمل و طريق الاحسان والصواب، خير من أن تأتيه الاصابة وهو عامل بالاساءة والخرق . وهذا التفسير لا يعطيه المثل ولا يدلّ عليه ولا يتمّ

21) في ب : ضارعًا.
22) في ب: الضرى بدل القرى.
23) سقطت هذه الكلمة من د، وكتب في المخطوطات الأخرى : «حمى»، والتصويب من الصحاح.

مضربه المذكور به، وإنّما معناه، كما قال غيره : لأن يستمسك، ولا يصرع، وإن كان سيّءَ الاستمساك، خير من أن يُصرع ولو صرعَةً حسنةً لا تضرّه . وهو واضح، ومضربه أيضا على هذا النحو ظاهر.

سُوءُ الاكْتِساب، يَمْنَعُ الانتِساب .

هذا ظاهر .

أساءَ سَمْعًا فأساءَ جَابَةً .

الاسَاءَةُ ضدّ الاحسان ؛ والسّمعُ تقدّم ؛ والجابَةُ اسم من الاستجابة، يقال : أجَابَهُ إجَابَةً، والاسم الجَابَة - كالطّاعَة والطّاقَة - بمعنى الاطاعة والاطاقة . قال الشاعر :

وما مَن تَهْتِفينَ بهِ لِنَصْرٍ   بِأقْربَ جَابَةً لَكِ من هَدِيلِ

يُضرب في سوء المسألة، والاجابة في المنطق، والاجابة على غير فهم . ونظمه أبو العتاهية فقال :

إذا ما لم يكُنْ لك حُسنُ فهمٍ   أسَأتَ إجابَةً فأسَأتَ سَمْعا
ولَسْتَ الدّهْرَ مُتّسِعًا لحِلٍّ   إذا ما ضِقْتَ بالانْصافِ ذَرعَا

أسَافَ حتّى ما يَشْتَكِي السّوافَ .

يقال : سَاف المالُ يَسوفُ إذا هلك ؛ والسّوافُ - كسَحاب - مُوتانٌ في الابل - وقيل بالضمّ - أو هو بالفتح في النّاس والمال، وبالضمّ مرض في الابل، ويجوز فتحه ؛ وأسافَ الرجلُ : هلك ماله . قال :

فأبَّل واسترْخَى به الخَطْبُ بعدما   أسافَ ولولا سَعْيُنا لم يُؤَبِّلِ

غيــره :

أسافَ من المالِ التِّلادِ وأعْدما

ويُضرب فيمن تعودّ الحوادث.

سالَ قَضيبٌ حَديدًا .

قَضيبٌ اسم وادٍ باليمن، وقد تقدَّم هذا وقصَّته في حرف الهمزة.
وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم في الدعاء :

سَلَّطَ اللَّهُ عليهِ الوَرَى، وحُمَّى خَيْبَرًا !

والوَرَى ـ بالتَّحريك ـ اسم، من قولك : وَرَى القيحُ جوفَهُ يَريهِ إذا أكَلَه؛وقولهم :

سَلَّهُ من كَذا سلَّ الشَّعْرَةِ من العَجِينِ .

يُحكى أنَّه، لمَّا همَّ حسَّان بن ثابت، رضي اللَّه عنه، أن يهجو أهل مكَّة، قال له النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : كَيْفَ، وأنا منْهُمْ ؟ ـ أو كما قال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ. فقال حسَّان : لأسُلَّنَّكَ سَلَّ الشعرة من العجين !

وأُتِيَ بعض الملوك، في الصدر الأوَّل، برجل وضَّاع يضع الحديث كذبًا، فقال اضربوا عنقه ! فذهبوا به ليقتلوه . فلمَّا خرجوا قال لهم : أنْظِروني حتَّى أجرِّد كلامي وأسقطه من دواوين الحديث لئلاَّ يُلبس على النَّاس ! فرجعوا إلى الملك وشاوروه، فقال لهم : اقتلوه ! فإنَّ هنا رجالا يسلّون كلامه منها سلَّ الشعرة من العجين . وقولك مثلا :

أسْلَطُ من ذِئْبٍ مُتَنَمِّرٍ.

وقولهم :

السُّؤْدَدُ مَعَ السَّوادِ.

أي إنَّما يحصل زمان الفتوَّة وسواد الشعر . ونحوه قول الحماسي :

إذا المرءُ أعْيَتْه السِّيادةُ ناشِئًا فمطْلبُها كَهْلاً عليهِ عَسيرُ

وقولك مثلا :

أسْيَرُ من المَثَلِ .

ونحو ذلك.

ومن أمثال العامّة قولهم :

اسْألِ السّائِلَ عن طِيبِ اللّبَنِ !

يضربون في المخالط الشيء المعانى له أنّه أعرف به . وقولهم :

سَخِّرِ البخيلَ يُدَبِّرْ عَلَيْكَ !

وأمّا الشعر فقالوا :

تحْسبُها حمْقاءَ وهْيِ باخِسٌ

وتقدّم في الحاء . وقال جرير :

وابنُ اللّبونِ إذا ما لزَّ في قَرنٍ ... لم يستَطِع صولَةَ البُزلِ القناعِيسِ

وتقدّم تفسير ابن اللبون والبازل، والقَرَنُ ـ بفتحتين ـ: الحَبْل يجمع فيه البعيران .

ومنه قول جرير :

أبلِغ خليفَتَنا إن كُنت لاقِيَهُ ... أنّي لَدى البابِ كالمشْدودِ في قَرنٍ !

ولَزَزْتُ البعير وغيره لَزًّا ولِزازًا، وألْزَزْتُه : شَدَدْتُه وألْصَقْته ؛ والقَناعِيسُ جمع قِنْعاس ـ بالكسر ـ وهو العظيم من الابل.

وقال الحطيئة :

من يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جوائزهُ ... لا يذهَبُ العُرفُ بين اللّه والنّاس

وقبله :

لمّا بدا ليَ منكُم عيبُ أنفُسِكُم ... ولم يكُن لِجراحي منكُمُ آسِ

أزْمَعْتُ يأسًا مُريحًا من نوالكُمُ ... ولن ترى طاردًا للحُرِّ كالياسِ[24]

جارًا لقَومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ ... وغَادروهُ مُقيمًا بَينَ أرْمَاسِ

مَلّوا قِراهُ وهَرّتْهُ كِلابُهُم ... وجَرّحُوهُ بأنْيابٍ وأضْراسِ

دعِ المكارِمَ لا ترحَلْ لبُغْيَتِها ... واقْعُد فإنّكَ أنتَ الطّاعِمُ الكاسي

24) سقط في النسخ بيت بعد هذا، وهو :

ما كان ذنب بَغيضٍ أن رأى رجُلاً ... ذا فاقةٍ حلَّ في مُسْتَوعِرٍ شَاسِي

مَن يفْعَلِ الخيرَ... (البيت)

وخاطب بهذا الشعر الزّبْرقانَ، وعليه سجنه أمير المؤمنين عمر، رضي اللّه عنه.

وقال زَيْدُ الخيل :

أُقاتِلُ حتّى لا أرى لي مُقاتِلاً   وأنْجو إذا لم ينْجُ إلاّ المُكيِّسُ

يُروى مقاتِلا بكسر التّاء، وبفتحها على معنى موضع القتال.

وقال أوس بن حجر :

وليس فرارُ اليوم عارًا على الفتى   إذا عُرفَت منهُ الشّجاعةُ بالامْسِ

ومثلهما قول عمرو بن معدي كرب :

ولقد أجْمَعُ رجْلَيَّ بها   حَذرَ الموتِ وإنّي لَفَرورُ

ولقَد أعْطِفُها كَارهَةً   حِينَ للقومِ من الموتِ هريرُ[25]

آخر :

رُبَّ مَغْروسٍ يُعاشُ بِهِ   عَدِمَتْهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهْ

وكذاكَ الدّهْرُ مأتَمُهُ   أقْربُ الاشْياءِ من عُرُسِهْ

المأتَمُ ـ بالتّاء المثنّاة من فوق، على وزن مَقْعَد ـ كلّ مجتمع في حزن أو فرح، وقيل خاصّ بالنساء، وقيل بالشوا ب . وأُطلق هنا على مجتمع الحزن . وأمّا المأثم ـبالثّاء المثلّثة ـ فهو فعل ما لا يحلّ كالاثم ؛ والعُرُس ـ بضمّتين ـ : طعام الوليمة . قال الراجز :

إنّا وجَدنا عُرُسَ الحَنّاطِ   لَئيمَةً مَذمُومَةَ الحُوّاطِ[26]

ويخفّف . والعَرْس ـ بالفتح ـ : الاقامة في الفرح، والعَمُود في وسط الفسطاط ؛ والعَرَس ـ بفتحتين ـ: الدّهَش ؛ والعِرْس ـ بالكسر ـ: زوج الرجل، ولبؤة الأسد، وزوج المرأة أيضا . وأمّا العَروس فوصف يقع على الذكر والأنثى، ما داما في أعراسهما.

والمعنى أنّ حزن الدّهر قريب من فرحه، كما أنّ فرحه قريبٌ من حزنه ؛ وكذا الصحّة والعافية والضيق والسعة ونحو ذلك.

---

25) في د : جرير.

26) تمامه ـ كما في لسان العرب : تُدْعَى من النسّاج والخيّاط .

وقال الآخـــر :

إن كُنت لا تُرجى ولا تُتَّقى فأنتَ كالمَيِّتِ في رَمْسِهِ

ونظمها ابن شرف فقال :

إن لم تضُرَّ ولم تنفَعْ فكُن حَجرًا أو ميِّتًا عن أمورِ العيشِ مشْغولاَ

وقال صالح بن عبد القُدُّوس :

وإنَّ من أدَّبْتَهُ في الصِّبَا كالعُودِ يُسْقَى الماءَ في غَرسِهِ
حتَّى تراهُ ناضِرًا مُونِقًا بعد الَّذي أبْصَرتَ مِن يُبْسِهِ
والشَّيخُ لا يَتْرُكُ أخْلاقَهُ حتَّى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِهِ

ونظم هذا الأخير ابن شرف فقال :

ومن يعِش وهو مَطْبوعٌ على خُلُقٍ لاقى بهِ التُّربَ مضْمومًا ومنقولاَ

وقال الآخـــر :

من يزْرعِ الخيرَ يحْصَدْ ما يُسرُّ به وزارِعُ الشَّرِّ منكُوسٌ على الرَّاسِ

وقال الآخـــر :

ما أقْبَحَ الكَذِبَ المَذمومَ صاحِبُه وأحْسنَ الصِّدقَ عندَ اللَّهِ والنَّاسِ !

وقال العبَّاس بن الاحنف :

وما مرَّ يومٌ أرتَجي فيه راحَةً فأخْبُرُهُ إلاَّ بكَيتُ على أمْسِ

ولمحمـــود :

أخو البِشْر محْمودٌ على كُلِّ حالةٍ ولن يعْدمَ البَغْضاءَ من كان عابسا
ويُسرعُ بُخْلُ المرءِ في هتْكِ عِرضِهِ ولم أرَ مثلَ الجودِ للعِرضِ حارسًا

غيـــره :

يا حبَّذا الوحْدَةُ من أنيسِ إذا خشيتَ من أذَى الجَليسِ !

غيـــره :

لا تترُكِ الحزمَ في أمْرٍ تُحاذِرُه فإن أصَبتَ فما في الحزمِ من باس !
العجْزُ ضُعْفٌ وما بالحزمِ من ضررٍ وأحْزمُ الحزمِ سُوءُ الظَّنِّ بالنَّاس

غيـــره :

وما نكَّدَ الدُّنيا على طيبِ ظلّها وقُربِ حِماها العذبِ شيءٌ سوى الإِنس؟

غيـــره :

ياراكبَ الفرسِ السَّامي بغُـرَّتِـهِ ولابِسَ السَّيفِ يحْكي لونَـهُ القبسُ

لا أنت تبقى على سيفٍ ولا فرسٍ وليس يبقى عليكَ السَّيفُ والفَرسُ !

غيـــره :

أقولُ له حينَ ودَّعتُهُ وكُلٌّ بعَبْرتِهِ مُلْبَسُ :

لـئنْ رجَعَت عنْكَ أجْسامُنا لقَد سَافَرتْ معَك الانفُسُ !

وللخنســاء :

ترى الأمورَ سواءً وهْيَ مُقْبِلَةٌ وفي عواقِبِها تِبْيانُ ما التَبَسا

ترى الجَليسَ يقولُ القولَ تحْسبُهُ نُصْحًا وهيهاتَ ما نُصحًا به التمسا[27]

ويُحكى أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه استنشدها فأنشدته هذا الشعر، فقال لها: أنت أشعر كلّ ذات هَنٍ ! فقالت : وكلّ ذي خُصْيَيْن !

قيل : وكان بشَّار يقول : ما قالت امرأة شعرا إلاّ ظهر عليه الضعف . فقيل له : حتَّى الخنساء ؟ فقال : لا ! تلك لها أربع خُصى !

غيـــره :

تَعبٌ يدومُ لِذي الرَّجاءِ مع الهَوَى خَيْرٌ لهُ مِن راحَةٍ في اليَاسِ

وهذا خلاف ما طلب امرؤ القيس في قوله :

أماويَّ هل لي عندكُم من مُعَرَّسٍ أمِ الصَّرمَ تخْتارينَ بالوصْلِ نيأسِ ؟

أبيني لنا، إنَّ الصَّريمةَ راحَةٌ من الشَّكّ ذي المخْلوجَةِ المتلبِّسِ

لكن طلب البيان من طول الفجر، ولا يقتضي أن يكون التأييس خيرا من الترجية.

غيـــره :

ثَنيتُ عزمي عنِ الدُّنيا وساكِنِها فأسْعَدُ النَّاس من لا يعْرِفُ النَّاسا

غيـره :

جَفَوتُ أُناسًا كُنت آمُلُ قُربَهُم وما بالجَفا عنْدَ الضَّرورةِ من بَاسِ

27) في ب : نصحًا وواللَّه ما نصحًا به التَمَسا

غيــــره :

حِفْظُ اللّسانِ سَلامَةٌ للرّأسِ والصَّمتُ عِزٌّ في جميعِ النّاسِ

غيــــره :

رأيْتُكِ لا تهْوَيْنَ إلاّ دراهِمِي عليكِ سلامُ اللّهِ قد نفِد الكِيسُ !

غيــره :

صَدرُ المجالِس حيثُ حَلّ لبيبُها فكُنِ اللّبيبَ وأنْت صَدرُ المَجلِس !

غيــــره :

ضَحوكُ السِّنِّ إن نطَقوا بخَيْرٍ وعنْد الشَّرِّ مِطْراقٌ عَبُوسُ

غيــــره :

قالوا : نفوسُ الدّارِ سُكّانُها وأنتُمُ عندي نُفوسُ النُّفوسِ !

غيــره :

لَولا مَحَبَّتُكم لما عاتَبْتُكُم°[28] ولكُنتُم عندي كبَعْضِ النّاسِ

غيــــره :

لو نَظَرَ النّاسُ لأحْوالهِمْ لاشْتَغَلَ النّاس عن النّاسِ

غيــــره :

ما أقْبَحَ النّاسَ في عيني وأسْمجَهُم إذا نظَرتُ ولم أُبصِركَ في النّاسِ !

غيــــره :

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تُدنّسَهُ وثَوبُ جِسمِكَ مغسولٌ من الدّنَسِ؟

غيــره :

ما هَذهِ أوّلُ ما مَرَّ بِي كَم مِثْلِها مَرَّ على رأْسِي !

غيــــره :

مَنْ لاَ رأى مِصْرًا ولا أهْلَهَا فَلا رأى الدُّنيا ولا النّاسَا

غيــــره :

نسيتَ مودّتي أنْ طال عهْدي نعَم! قد قيلَ: طولُ العُمرِ يُنسي!

---

28) في غير ب : عَتبتكم

غيــره :

وما من هالِكٍ في النّاس إلاّ ... ورأسُ هلاكِهِ طَلبُ الرِّياسَهْ

وقال أبو تمّام :

ما في النُّجومِ سوى تعِلَّةِ باطلٍ ... قدُمَتْ وأُسِّس إفْكُها تأسيسَا

إنَّ الملوكَ هُمُ كواكِبُنا الّتي ... تخْفى وتطْلُعُ أسْعُدًا ونحُوسَا

ومنهــا :

لو أنَّ أسبابَ العفافِ بلا تُقى ... نفَعتْ لقَد نَفَعتْ إذًا إبْليسا !

وقال أيضــا :

والدَّمعُ فيهِ خاذِلٌ ومُواسِي

ومنهــا :

لا تَنسَيَن تلكَ العُهودَ فإنّما ... سُمِّيت إنسانًا لأنَّكَ ناسِ

وقال أيضــا :

أرى ألفاتٍ قد كُتِبنَ على رأسِي ... بِأقْلامِ شَيْبٍ في مهارِقِ أنْقاسِي

فإن تَسألِيني من يخُطُّ حُروفَها ... فكفُّ اللّيالي تَستمِدُّ بأنْفاسِي

جَرت في قُلوبِ الغانياتِ لِشيبَتي ... قُشَعْريرةٌ من بعد لينٍ وإيناسِ

وقد كنتُ أجري في حَشاهُنَّ مرّةً ... مجاري صافي الماءِ في قُضُبِ الآسِ

فإنْ أُمْسِ من حَظِّ الكواعِبِ آيسًا ... فآخِرُ آمالِ العِبادِ الى اليَاس !

وقال الآخــر :

الكَلبُ أعلى قيمــــةً ... وهْوَ النِّهايَةُ في الخَسَاسَهْ

مِمَّنْ يُنازِعُ في الرِّئاسَةِ ... قَبْلَ أوقاتِ الرِّئـاسَهْ

غيــره :

اسْتودَعَ العِلْمَ قِرطَاسًا فضيَّعَهُ ... وبِئسَ مُستودَعُ العِلمِ القَراطيسُ!

قال أبو علي البغدادي في نوادره : وسمع يونس رجلا ينشد هذا البيت فقال : قاتله اللّه ! ما أشدَّ صبابته بالعلم وصيانته للحفظ ! إنَّ علمك من روحك ومالك من بدنك، فصُنْ علمك صيانة روحك، ومالك صيانتك بدنك.

وقال محمَّد بن إبراهيم يخاطب بعض أهله :

أظُنُّكَ أطْغَاكَ الغِنى فنَسيتَنِي ... ونفسُكَ والدُنيَا الدَّنِيَّةُ قَد تُنسي

فإن كُنتَ تَعلو عند نفْسكَ بالغِنى ... فإنِّي سَيُعلِيني عليكَ غِنى نفسي

وقال أعرابي سأل آخر حاجة، فتشاغل عنه :

كَدحْتُ بأظْفاري وأعْمَلْتُ مِعْولَي ... فَصادفْتُ جُلْمودًا من الصَّخْرِ أمْلَسا

وأقْبَلتُ أن أنْعَاهُ حتَّى رأيْتُهُ ... يفوقُ فُواقَ الموتِ ثمَّ تنفَّسا

تشاغَلَ لمَّا جِئْتُ في وجْهِ حاجَتِي ... وأطْرقَ حتَّى قُلتُ : قد ماتَ أو عَسَا

فقُلتُ لهُ : لا بَأسَ لسْتُ بِراجِعٍ ... فأفْرخَ تَعْلُوهُ السَّمادِيرُ مُبْلِسَا

السَّمادِيرُ : ما يتراءى للانسان عند السكر.

غيــــره :

لئن درسَتْ أسْبابُ ما كان بيْنَنا ... من الوُدِّ ما شَوقِي إليكَ بِدارِسِ

وما أنا مِنْ أنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيننا ... على خَيرِ ما كُنَّا عَليهِ بآيِسِ

وقال أحد بني شيبان :

وما أنا من ريْبِ المنونِ بِجبَّأٍ ... وما أنا مِن سَيْبِ الالهِ بِآيِسِ

يقال : جبأ عن كذا يجبأ عنه، إذا هابَه، ورجل جبَّأٌ .

وقال مهلهل :

نُبِّئْتُ أنَّ النَّار بَعْدكَ أوقِدتْ ... واستَبَّ بعْدكَ ياكُلَيبُ المجْلِسُ

وتكلَّمُــوا في أمْرِ كُلِّ عظيمةٍ ... لو كُنْتَ حاضِرَ أمْرهِم لم ينبِسوا !

قوله «المجلس» أي الجالسون، والنَّبْسُ : النُّطْقُ، يقال : نَبَسَ فلانٌ.

غيــــره :

والشَّيبُ إن يحْلُلْ فإنَّ وراءهُ ... عُمُرًا يكونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ

لم ينْتَقِصْ منِّي المشيبُ قُلامَةً ... الآنَ حينَ بَدا ألبُّ وأكْيَسُ

ومثله، في مدح الشيب، قول الآخر :

لا يرُعْكِ المشيبُ يابْنَةَ عبدِ ... اللَّهِ، فالشَّيبُ حُلَّةٌ ووقارُ

إنَّما يحْسُنُ الرِّياضُ إذا ما ... ضَحِكتْ في خِلالِها الأنْوارُ !

وسنذكر بعدُ ما قيل في الشيب، إن شاء اللّه.

وقالت الخنساء :

ولولا كثْرةُ الباكِينَ حَولِي ... على إخْوانِهم لقَتَلْتُ نَفْسي!

وقالت أيضـا :

وما يبْكونَ مثل أخي ولكِن ... أُعَزّي النَّفسَ عنهُ بالتَّأسّي

وهذان البيتان من قطعة لها تعارض فيها دُرَيْد بن الصِّمَّة، وكان دريد خطب الخنساء، في حياة أخويْها . فأراد أخوها معاوية أن يزوّجها، وكان أخوها صخر غائبا في غزاة له، فأبت وقالت : لا حاجة لي به ! فأراد أن يكرهها، فقالت :

تُباكِرِني حُمَيدةُ كُلَّ يومٍ ... بما يُولِي مُعاويةُ بنَ عمْرٍو

فإلاَّ أعْطَ من نفْسي نَصيبًا ... لقَد أودى الزَّمانُ إذًا بصَخْرٍ

أتُكْرِهُني هَبِلتَ على دُرَيْدٍ ... وقد أَحرمْتُ سيِّد آلِ بَدرِ

معاذ اللهِ يرصعُني حبْركَى ... قصيرُ الشِّبرِ من جُشَم بن بكر[29]

يَرى مجْدًا ومكْرمَةً أتَاهَا ... إذا عَشَّى الصَّديقَ جريم تَمْرِ

الحبركي : القصير الرجلين، الطويل الظهر ؛ والقصير الشبر : القليل الخير والعطاء . فقال دريد :

لِمن طَلَلٌ بِذاتِ الخمسِ أمسى ... عَفا بين العَقيقِ فَبَطنِ طِرسِ ؟

أشبهها غمامة يوم دجن ... تلألأ برقها أو ضوء شمس ؟

فَأقسِمُ ما سَمِعْت كَوجْدِ عَمْرٍو ... بِذات الخال من جنٍّ وإنس

وقاك الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالي ونفسي

فَلا تَلِدِي ولا يَنْكِحْكِ مِثْلِي ... إذا ما لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْسِ

وقالت إنَّهُ شَيْخٌ كبيرٌ ... وهَل خبَّرتُها أنّي ابنُ أمْسِ ؟

تريد أفيحج الرجلين شَثْناً ... يقلع بالجَدِيرَةِ كل كرس

اذا عقب القدور عددن مالا ... أحب حلائل الابرام عرس

وقد علم المراضع في جمادي ... إذا استعجلن عن حز بنهس

بِأنّي لا أبيتُ بغَيرِ لحْمٍ ... وأبْدأ بالأرامِلِ حِينَ أُمْسِي

29) في لسان العرب : معاذ الله ينكحني حبركى.

وأنّي لا يَهـرُّ الضَّيْـفَ كَلْبـي ولا جـاري يبيتُ خبيثَ نفْـسِ
واصفـر من قـداح النبـع فـرع بـه علمـان مـن عقب وضـرس
دفعت الى المفيـض إذا استقلـوا على الركيـات مطلـع كل شمـس
فلمَّا مات صخر قالت الخنساء تعارض دريدا في كلمته :

يُؤرِّقُني التّذكُّرُ حينَ أُمْسِي ويَردَعُني مَعَ الأحْزانِ نُكْسِي
على صخْرٍ، وأيُّ فَتًى كَصَخْرٍ ليَومِ كَريهةٍ وطِعانِ خَلْسِ
وعانٍ طارقٍ أو مُسْتَضيفٍ يُروَّعُ قَلْبُهُ من كُلِّ جِرْسِ
ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِجِنٍّ ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِإنْسِ
أشَدَّ على صُروفِ الدَّهْرِ منهُ وأفْضَلَ في الخُطُوبِ لِكُلِّ لُبسِ
ألا يا صخْرُ لا أنْساكَ حتَّى أُفارِقَ مُهْجَتي ويُشَقَّ رمْسِي !
ولولا كثْرةُ الباكِينَ حَوْلِي على إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
ولكن لا أزَالُ أرَى عجولا تُساعِدُ نَائِحًا في يومِ نحْسِ
تُفجِّع والِهًا تبكي أخاها صَبيحَةَ رَزْئِهِ أو غِبَّ أمْسِ
يُذكِّرني طُلوعُ الشَّمس صخْرًا وأبْكيهِ لكُلِّ غُروبِ شَمْسِ
وقال أبو علي، عن ابن دريد : طلوع الشمس للغارات وغروبها للضيفان .
وقال الآخـر :

تقوَّسَ بعد مرِّ العُمْرِ ظَهْري وداسَتْني اللّيالي أيَّ دَوسِ
فأمْشي والعصا تَهْوِي أمامي كأنَّ مُواءَها وتَرٌ لِقَوسِي
ونحوه لآخـر :

قوَّسَ ظهْري المشيبُ والكِبَرُ والدَّهْرُ يا عَمْرُو كُلُّهُ غِيَرُ
كأنَّني والعَصَا تَدِبُّ مَعِي قَوسٌ لها وهْيَ في يَدي وتَرُ
غيـره :

إذا تمنَّيتَ بِتَّ اللّيلَ مُغْتَبطًا إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليسِ
غيـره :

اللّهُ يعْدِلُ والآمالُ كَاذِبَةٌ وكُلُّ هَذا المُنى في القَلْب وسواسُ

ومثله لحبيب :

من كان مَرعى عَزْمِهِ وهُمومِهِ ... روْضَ الأماني لم يَزَلْ مَهْزولاَ

ولغيـــره :

مُنـّى إن تكُن حقّا تكُن أحْسنَ المُنى ... وإلاّ فقَد عِشْنا بها زَمَنـًا رَغْدًا

ولمسلم :

لَولا مُنى العَاشقِيـنَ ماتـُوا ... غَمّا وبعْضُ المُنَى غُـرورُ

وقال الصابئ :

وكم مِن يدٍ بيضاءَ حازَت جمالَها ... يَدٌ لك لا تسْوَدُّ إلاّ من النِّقْسِ

إذا رَقَشَتْ بيضَ الصَّحائِفِ خِلتَها ... تُطَرِّزُ بالظَّلْماءِ أردِيَةَ الشَّمْسِ !

ابن المعتـــز :

إنّي إذا لم أجِد يومًا مُراسَلَةً ... وضَاقَ بي مُنتهى أمْرِي ومُلتمَسِي

لمُرسِلٌ عَبْرَةً في إثْرِها نَفَسٌ ... يا ليتَ شِعْرِيَ هل ياتيكُمُ نَفسي ؟

وقال أبو محمَّد الحريري، رحمه اللّه تعالى :

جَزيتُ مَن أعْلَقَ بي وُدَّهُ ... جَزاءَ من يبني على أُسِّهِ

وكِلتُ للخِلِّ كما كالَ لي ... على وفاءِ الكَيْلِ أو بَخْسِهِ

ولم أُخَسِّرْهُ وشَرُّ الوَرى ... مَن يومُهُ أخْسَرُ من أمْسِهِ

وكُلُّ مَن يَطلُبُ عِندي جَنَى ... فمالَهُ إلاّ جَنَى غَرسِهِ

لا أبْتَغي الغَبنَ ولا أنْثَني ... بصَفْقَةِ المغْبونِ في حِسِّهِ

ولستُ بالمُوجِبِ حقّا لِمن ... لا يُوجِبُ الحقَّ على نفْسِهِ

ورُبَّ مَذّاقِ الهَوى خالَني ... أصْدُقُهُ الوُدَّ على لَبْسِهِ

وما دَرَى مِن جَهْلِهِ أنَّني ... أقضي غَريمي الدَّيْنَ من جِنسه

فاهجُر من استغْباكَ هجْرَ القِلى ... وهَبْهُ كالملْحودِ في رمْسِهِ

والْبَس لمَن في وصْلِه لُبْسةٌ ... لباسَ مَن يَرغَبُ في أُنْسِه

ولا تَرجُ الوُدَّ ممَّنْ يَرَى ... أنّكَ مُحْتاجٌ إلى فَلْسِهِ !

وله أيضـــا :

حيارى يميدُ بِهِم شجْوُهُـمْ كأنَّهُـمُ آرتَضَعوا الخَندريسَـا
أسالوا الغُروبَ وعَطُّوا الجُيُوبَ وصَكُّوا الخُدودَ وشجُّوا الرُّؤوسا

وله أيضـا :

لعَمرُك ما الانسانُ إلاّ ابنُ يومِهِ على ما تجلَّى يومُهُ لا ابنُ أمْسِهِ
وما الفخْر بالعظْمِ الرَّميمِ وإنَّما فخارُ الَّذي يبغي الفخارَ بنفسِهِ !

وقال أيضـا :

لبِستُ لكُلِّ زمانٍ لَبُوسَـا ولابَسْتُ صَرْفَيهِ نُعْمَى وبُوسَا
وعاشَرتُ كُلَّ جَليسٍ بِمَا يُلائِمُهُ لأرُوقَ الجَلِيسَـا
فَعِنْدَ الرُّواةِ أُديرُ الكَلامَ وبينَ السُّقاةِ أديرُ الكُؤوسَا
وطَورًا بوعْظي أُسيلُ الدُّموعَ وطَورًا بلهْوي أسُرُّ النُّفوسا
وأقْري المسامِعَ إمَّا نَطَقْتُ بيانًا يقودُ الحَرونَ الشَّموسَا
وإن شِئْتُ أرعَفَ كَفِّي اليراعَ فَساقَطَ دُرًّا يُحلِّي الطُّروسا
وكم مُشْكلاتٍ حَكَينَ السُّهَا خفاءً فصِرنَ بِكشْفي شُموسَا
وكَم مُلَحٍ لي خَلَبْنَ العُقُولَ وأسْأرنَ في كُلِّ قلْبٍ رسِيسَا !
وعَذْراءَ فُهْتُ بها فانْثَنَى عَلَيها الثَّناءُ طَليقًا حَبيسَا
على أنَّني من زماني خُصِصتُ بكيْدٍ ولا كَيْد فِرعَونٍ مُوسَى
يُسعِّرُ لي كُلَّ يومٍ وغًى أطا من لظاها وطيسًا وطيسَا
ويَطرُقُني بالخُطُوبِ الَّتي يُذِبْنَ القُوى ويُشِبنَ الرُّؤوسَا
ويُدني إليَّ البعيدَ البَغيضَ ويُبْعدُ عنِّي القريبَ الأنيسَا
ولَـولاَ خَسَـاسَةُ أخْلاقِهِ لما كانَ حظِّيَ منْهُ خَسيسَا

وقال أيضـا :

وليسَ كُفْءَ البَدرِ غيرُ الشَّمسِ

ومنهـا :

والفقرُ يُلجي الحُرَّ حينَ يُمْسي إلى التَّجلِّي في لباسِ اللَّبْسِ

ولـه :

مـا لي مَقَــرٌّ بِـأرضٍ ولا قَــرارٌ لِـعَـنْـسِـي

يَومــًا بنَجْــدٍ وَ يومــًا بِالشَّـامِ أُضْحِـي وأُمْسِـي

أُزجِـي الزَّمـانَ بِقُـوتٍ مُنَغَّــصٍ مُـسْـتَـخَــسٍّ

فَــلا أبِـيتُ وعِـنْـدِي فَلْسٌ ومَن لِـي بِفَلْـسٍ ؟

ومَن يَعِشْ مِثْلَ عَيْشِي بَاعَ الحَيَاةَ بِبَخْسٍ !

غيـــره :

لا يصْعُبَنَّ عليكَ في طَلَبِ العُلاَ طُولُ التَّنقُّلِ أو فِراقُ المكْنِسِ

فالبَدرُ لو لَم ينتقِلْ عن بُرجِهِ ما كانَ يُعرَفُ نُورُهُ في الحِنْدِسِ

والخَمْرُ يُحْجَبُ نُورُها في دَنِّهَا وتَروقُ مَهْما نُقِّلَت للأكْؤُسِ

وقال ابن المرزبان :

كَمْ ليلةٍ أحْيَيتُها ومُؤانِسِي طُرفُ الحديثِ وطيبُ حثِّ الأكؤُسِ

شبَّهْتُ بَدرَ سَمائِها لمَّا دنَتْ منهُ الثُّريَّا في مُلاءةِ سُنْدُسِ

ملِكًا مهِيبًا قاعدًا في روضةٍ حيَّاهُ بعضُ الزَّائرينَ بنَرجِسِ

غيـــره :

ولم أدخُلِ الحمَّامَ يومَ فِراقِهم لأجْلِ نعيمٍ قدْ رضِيتُ ببُوسي

ولكن لِتَجْري عَبْرةٌ مُطْمئنَّةٌ فأبْكي ولا يَدري بِذاكَ جَليسي

غيـــره :

تَذكَّرْ أخي إن فرَّق الدَّهرُ بيننا أخًا في هواكَ الآن أصبحَ أو أمْسَى

ولا تنْس بعْد البُعْدِ حقَّ مودَّتي فَمثلي لا يُنسَى ومِثلُكَ لا يَنسَى !

غيـــره :

أدِرْها على أمْنٍ ولا تخْشَ من باسٍ وإن خدَّدتْ آذانُها ورقَ الآسِي

وما هي إلاَّ ضاحكاتُ غمائِمٍ لواعِب من ومْضِ البُروقُ بمقْباسِ

ووفْدُ رياحٍ زعْزعَ النَّهْرَ مرَّةً كما وَطِئَتْ درعًا سنابكُ أفْراسِ

غيـــره :

بلدٌ أعارتْهُ الحمامةُ طَوقَها وكساهُ ريشَ جَناحِهِ الطَّاووسُ

فكأنَّما الأنْهارُ فيهِ مُدامَةٌ		وكأنَّ ساحاتِ الدِّيارِ كُؤوسُ

غيـــره :

أكْرهُ أن أدنُوَ من داركُمْ		لأنَّنِي أخْشَى عَلى نَفْسِي
ضِرسِي طَحُونٌ وعلى خُبزكُم		مِن أكل مِثْلِي آيَةُ الكُرسِي
هُوَ الَّذي أقْعَدني عَنْكُمْ		فكيفَ أمْشي ومَعِي ضَرسِي ؟

غيـــره :

أفْرطَ نِسْياني إلى غَايَةٍ		لم يَدعِ النِّسْيانُ لي حِسًّا
فصرتُ مَهْما عَرضَت حاجَةٌ		مُهمَّةٌ ضمنتُها الطِّرسَا
وصِرتُ أنْسى الطِّرسَ في راحَتي		وصِرتُ أنْسَى أنَّني أنْسى !

غيـــره :

عليَّ ثيابٌ دونَ قيمتِها الفلْسُ		وفيهِنَّ نفسٌ دونَ قيمتِها الانْسُ
فثَوبُكَ مثلُ الشَّمسِ من دونِها الدُّجا		وثوبيَ مثلُ الغيمِ من تحتِهِ الشَّمسُ!

وقال أبو الطيب :

ألذُّ من المُدامِ الخَنْدريسِ		وأحْلَى من مُعَطَاةِ الكُؤوسِ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ والعَوالِي		وإقْحامي خَميسًا في خَميسِ
فموتِي في الوغَى عيْشي لأنِّي		رأيتُ العيْشَ في أربِ النُّفوسِ !

وقال أيضا يخاطب محمَّد بن زريق الطرسوسي :

إنِّي نَثَرتُ عليك دُرًّا فانْتَقِد		كثُرَ المُدلِّسُ فاحْذرِ التَّدْليسَا !

ومنهـــا :

خيرُ الطُّيورِ على القُصُورِ وشَرُّها		يَأوِي الخَرابَ ويسكُنُ النَّاوُوسَا
لو جادتِ الدُّنيا فدتْكَ بنَفْسِها		أو جَاهَدتْ كُتِبَتْعليكَ حَبيسا[30]

وقال أيضـــا :

أنْوكُ من عَبدٍ ومن عِرسِهِ		مَن حكَّمَ العَبْد على نفْسِهِ
وإنَّما يُظْهِرُ تحْكيمُهُ		تَحكُّمَ الافْسادِ في حِسِّهِ

---

30) في الديوان : لو جادت الدنيا فدتك بأهلها

ما مَن يَرى أنَّكَ في وِعْدِهِ ... كَمَن يَرى أنَّكَ في حَبْسِهِ

العبدُ لا تفضُلُ أخْلاقُهُ ... عَن فَرجِهِ المُنْتِنِ أو ضِرسِهِ

لا يُنْجِزُ الميعادَ في يومِهِ ... ولا يَعِي ما قالَ في أمْسِهِ

وإنَّما تحْتالُ في جَذْبِهِ ... كأنَّكَ المَلاَّحُ في قَلْسِهِ

فَلا تُرَجِّ الخيرَ عندَ آمْرِئٍ ... جَالت يَدُ النخَّاسِ في رأسِهِ[31]

وإن عراكَ الشَّكُّ في نفسِهِ ... بحالِهِ فانظُر إلى جِنْسِهِ !

وقال أبو العلاء المعريّ :

لا يوهِمنَّكَ أنَّ الشِّعر لي خُلُقٌ ... وأنَّني بالقوافي دائمُ الأنَسِ

فإنَّما كان إلمامي بساحَتِها ... في الدَّهرِ إلمامَ طَيرِ الماءِ بالعَلَس

العَلَسُ : حَبٌّ معروف، وطير الماء لا تأكل الحبوب، وإنَّما تصطاد السمك الصغار . وأراد بذلك التبرئة من قول الشعر .

وقال أسقف نجران :

منعَ البقاءَ تقلُّبُ الشَّمسِ ... وطلوعُها من حيثُ لا تُمْسي

وطلوعها حَمْراءَ صافِيَةً ... وغُروبُها صَفْراءَ كالوَرْسِ

تجْري على كَبِدِ السَّماءِ كما ... يجري حِمامُ الموتِ في النَّفْس

لطيفة : حدَّث بعض الأدباء عن الأصمعي قال : حضرت مجلس الرشيد، وعنده مسلم بن الوليد، [إذ] دخل أبو نواس فقال له : ما أحدثتَ بعدنا ؟ يا أبا نواس ! فقال : يا أمير المؤمنين، ولو في الخمر ؟ فقال : قاتلك اللّه، ولو في الخمر ! فأنشده :

يا شَقيقَ النَّفسِ من حَكَمِ ... نِمْتَ عن ليْلى ولم أنَمِ !

وفيها قوله :

فتمشَّتْ في مفاصِلِهِم ... كتمَشِّي البُرءِ في السَّقَمِ

حتَّى أتى على آخرها . فقال : أحسنت ! يا غلام، أعطه عشرة آلاف وعشر خلع ! فأخذها وخرج . فلمَّا خرجنا من عنده قال مسلم بن الوليد : ألَم تريا أبا سعيد إلى الحسن بن هانئ كيف سرق من شعري وأخذ به مالا وخلعا ؟ فقلت : وأيّ معنى سرق ؟ قال : قوله :

31) في الديوان أيضًا : مرَّتْ يد النَّخَّاس في رأسه

فَتَمَشَّتْ في مَفَاصِلِهِمْ... (البيت). فقلت : وأيّ شيء قلت ؟ قال : قلت :

غرّاءُ في فَرعِهَا لَيلٌ على قَمَرٍ ... على قَضِيبٍ على غُصن النّقا الدّهِس
أذكى من المَسْكِ أنفاسًا وبهْجتُها ... أرقُّ ديباجَةً من رقّةِ النّفَس
كأنَّ قلبي وشاحاها إذا خَطَرت ... وقلبَها قلبُها في الصَّمت والخرَسِ
تجري محبتُها في قلبِ وامِقِها ... جرْيَ السُّلافَةِ في أعْضاءِ مُنْتَكِسِ

فقلت : ممَّن سرقت أنت هذا المعنى ؟ فقال : لا أعلم أنني أخذته من أحد . فقلت : بلى ! من عمر بن أبي ربيعة، حيث يقول :

أما والرّاقصاتِ بِـذاتِ عِـرقٍ ... وربٍّ البيت والرُّكْـن العَتيقِ
وزمْـزمَ والطّـوافِ ومشْعَريْها ... ومُشْتاقٍ يحنُّ الى مشُوقِ
لقد دبَّ الهوى لَكِ في فُؤادي ... دبيبَ دمِ الحياةِ الى العُروقِ !

قال : ممَّن سرق عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : من بعض العذريّين، حيث يقول :

وأُشربَ قلبي حُبَّها ومَشى به ... كمشْيِ حميمِ الكأس في عقلِ شاربِ
ودبَّ هواها في عِظامي وحبها ... كما دبَّ في الملسوعِ سُمُّ العقاربِ

فقال لي : ممَّن أخذ هذا العذريّ ؟ قلت : من أسقف نجران ـ يعني السَّابق ـ.

وقال أبو الفتح البستيّ :

يا أكْثر النّاس إحْسانًا إلى النّاس ... وأكرمَ النّاس إغْضاءً عن النّاسي
نسيتُ عهدكَ والنّسيانُ مُغْتَفَرٌ ... فاغْفِرِ فأوّلُ ناسٍ أوّلُ النّاسِ !

وقال مسلم بن الوليد في تفضيل الورد :

كم من يدٍ للوردِ مَشْهورةٍ ... عِنْدي وليسَتْ كَيَدِ النّرجِسِ
الوردُ يأتي ووجُوهُ الرُّبَى ... تضْحَكُ عن ذي بَردٍ أمْلَسِ
وقد تحلَّت بعُقودِ النّدى ... ثابتَةً في الأرضِ لم تُغْرسِ
ولن ترى النّرجِسَ حتّى ترى ... روضَ الخُزامَى رثّةَ المَلْبَسِ
وتُخْلِقَ النّكْباءُ ما جَدّدتْ ... أيْدي الغَوادي في سَنا السُّنْدسِ
هُناكَ يأتيكَ غَريبًا على ... شَوقٍ من الأعْيُنِ والانْفُسِ

غيـره :

من أحْسن الظّنَّ بأعْدائِهِ تجرَّعَ الهمَّ بِلا كَاسِ

قال الصفدي : ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت : مَن أحْسَنَ الظّنَّ بِأحْبابِهِ، ولم أقل : بِأعْدائِهِ.

وللّه درّ القائل :

جَزى اللّهُ خيراً كُلَّ من ليس بيننا ولا بينَهُ وُدٌّ ولا مُتعرَّفُ
فَلا نالَنى ضيْمٌ ولا مسَّني أذّى مِن النَّاس إلاّ من فتّى كنت أعرفُ !

وقال : يقال إنّ رجلا كان على عهد كسرى يقول : من يشري ثلاث كلمات بألف ؟ ولا يجد، إلى أن اتصل بكسرى، فأحضره وسأله عنها فقال : ليس في النَّاس كلّهم خير . قال : صدقت ! ثمّ ماذا ؟ فقال : ولابدّ منهم ! قال : صـدقت ! ثمّ ماذا ؟ قال : فالبسهم على حذر ! فقال قد استوجبت المال، فخذه ! قال : لا حاجة لي به، وإنّما أردت أن أرى من يشتري الحكمة !

وقال أبو فراس :

مالي أُعاتبُ دهْري أين يذهبُ بي ؟ قد صرَّحَ الدّهْرُ لي بالمنْعِ والياسِ
أبْغي الوفاء بدهْرٍ لا وفاء بِه كأنَّني جاهلٌ بالدّهْرِ والنَّاسِ

ونحوه في المعنى قوله أيضا :

أين الخليلُ الّذي يُرضيكَ باطِنُهُ مع الخطوبِ كما يُرضيكَ ظاهِرُهُ ؟

وقول ابن الساعاتي :

لا يغرّنّكَ التّودُدُ من قَوْ مٍ فإنَّ الودادَ منهُمْ نفاقُ
والقلوبُ الغِلاظُ لا ينْزِعُ الأحْقادَ منها إلاّ السُّيُوفُ الرّقَاقُ

وقول آخـــر :

لا تَثِقْ مِنْ آدَمِيٍّ في وِدَادٍ بِصَفَاءِ !
كَيفَ ترجو منهُ صَفْواً وهْوُ مِن طِينٍ وماءِ ؟

وقول الآخـــر :

ومن يكُ أصْلُهُ ماءً وطينًا بعيدٌ مِن جِبِلّتِهِ الصّفاءُ

وقال ابن قَلاقِس :

غاضَ الوفاءُ وفاضَ ماءُ الغَــدرِ أنْهــارًا وغَــدْرا
وتطابَــقَ الأقْــوامُ في أقْـوالِهِـم سِــرًّا وجَهْــرا
فانْظُر بعينِكَ هل تَرى عُرفًا وليسَ تَراهُ نُكْرا !

وهو من قول الطغرائي :

غاض الوفاءُ وفاض الغَدرُ وانفرجَت مسافةُ الخلْفِ بين القولِ والعملِ

وما أعدل قول محيي الدين محمَّد بن تميم في هذا :

لك الخيرُ كم صاحَبتُ في الناس صاحبًا فما نالني منهم سوى الهمِّ والعنا
وجرَّبتُ أبناءَ الزَّمان فلم أجِدْ فتًى منهمُ عند المضيق ولا أنا !

ومثله لبعضهم :

طُفْتُ زمانًا على مَن يُنْصِفُني فلمَّا أنْصَفَ خُنتُهُ أنا

وتتميم هذا الغرض في موضع آخر، إن شاء اللّه تعالى.

غيــره :

لم يكفِني في الرَّأي خَيبَةُ مَنْظري حتَّى حُرِمْتُ لَذاذةَ الايناسِ
كالأعْورِ المسكينِ أعْدمَ عَيْنَهُ واعْتاضَ منها بِغْضَةً في النَّاسِ

وقال محيي الدين محمَّد بن تميم في مليح ينسى كثيرا :

بِروحي الَّذي نِسْيانُهُ صار عادةً وأفرط حتَّى كاد يُعْدمُهُ الحِسَّا
فَلو أنَّهُ بالهَجْرِ أضْحى مُهدِّدي لما ساءنِي عِلْمًا به أنَّهُ ينْسَى

وقال الآخــــر :

واللهِ ما طلعَت شمسٌ ولا غَربَت إلاّ وأنت مُنى قلبي ووسْواسي
ولا جلسْتُ الى قومٍ أحدِّثُهُم إلاّ وأنت حديثي بين جُلاّسي
ولا هَمَمتُ بشُربِ الماءِ من ظَمَإٍ إلاّ رأيتُ خيالاً منك في الكاس !

وقال الآخــــر :

إن صَحبْنا المُلوكَ تاهوا علينا واستخَفُّوا جَهْلاً بحقِّ الجليسِ
أو صحِبنا التُّجَّارَ عدنا إلى البُؤس وصرنـا إلى عديـدِ الفُلـوسِ
فلزمنا البيوتَ نستعملُ الحِبْــر ونملا بِهِ وجوهَ الطُّــروسِ

وقَنِعنا بما رزقْنا فَصرنا أمَراءً على الملوكِ الرُؤوسِ !

فقال آخرَ، مذيِّلاً لهذا الشعر :

لو تركنا وذاكَ كُنّا ظَفِرنا [من أمانيّنا بعِلقٍ نفيس][32]
غير أن الزمان أعني بنيه حسدونا على حياة النفوس

وقلت أنا :

[إنّي امرؤٌ لا أنثنِي غَبنًا يومَ المصاعِ بصفْقَةِ الوكْسِ
وإذا استطانَ البَوْنُ من فَرَقٍ لا ينزوي خَلَدي على رِجْسِ
وإذا الزَّمان أحالَ نائبُهُ حالي عَفَفْتُ فلم يُحِلْ نفسي
وإذا تَطَاولَ لَم][33]
[وإذا استطابَ الهونَ مُحتسبًا نذلٌ فلستَ تَراهُ في كأسِي
أرعى الهبيد على القنانِ ولا أرعى بوهْدٍ أطْيَبَ الخَلْسِ
وألَذُّ آنيَةَ المياهِ إذا كان الفُراتُ يُشابُ بالكِرسِ
وإذا استسِمْتُ الخسْفَ في بلدٍ يومًا زمَمتُ لغيرهِ عَنْسِي
إنَّ البلادَ لِذي الحِجى وطَنٌ والنَّاسُ كُلُّهُمُ بَنو جِنْسِ !
][34]

ويُحكى أنَّ ابن سكرة في آخر أمره، لمَّا مات الوزير المهلَّبي، سئل : ما أعددت للشتوة ؟ فقال :

قيلَ : ما أعْددتَ للبردِ فَقد جاءَ بِشِدَّهْ ؟
قُلتُ : دُرّاعَةُ عُرْيٍ تحْتَها جُبَّةُ رِعْدَهْ !

32) ساقط من د.
33) بياض بالأصول
34) هنا بياض بمقدار صفحة.

وقلت أنا فيها، وجعلتها ثمانيا :

إذا أومَضَ البرقُ اليماني وأطْنَبَتْ ... على الأرضِ من جونِ الولِيّ قِبابُ
فلُذ بثمانٍ هُنَّ في الدّهرِ للفتى ... وقاءٌ إذا ما نالَها وحِجابُ :
كَبابٌ وكانونٌ وكِنٌّ وكاعِبٌ ... وكأسٌ وكيسٌ كِسوةٌ وكتاب !

وجمع بعضهم للصيف راآت ثمانية قابل بها كافات الشتاء، فقال :

عندي فَديْتُك راآتٌ ثمانيَةٌ ... ألقى بها الحرَّ إن وافى وإن وردا :
رُبٌّ ورَوْحٌ وريحانٌ وريقُ رشا ... ورفْرفٌ ورِياضٌ ناعِمٌ وردا

وقد تفنَّن الأدباء في هذا الغرض، فجمعوا من هذا النَّمط أعدادا، كقول بعضهم :

رمَتْنا يدُ الأيّامِ عن قوسِ خطْبِها ... بسبْعٍ وهل ناجٍ من السَّبْعِ سالمُ :
غلاءٌ وغاراتٌ وغَزْوٌ وغُربَةٌ ... وغَمٌّ وغَدرٌ ثمَّ غَبْنٌ مُلازمُ !

وكقول ابن التعاويذيّ :

إذا اجتمعَت في مجلس الشُّرب سبعةٌ ... فبادر فما التَّأخير عنهُ صوابُ :
شواءٌ وشمَّامٌ وشهْدٌ وشادنٌ ... وشمعٌ وشادٍ مُطربٌ وشرابُ !

وقول الآخـــر :

عجِّل إليَّ فعندي سبعةٌ كمُلَتْ ... وليس فيها من اللَّذاتِ أعْوانُ :
طارٌ وطِبلٌ وطُنبورٌ وطاسُ طِلا ... وطَفْلَةٌ وطَباهيجٌ وطَنَّـانُ

وقولــه :

جاء الخريفُ وعندي مِن حَوائِجهِ ... سبعٌ بهنَّ قوامُ السَّمعِ والبصَرِ :
مَوزٌ ومَنٌّ ومحْبوبٌ ومائِدةٌ ... ومُسمِعٌ ومُدامٌ طيِّبٌ ومَري

وقول الصفـدي

إذا تبيَّن لي في مِصْرٍ واجْتمعَت ... سبعٌ فإنّيَ في اللَّذّات سُلْطانُ :
خِدرٌ وخمرٌ وخاتونٌ وخادمُها ... وخِلسةٌ وخلاعـــاتٌ وخِلاّنُ

وقولــه :

ثمانيةٌ إن يسمَحِ الدّهر لي بها ... فليس عليها بعد ذلكَ مطْلوبُ :
مقامٌ ومشروبٌ ومزْحٌ ومأكَلٌ ... وملهٍ ومَشْمُومٌ ومالٌ ومحبوبُ

وقولـــه :

إلى متى أنا لا أنـفكُّ في بلدٍ رهينَ جيماتِ جورٍ كُلُّها عطبُ :
الجوعُ والجريُ والجيرانُ والجُدري والجهْلُ والجُبنُ والجُرذانُ والجربُ ؟

وقول الآخـــر :

إذا كان في اسم المرء شينٌ هَوَتْ بهِ إلى الشرِّ فليحذر أذاهُ المُحاذِرُ :
شريفٌ وشيعِيٌّ وشيخٌ وشاهدٌ وشِمرٌ وشرِّيبٌ وشرحٌ وشاعرُ
سوى الشافعي أو شاهد راق حسنه كذا الشهداء المتقون وشاكر

وهذه الأشعار، كما ترى، الكثير من أصحابها يقصد الى إحراز غرض ويفوته أغراض، فتجده إذا وفى بذلك الغرض تعلّق به ولم يتحرّز عن اللفظ الخسيس، ولا عن المقصد السقيم، ولا عن التركيب المختلّ، والسبك الركيك، والحشو، وغير ذلك ممّا ينبىء أنّ قائله متكلّفٌ، رازِمُ العارضة، ليّن الجلدة، غير مطبوع.

وقال أعرابي يهجو قومًا من طيّئ :

ولمّا أن رأيتُ بني خَريقٍ جُلوسًا ليس بينهُمُ جليسُ
يئستُ من الّتي أقبلتُ أبغي لديهـــم إنّني رجُلٌ يؤوسُ
إذا ما قلتُ : أيُّهُمُ لأيّ تشابهَتِ المناكبُ والرُّؤوسُ !

قوله : ليس بينهُمُ جَليسُ، أي لا ينتجع النّاس معروفهم، فليس فيهم غيرهم، وهذا من أقبح الهجو .

وقال أبو بكر الخوارزمي :

يا من يُحاولُ صرفَ الرّاحِ يشربُها ولا يفُكُّ لما يلْقاهُ قرطاسا
الكأسُ والكِيسُ لم يُقْضَ امتلاؤهُما ففرِّغِ الكيسَ حتّى تملأ الكَاسَا !

وقال عمرو بنُ مَعْدِيكَرِب :

أَتوعِدُني كأنّكَ ذو رُعَيْنٍ بأنْعَمِ عيشَةٍ أو ذو نُواسِ ؟
فلا تفخَر بمُلكِكَ، كُلُّ مُلْكٍ يصيرُ لِذلّةٍ بعد الشماسِ !

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب ! واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

باب الشين المعجمة

أشْأمُ من البَسُوس .

الشُّؤْمُ ضدّ اليُمْن، شَؤُمَ الرجل - بالضمّ - على قومه، وشُئم عليهم - بالبناء للمجهول -: صار شُؤمًا عليهم، وهو مَشْؤوم" ومَشُوم"، والجمع مَشَائِيمُ . قال الشاعر:

مشائيمُ ليسوا مُصْلحينَ عشيرةً ولا ناعِبٍ إلاّ بِبِيـنٍ غُرابهـا[1]

وشأَمَهُمْ، وشَأمَ عَليهِم - بالفتح فيهما - فهو شائم ؛ والبَسُوسُ - بالفتح - النّاقة لا تدرّ إلاّ بالابساس، أي التلطّف بها بأن يقال لها : بَسْ، بَسْ !، كما مرّ. والبسوس أيضا امرأة مشومة، وهي المضروب بها المثل.

وكانت هذه المرأة أُعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات، فقالت له : اجعل لي واحدة منهنّ ! قال : نعم، فما تريدين ؟ قالت : ادع اللّه أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل ! ففعل، فرغبت عنه وهمّت بسيئٍ، فدعا اللّه أن يجعلها كلبة نبّاحة . فجاءه بنوها وقالوا : ما لنا على هذا من قرار يعيرنا بها النّاس، فادع اللّه أن يردّها إلى حالها ! فدعا لها فذهبت الدعوات كلّها بشؤمها.

أشْأمُ مِنْ بَنِي بَسُوسَ .

ويقال أشْأمُ مِنَ البَسُوسِ . البَسُوسُ أيضا اسم امرأة من العرب، وهي خالة جسّاس بن مرّة . وكان لمرّة هذا عشرة من الولد، منهم جسّاس، ونضلة، والحارث، وهمّام. بنو مرّة، وهم من بني بكر بن وائل. وكان كليْب بن ربيعة التغلبي من العزّة والشرف في وائل بالمحلّ الذي لم يُدرك. وكان تحت كليب جليلة بنت مرّة، أخت جسّاس. وكان لكليب حمّى حماه لا يقربه أحد. ثم إن جسّأسا جاءته خالته البسوس فنزلت عليه،

---

1) في د : مشائم . وفي الصحاح (مادة شأم) : ولا ناعبٍ إلاّ بِشُؤْمٍ غرابُها.
وقال في هامشه إن البيت للأحوص اليربوعي.

وكان لها ابن، وناقة يقال لها سراب بفصيلها. فدخلت سراب حمى كليب، فوجدها فيه، وقد كسرت بيض حُمَّر قد أجارها. فرماها بسهم فأصاب ضرعها. ويقال إنَّه سأل عن النَّاقة فقيل له إنَّها لخالة جسَّاس، فقال : أو يبلغ من قدره أن يجير دون إذني ؟ وكان لا يجير أحد إلاَّ بإذن كليب. فقال : يا غلام، ارم ضرعها ! فرماه بسهم وقتل فصيلها ونفى إبل جسَّاس عن المياه وطردها على شُبَيثٍ والأحص، وهما ماءان، حتى بلغ غدير الذنائب. فجاء جسَّاس فقال: نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه! فقال كليب: إنا للمياه شاغلون. فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها؟ فقال: أوقد ذكرتها؟ أما إنّي لو وجدتها في إبل مرّة استحللت تلك الابل! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه. فلما أحس بالموت قال : يا جسَّاس، اسقني ماء ! فقال : تجاوزت شُبَيثاً والأحص ! وآحتزّ رأسه وجاء مسرعا . فقالت أخته لأبيه : إنّ جسَّاسا جاء خارجة ركبتاه . فقال : واللّه ما خرجتا إلاّ لأمر ! فلمَّا بلغه قال : ما وراءك ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا ! قال : قتلت كليبا ؟ قال : نعم ! قال : وددت أنَّك وإخوتك متُّم قبل هذا ! ما بنا إلاّ أن تتشاءمنا وائل ! ثمّ لقيه أخوه نضلة فقال :

وإنّي قد جَنيت عليكَ حربًا   تُغِصُّ الشَّيخَ بالماءِ القراحِ

فأجابه نضلة :

فإن تَكُ قد جَنيتَ عليّ حربًا   فلا وانٍ ولا رَثُّ السّلاحِ

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا، أخا كليب، وعاهده ألاّ يكتمه شيئا . فجاءته أمة له وعنده مهلهل، فأسرَّت إليه الخبر . فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره، فذكَّره العهد فقال: أُخبرت أنّ جسَّاسا قتل أخاك كليبا . فقال : است أخيك أضيق من ذلك ! فقام مهلهل في ثأر أخيه، واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرّة فتكلَّموا في القصاص من جسَّاس وإخوته . فذهب مرّة إلى الدّية، فغضبت تغلب ووقعت الحرب بينهم أربعين سنة حتَّى ضربت بها العرب المثل في الشؤم والشدّة . وهي التي يقال لها حرب البسوس . وكان جملة ما وقع بينهم فيها خمس وقائع عظام، أولاها يوم عُنَيْزَة، وهو المذكور في قصيدة مهلهل الرائيَّة المشهورة، حيث قال :

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِي أبينَا   ببَطْنِ عُنَيْزَةٍ رَحَيا مُدِيرِ

وآخرها قتل جسَّاس بن مرّة . وكان سبب قتله أنّ نساء تغلب، لمَّا اجتمعن للمأتم على كليب، قلن لأخت كليب : رحِّلي جليلة عن مأتمك، فإنّ قيامها عار علينا وشماتة بنا ! فقالت لها : اخرجي ياهذه عن مأتمنا، فإنّك شقيقة قاتلنا ! فرحلت وهي حامل . فولدت غلاما وسمَّته هجرسا، وربَّاه جسَّاس، فكان لا يعرف أبا غيره، فزوّجه ابنته . فوقع يوما بينه وبين بكريّ كلام، فقال البكريّ : ما أنت بمنتهٍ حتّى ألحقك بأبيك ![2] فأمسك عنه ودخل إلى أمّه فسألها فأخبرته الخبر . فلمَّا أوى الى فراشه، وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفَّس تنفسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها . فقامت الجارية فزعة ودخلت إلى أبيها فأخبرته، فقال : ثائر، وربّ الكعبة ! فلمَّا أصبح أرسل الى الهجرس فأتاه فقال : إنَّما أنت ولدي ومعي، وقد كانت الحرب في أبيك زمنا طويلا حتّى تفانينا، وقد اصطلحنا الآن . فانطلق معي حتّى نأخذ عليك ما أُخذ علينا ! فقال : نعم، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلاّ بسلاحه ! فأتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جسَّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثمّ قال : وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه . فلمَّا قربوا الدم، أخذ بوسط رمحه وقال : وفرسي وأذنيـْه، ورمحي ونصليـْه، وسيفي وغراريـْه، ودرعي وزرّيـْه ! لا يتركُ الرجلُ قاتلَ أبيه وهو ينظر إليه . ثمّ طعن جسَّاسا فقتله ولحق بقومه . فكان آخر قتيل منهم .

وفي هذه القصَّة اضطراب كغيرها من الحكايات الجاهليَّة .

أشْأمُ من خَوْتَعَة .

خَوتَعَةُ ـ بالتاء المثنَّاة، على مثال جَوهَرَة ـ هو رجل من بني عقيلة، دلّ كُنَيْفَ بنَ عمرو التغلبي وأصحابه على بني الزّبّانِ الذهلي لِتِرَةٍ كانت لهم في عمرو بن الزبَّان، فقتلوهم . وتقدّم شرح القصَّة وما يعرف به وجه الشؤم في حرف الهمزة .

أشْأمُ منَ الأخْيَلِ .

الأخْيَلُ هو الشَّقْراقُ، وقيل طائر آخر، وهو مشؤوم، وجمعه خِيلٌ ـ بكسر الخاء ـ

2) في د: حتى ألحقنك بأبيك.

أشْأمُ مِنَ داحِسٍ .

داحِس - بوزن فَاعِل - فرس لقيس بن زهير، وعليه وقعت المسابقة بينه وبين ابني حذيفة، حتّى هاجت الحرب بذلك بين عبس وذبيان أربعين سنة . ويقال لهذه الحرب حرب داحس . وتقدّم تفسير القصّة في حرف التّاء.

أشْأمُ منَ الدُّهَيْمِ .

الدُّهَيْمُ - بوزن الزُّبَيْر - الدّاهية ؛ والدُّهيم أيضا : الأحمق ؛ والدُّهيم أيضا : ناقة عمرو بن الزّبان الذهلي، قُتل هو وإخوته وحُملت رؤوسهم عليها وقالوا : أشْأمُ من الدهيم . وتقدّم أنّ خوتعة هو الذي دلّ عليهم . والقصّة في حرف الهمزة.

وذكر أبو عبيد أنّ هذا هو الأصل في إطلاق الدهيم على الداهية.

وذكر البكري أيضا هذه القصّة فقال : كان من خبر الدُّهيم أنّ مالك بن كومة الشّيْباني لقي كُنَيْفَ بن عمرو، وكان مالك نحيفا وكان كُنَيْف" ضخمًا . فلمّا أراد مالك أسر كنيف اقتحم كنيف عن فرسه لينزل إليه مالك فيبطش به. فأوجَرَه مالك السنان وقال : واللّه لتستاسرن أو لأقتلنك. فأدركهما عمرو بن الزّبّان، فآختصما فيه هو ومالك فقالا: قد حكّمنا كُنَيْفا . فقال : من أسرك يا كنيف ؟ فقال : واللّه لولا مالك لكنت في أهلي ! فلطمه عمرو بن الزبان، فغضب مالك وقال : أتلطم أسيري ؟ ثمّ قال : إنّ فداءك يا كنيف مائة ناقة، وقد وهبتها لك بلطمة عمرو وجهك ! فجزّ ناصيته وأطلقه. ولم يزل كنيف يطلب عمرو بن الزبان باللّطمة حتّى دلّه عليه رجل من عقيلة وقد نَدّ لهم إبل. فخرج عمرو وإخوته في طلبها وأدركها وذبحوا حُوارا واشتووه وجعلوا يأكلون. فَغَشِيَهم كنيف في ضعف عددهم. فلمّا كشّر كنيف عن وجهه قال له عمرو : يا كنيف، إنّ في خدّي وفاء من خدّك، وما في بكر بن وائل أكرم من خدّي. فلا تشبّ الحرب بيننا وبينك ! فقال : كلاّ! أوْ أقتلك وأقتل إخوتك . فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخال وعلّقوها على ناقة لهم يقال لها الدُّهَيْم فجاءت النّاقة الى الحيّ، على نحو ما ذكرنا في الهمزة . فضُرب حملُ الدهيم مثلا في البلايا العظام.

أشْأمُ مِنْ سَراب .

سراب - بوزن قَطَام - هي ناقة البسوس، خالة جسَّاس بن مرَّة قاتل كليب، وبسببها وقعت حرب البسوس . فتشاءمت العرب بها، وتقدَّم آنفا شرح القصَّة . وهذا المثل هو المحفوظ في هذه القصَّة .

وأمَّا قولنا أوَّلا : أشْأمُ منْ بنِي بَسُوسٍ، [فهو على ما وقع في كلام بعض الأدباء وليس بجيّد، لأنَّ المتشاءم به هو إمَّا البسوس][3] نفسها لا بنوها، وإمَّا ناقتها سراب كما هنا . ولو قيل : أشْأمُ من بني مُرَّةَ، وهم جسَّاس وإخوته، لكان أيضا صحيحا، كما قال مرَّة لجسَّاس حين قتل كليبا، : ما بنا إلاَّ أن تتشاء منا أشياخ وائل ! وتقدَّم هذا كلّه .

أشْأمُ من الشَّقْراءِ .

الشَّقْراءُ مؤنَّث أشْقَر، وهي هنا علَم فرس شيطان بن لاطم، قَتلت وقُتل صاحبها، فقالوا : أشْأمُ من الشَّقْراءِ . وفيها كلام تقدَّم في الهمزة .

أشْأمُ منْ طُوَيْسٍ .

طُويْس - على مثال زُبَيْر - مخنَّث كان بالمدينة وكان اسمه طاووسا . فلمَّا تخنَّث سمّي طُويْسًا، وهو مصغَّره - بحذف الزوائد -، ويُكنَّى أبا عبدالنَّعيم . ويقال إنَّه أوَّل من غنَّى في الاسلام . وكان يقول : إنَّ أمّي كانت تمشي بالنَّمائم بين نساء الأنصار، فولدتني في الليلة التي توفي فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغتُ الحلم يوم مات عمر، وتزوَّجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل عليّ . فمن مثلي ؟ ويقال إنَّه قال : يا أهل المدينة، توقّوا الدجَّال ما دمت بين أظهركم، فإذا متُّ فقد أمنتم، لأنّي ولدت في الليلة التي توفّي فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، إلخ ما مرَّ . وكان يقول في نفسه : أنا أبو عبد النعيم، أنا طاووس الجحيم، أنا أشأم مَن يمشي على ظهر الحَطيم، الى غير ذلك ممَّا لا نطول به من أخباره.

---

3) سقط ما بين معقوفتين من ب.

أشْأمُ من عِطْرِ مَنْشِمٍ .

العِطْرُ - بالكسر - معروف، وتقدَّم في حرف الباء ؛ ومَنْشِم - على مثال مَجْلِس - امرأة كانت بمكّة عطّارة، وهي بنت الوجيه . وكانت خزاعة وجرهم إذا اقتتلوا تطيّبوا من عطرها . فكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى، فقالوا : أشْأمُ مِن عِطْرِ مَنْشِم .

وقال زهير بن أبي سُلمى :

تداركْتُما عبْسًا وذُبيانَ بعدما ... تفانَوا ودقّوا بينهم عِطْر مَنشِمِ

والمنشَمِ أيضا - بكسر الشين وفتحها - عطر صعب الدقّ، وقيل هو قرون السنبل سمّ ساعة، وحمل عليه بيت زهير المذكور .

أشْأمُ من غُرابِ البَيْنِ .

غراب البين قيل هو الأحمر المنقار والرجليْن من الغربان، وقيل الأبقع منها، وهو الذي في صدره بياض . قال عنترة :

ضَعنَ الّذينَ فراقُهُم أتَوَقَّعُ ... وجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأبْقَعُ

وإنّما قال ذلك لأنّه سمع نعيبه قبل رحيلهم فتشاءم به، والعرب تتشاءم به . وسمّوه غراب بَيْن، لأنّه بَانَ عن نوح عليه السلام لمّا وجّهه لينظر إلى الماء، فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به . وقيل لأنّه ينعب في منازلهم إذا بانوا عنها، وينزل في مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا منها . فلمّا كان يوجد عند بينونتهم اشتقّوا له اسما من البينونة وتشاءموا به لإنذاره بالبين وإعلامه بالفرقة، كما تقدّم من كلام عنترة . وعلى هذا، كلّ غراب فهو غراب البين. وقد قيل إنّما اشتقّت الغربة والاغتراب والغريب من الغراب، وأهل الزجر يلمحون ذلك ويتطيّرون به، كما قال قائلهم :

وصاح غُرابٌ فوق أعوادِ بانةٍ ... بأخبارِ أحبابي فقسّمني الفِكْرُ

فقلتُ : غرابُ لإغْترابٍ وبانةٌ ... بِبينِ النّوى تلكَ العِيافةُ والزّجْرُ

وهبّتْ جنوبٌ باجْتنابيَ منهُمُ ... وهاجَتْ صبًا قلت : الصّبابةُ والهجر!

وقال الامام المقدسيّ، في وصف غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين

المصاب، وينعق بين الخلاّن والأحباب، إن رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعًا عامرا أنذر بخرابه ودروس عرصاته، يُعرّف النازل والساكن، بخراب الدور والمساكن، ويحذرُ الآكل غصّة المآكل،ويبشّر الراحل بقرب المراحل، ينعق بصوت فيه تحزين، كما يصيح بالتأذين . وأنشد، على لسان حاله :

أنوحُ على ذهابِ العُمرِ منّي   وحقّ أن أنوحَ وأن أنادِي
وأنْدبُ كُلـّما عايَنْتُ ربْعًا   حدا بهِمُ لوشْكِ البينِ حادي

وتقدّم تمام هذه القصيدة في الدّال .

أشْأمُ مِنْ قُدارٍ .

قُدار ـ بالقاف والدّال المهملة، على مثال غُراب ـ هو قُدار بن سالف، عاقر النّاقة، والقُدار : الجزّار . وقد قيل إنّ قُدارًا هذا كان جزّارا.

وقد يقال في المثل : **أشْأمُ من أحْمَرِ ثَمُودَ** ، وهو قُدار المذكور . قال زهير :

فتُنتَجْ لكُم غِلمانَ أشْأمَ كلُّهُم   كأحْمرِ عادٍ ثمّ ترضِع فتفْطمِ

قيل : أراد «أحمر ثمود» فغلط . وقيل إنّ ثمود من عاد، وكان من خبره في عقر النّاقة، على اختصار، أنّ ثمودا كانت تبني على طول أعمارها،فاتّخذوا من الجبال بيوتا يسكنونها في الشتاء، كما قال اللّه تعالى ، وبَنَوْا قُصُورًا يَسْكُنُونَها في الصَّيْفِ . فلمّا بعث اللّه إليهم صالحا على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، قال له زعيمهم : إن كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة على صفة كيت وكيت ! فأتى الصخرة، فتمخّضت كالحامل، وانشقّت عن النّاقة، ثمّ تلاها سقبها . فآمن به كثير منهم . فكان شربها يوما وشربهم يوما . فإذا كان يوم شربها حلبوها فملؤوا من لبنها كلّ إناء ووعاء . فلمّا امتنعت إبلُهم من الماء، في يوم شربها، استثقلوها . وكان فيهم امرأتان : عنزة وصدوق، بذلتا أنفسهما لقُدار، على أن يعقر الناقة . وكان قُدار أشقر أزرق قصيرا . وكان له صديق يعينه على الفساد في الأرض، وكانا في تسعة من أهل الفساد . فضرب قُدار عرقوبها بسيفه، وضرب صاحبه العرقوب الآخر، واستهموا لحمها . فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنّها لا ذنب لها .

فقال : انظروا هل تدركون فصيلها، فعسى أن يرفع عنكم العذاب ! فالتمسوه، فصعد الى جبل يقال له الغارة، وطال الجبل به في السماء حتّى ما تناله الطير وبكى . ثمّ استقبلهم ورغا ثلاثا . فقال صالح : دعوة أجلها ذاك **تَمَتَّعُوا في دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ . ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب** ! وآية ذلك أن تصبح وجوههم في اليوم الأوّل مصفرّة، وفي الثّاني محمرّة، وفي الثالث مسودّة . فلمّا رأوا صدقه في أوّل يوم أرادوا قتله، فمنع منهم . فلمّا رأوا صدقه في الثالث تجمّلوا وتكفّنوا وبكوا وضجّوا، وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم . فصبحتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين . فعقروها يوم الأربعاء وأصيبوا يوم الأحد .

قيل : وإنّما أصيبوا والمذنب بعضهم، لأنّهم رضوا فعله، أي فصاروا كلّهم مذنبين بذلك . وبلدهم بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشيّ . وقد مرّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها . ولمّا رأى صالح أنّها دار سخط ارتحل بمن معه إلى مكّة . فلم يزالوا بها حتّى توفّاهم اللّه تعالى . قيل : وقبورهم في غربي البيت، بين دار الندوة والحجر . وقال الشاعر :

كانت ثمودُ ذوي عِزٍّ ومكْرُمةٍ ... ما إن يُضامُ لهم في النّاس من جَارِ
فأهلكُوا ناقَةً كانت لربِّهِمُ ... قد أنْذروها فكانوا غيرَ أبْرارِ

وقال الآخر في المثل المذكور :

وكان أضرَّ فيهم من سُهَيلٍ ... إذا أوفى. وأشْأمَ من قُدارِ

ومراد هذا الشاعر، بصدرِ البيت، ما يزعمون من أنّ أكثر موت البهائم يكون عند طلوع سهيل . قال أبو الطيّب :

وتُنكِرِ موتَهُم وأنا سُهيلٌ ... طلعْتُ بموتِ أولاد الزِّناءِ

وقال أبو العلاء :

لا تحْسبي إبلي سُهَيلاً طالعًا ... بالشّامِ فالمرئِيُّ شُعلَةُ قابِسِ

بل وغير البهائم أيضا، كما قال الأوّل :

بال سهيل في الفضيخ ففسد

أشْأمُ من قَـاشِرٍ .

قاشِرِ ـ بالقاف والشين المعجمة، على وزن صاحِب ـ قال الجوهريّ : هو فحل كان لبني عُوَافَـة بن سعد بن زَيْـد مِـنَاة بن تميم . وكانت لقومه إبلٌ تُـذْكِـر . فاستطرقوه رجاء أن تُؤنِـثَ، فماتت الابل والنسل . وقال الحريري : هو فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد ابن مناة، ما طرق إبلاً إلاّ ماتت .

وقيل : المراد به العامُ المُجدب . وسمّي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات . انتهى .

قلت : والمعروف في اللغة أنّ العام المجدب يقال له القاشور، وسنة قاشورة . قال الراجز :

وابعَـثْ عليهم سَنَـةً قاشورَهْ تحْـتلِـقُ المالَ احْـتلاقَ النُّـوَرَهْ !

والقاشور أيضا : المشؤوم . ويقال : قشرهم إذا شأمهم.

شَـبَّ عَـمْـرٌو عَـنِ الطَّـوقِ .

الشَّبابُ : الفتاءُ، يقال : شَبَّ الغلام يَـشِـبُّ شَـبَـابًا ؛ وعَمرٌو هو ابن عديّ بن نصر اللخميّ، ابن أخت جَـذيمة، أوّل ملوك لخم بالحيرة، بعد خاله جذيمة، كما تقدّم ذلك في قتله للزبّاء ؛ والطَّوقُ ـ بالفتح ـ حليّ يجعل للعنق، وكلّ ما استدار بالشيء.

وكان من خبر عمرو في الطوق أنّ جَـذيمة بلغه أنّ غلاما من لخم يقال له عَـدِيّ بن نصر عند أخواله من إيَـادٍ غاية في الظرف والأدب . وكان جذيمة قد أغار على إياد، فسرقت إياد صنميْـنِ كانا لجذيمة مشهوريـْن . ثمّ عاهدوه على أن يردّوا إليه صنَميـْه وأن لا يغزوهم أبدا، في قصّة مشهورة . فشرط عليهم[4] أن يبعثوا مع الصنمين بالغلام الموصوف . فلمّا انتهى إليه ولاّه مجلسه وكاسه والقيام على رأسه . فتعشّقته رقَـاشِ بنتُ مالك، أخت جذيمة فقالت له : يا عديّ، إذا سقيتهم فامزج لهم وعَـرِّقْ للملك ! ـ أي امزِجْ له قليلا كالمعرُوق ـ فإذا أخذتْ منه الخمر فاخطبني له وأشهد الجماعة ! ففعل الغلام، وزوّجه جذيمة، وأشهد عليه . فانطلق إليها وعرّفها . فعلمت أنّه سينكر إذا أفاق، فقالت له : ادخل بأهلك ! فبات عديٌّ مُعْرِساً بها، وأصبح في ثياب جدد . ودخل على جذيمة فقال :

---

4) في ب : فشرطوا له

ما هذه الآثار، يا عدي ؟ قال : آثار العرس . قال : أي عرس ؟ قال : عُرسُ رقَاشِ . فنخر جذيمة وأكبَّ لوجهه غضبا . فهرب عديٌّ ولحق بقومه، وبقي هناك حتَّى مات .
وقيل : بل أدركه جذيمة فقتله وبعث الى أخته رقاش يقول :

حدِّثيني وأنت لا تَكْذبيني أبِحُرٍّ زنيتِ أم بِهَجين ؟
أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ فأنتِ أهلٌ لِدونٍ ؟

فقالت له : زوَّجتني كفؤًا كريما من أبناء الملوك ! وقالت تجيبه :

أنت زوَّجتني وما كُنتُ أدري وأتــاني النِّساءُ للتَّزييــنِ
ذاك من شُربِك المُدامَةَ صِرفًا وتماديكَ في الصِّبا والمُجونِ !

ثمَّ إنَّه جعلها في قصره، فاشتملت على حمل، فولدت وسمَّته عمرًا ورشحته . فلمَّا ترعرع حلَّته وعطَّرته و ألبسته كسوة فاخرة وأزارته خاله . فأعجب به وألقيت عليه منه محبَّة وقيل تبنَّاه، وكان لا يولد له . وخرج جذيمة في عام مخصب وبسط له في روضة، وخرج عمرو بن عدي في غلمة يجتنون الكمأة، فكان منهم من وجد طيبةً أكلها، وعمرو إذا أصابها خبَّأها . ثمَّ أقبلوا يسرعون، وعمرويقدمهم وهو يقول :

هذا جنـايَ وخِيــارُهُ فيهِ إذ كُلُّ جانٍ يدهُ إلى فيهِ !

فالتزمه جذيمة وحباه .

ثمَّ إنَّ الجنَّ استهوت عمراً، ففقد فطلبه جذيمة في آفاق الأرض، فلم يسمع له خبرا حتَّى أقبل رجلان من بلقين وهما مالك وعقيل، ابنا فالج من الشام يريدان الملك بهديَّة ومعهما قينة يقال لها أم عمرو . فبينما هما على ماء، وقد هيَّأت لهما القينة طعاما وجعلا يأكلان، إذ أقبل رجل اشعث الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله . فناولته القينة طعاما وسقت صاحبيها . فقال عمرو : اسقيني ! فقالت : **لا تُطْعِمِ العَبْدَ الكُرَاع، فَيَطْمَعَ في الذِّرَاع** ! وأوكأت سقاءها . فقال عمرو :

صددتِ الكأسَ عنَّا أُمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثَّلاثةِ أُمَّ عَمرٍو بصاحِبِكِ الَّذي لا تَصْحَبينا !

فقالا له : من أنت يافتى ؟ فقال : أنا عمرو بن عدي . فأخذاه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وأخذا من شعره وقالا : ما كنَّا لنهدي إلى الملك هديَّة هي عنده أنفس ولا هو عليها أكثر

صفدا من ابن أخته ! وحملاه معهما حتّى بلّغاه جذيمة . فسرّ به سرورا شديدا وصرفه الى أمّه وقال : تمنّيا عليّ ! فقالا : منادمتك، ما بقيت وما بقينا . فنادمهما . ويقال إنّهما أقاما في منادمته أربعين سنة يحدّثانه، فما أعادا عليه حديثا . وهما ندمانا جذيمة المشهوران المضروب بهما المثل في شدّة الألفة والمصاحبة، في قول أبي خِراش :

تقول : أراهُ بعد عُروةَ لا هيًا وذلك رُزءٌ لو علمْتِ جَليلُ
فلا تحسبي أن قد تناسيتُ عهْدهُ ولكنّ صبْري يا أُمَيمَ جميلُ
ألم تعلمي أن قَد تفرّق قبلَنا نديما صفاءٍ : مالِكٌ وعقيلُ ؟

وفي قول مُتَمِّم بن نُويْرةَ يرثي أخاه مالكًا :

وكُنّا كنَدمانَيْ جَذيمَةَ حِقبةً من الدّهر حتّى قيل : لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكًا لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا !

وفي قول بعض المحدثين :

نحن كُنّا في التّصافي مثْلَ نَدمانَيْ جَذيمَهْ
فَأتَى الصَّرمُ بيومٍ دونَهُ يومُ حَليمَهْ
تقْدحُ الأيّامُ حتّى في المودّاتِ القديمَهْ

وكان قبل ذلك جذيمة لا ينادم أحدا، زهوًا وكبرًا، ويقول: هو أعظم من أن ينادم إلاّ الفرقديْن ! فكان يشرب كأسا ويريق للفرقدين كأسا . ثمّ إنّ رقَاشِ أخذت ابنها عمراً وأدخلته الحمّام . فلمّا خرج ألبسته من فاخر ثياب الملك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب كان له، وأمرته بزيارة خاله . فلمّا رأى جذيمة لحيته، والطوق في عنقه، قال : شَبَّ عَمْرٌو عن الطّوقِ ! وقيل إنّها لمّا أرادت أن تعيد الطوق في عنقه قال لها جذيمة : كَبُرُ عَمْرٌو عن الطّوقِ ! فذهبت مثلا يُضرب لِلابس ما دون قدره .

أشْبَهُ [من] الغُرابِ بالغُرابِ .

الشّبْهُ - بالكسر -، والشَّبَهُ - بفتحتين -، والشّبيهُ : المِثْلُ، جمعه أشْباهٌ ؛ وشَابَهَهُ، وأشْبَهَهُ : ما ثَلَهُ ؛ واشْتَبَهَا وتَشَابَهَا : تَمَاثَلاَ ؛ وشَبَّهْتُهُ إيّاه وبه تشبيها - مَثّلْتُهُ - ؛ والغراب تقدّم . ولمّا كانت الغربان غالبا على صفة واحدة

ولون واحد، وحصل بينها تشابه مطرّد وتساوٍ متّفق، ضربوا بتساويها المثل فقالوا : فلانٌ أشبهُ بفلان من الغراب بالغراب .

ومنه قول الغُرابيّة، من المبتدعة، إنّ علياً أشبه بالنبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم من الغراب بالغراب . وبدعتهم معروفة، تحاشينا عن تلويث الكتاب بها، لعنهم اللّه وأخلى منهم الأرض !

أشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَو أنّ أُسَيْمِرًا .

الشَّبَهُ مرّ ؛ وشَرجٌ - بفتح الشين المعجمة وسكون الراء بعدها جيم - وادٍ باليمن ؛ والشّرج أيضا مسيل الماء من الحرّة الى السهل مطلقًا، وله معانٍ أُخر . وأمّا الشَّرَجُ - بفتحتين - فهو مسيل الوادي ؛ وأسَيْمِرٌ تصغير أسْمُرٍ - بضمّ الميم -، والأسْمُرُ جمع سَمُرَة، وهو الشجر المعروف، يقال سمرة والجمع سَمُر وسَمُرات وأسْمُر، وتصغيره أُسَيْمِر .

وهذا المثل يُضرب في الشيئين يشتبهان ويفترقان . وكان أصله أنّ لقمان بن عاد قال للقيم بن لقمان : أقِمْ ها هنا حتّى أنطلق إلى الابل ! فنحر لقيمٌ جزورًا فأكلها ولم يخبّىء شيئا للقمان، فخاف لومه فحرق ما حوله من السُمُر الذي بهذا الوادي، وهو شَرْج، ليخفي ذلك المكان . فلمّا جاء لقمان، جعلت الابل تثير الجمر بأخفافها، فعرف لقمان ذلك المكان وأنكر ذهاب السُمُر منه، فقال حينئذ : أشْبَهَ شَرجٌ شَرْجًا لو أنّ أُسَيْمِرًا !

شتّى تَؤُوبُ الحَلَبَة .

الشّتّى جمع شَتِيتٍ، وهو المتفرّق . وقال رؤبة يصف إبلا :

جاءتْ معًا وأطْرَقَتْ شَتيتا وهْيَ تُثِيرُ السّاطِعَ السّخْتيتا

والأوْبُ : الرجوع، يقال : آبَ يَؤُوبُ أوْبًا وإيَابًا ؛ والحَلَبَةُ، جمع حَالِب وحَلْبُ النّاقةِ والشاةِ معروف.

والمعنى أنّهم إذا ذهبوا اجتمعوا، وإذا قضوا مآربهم رجعوا متفرّقين . ومضربه ظاهر .

أشْجَعُ من الدِّيكِ .

الشَّجاعَةُ معروفة، شَجُعَ الرجل - بالضمّ - فهو شُجاع - كغُراب - ؛ والديك معروف

يَشُجُّ مَرَّةً ويَأسُو أخْرَى .

الشَّجُّ معروف ؛ والأَسْوُ : المُداوَاةُ، أسَاهُ، يَأسُوهُ أَسْوًا : دَاوَاهُ، وآسَى بين القوم أصْلَحَ . فمعنى المثل أنَّه يُفسد أحيانًا ويُصلح أحيانًا . يُضرب لمن يصيب مرَّة ويخطىء أخرى، أو يضرّ مرَّة وينفعُ أخرى، ونحو ذلك . ونظمه صالح بن عبد القدّوس فقال :

قُلْ للَّذي لستُ أدري من تَلَوُّنِهِ : أناصِحٌ أم على غِشٍّ يُداجيني ؟
إنِّي لأكثرُ ممَّا سُمْتَني عجبًا يدٌ تشجُّ وأخْرى منكَ تأسُوني
لو كنت أعلم منكَ الوُدَّهان له عليَّ بعضُ الَّذي أصبحْتَ توليني
لا أسألُ النَّاس عمَّا في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني
أرضى عن المرءِ ما أصْفى مودَّتهُ وليس شيءٌ من البغضاء يُرضيني
لا أبتغي وُدَّ من يبغي مُقاطعتي ولا ألينُ لمن لا يبتغِي ليني

الشُّجاعُ مُوَقَّى،والجَبَانُ مُلَقَّى .

معناه أنَّ الشُّجاعَ، مع إقدامه وتعاطيه المهالك بنفسه، محفوظ غالبا، والجَبان، مع كثرة حذره، هالك . قال البكري : وهذا كما رُوي عن أبي بكر وعن عليّ، رضي اللَّه عنهما : احْرِصْ على الموتِ تُوهَبْ لَكَ الحَياةُ !
وقال الشاعر :

نأخَّرْتُ أسْتَبْقي الحياةَ فَلَم أجِد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

انتهى .

قلت : ومثله شاع اليوم في ألسنة العامَّة، يقولون : **مَتَى طَلَبَ الرَّجُلُ الموتَ لَمْ يَجِدْ قَاتِلاً** ؛ غير أنَّ ما ذكره البكريّ في بيت الحُصَيْنِ بنِ الحُمامِ المذكور

محتَـمَـل، وأظهر منه أن يريد بالحياة عند التقدّم ما يكتسبه من شرف الذكر الباقي بعده . فإنّ بقاء الاسم والذكر والمآثر والمفاخر حياة أنفع عند ذوي الهمم من حياة الجسم، مع سُبَّة الفرار واللؤم . فكأنَّه يقول : تأخَّرت أستبقي حياة جسمي، فبدالي أنّ الحياة الأخرى أفضل لي . ولو كان على ما قاله البكري لم يكن لافتخاره محلّ، لأنَّه إنَّما يطلب الحياة بإقدامه ولم يُقْدِم شجاعةً ولقاءَ باس، فإقدامه كالفرار ولا فضيلة له، وهذا باطل .

وقد قال بعد [هذا] البيت :

وليسَ على الادبَارِ تَـدْمَـى كُـلُـومُـنا ... ولكن على أَقْدامنا تقْطُرُ الدّما

وقول أبي الطّيب :

يرى الجُبَناءُ أنّ الجُبْنَ حَزْمٌ ... وتلكَ خديعَةُ الطَّبْعِ اللّئيمِ

محتَمل .

شَحْمَتِي في قَلْعِي .

الشَّحْمَةُ : القطعة من الشَّحْمِ، وهو معروف ؛ والقَلْعُ - بفتح القاف وسكون اللاّم، وتحرّك أيضا - شيء يجعل فيه الراعي زاده وأداته، يشبه الكِنْف - بكسر الكاف -، وهو وعاء أدوات الراعي . قال الراجز :

يا ليتَ أنّي وقُشامًا نلتقي ... وهْو على ظهْر البعير الأورقِ

وانا فوق ذاتِ غربٍ خيْفَقِ ... ثمّ اتّقَى وأيّ عَصْرٍ أتّقِي

بِعُلْبَةٍ وقَلْعِهِ المُعلّقِ

يضرب هذا المثل في الشيء يكون في ملكك وحوزك تتصرّف فيه كيف شئت، كما أنّ الشحمة إذا كانت في قلعك كذلك.

شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي .

الشُّحَيْمَةُ تصغير الشَّحْمَةِ، وتقدّم ؛ والحَلْقُ - بفتح الحاء المهملة - الحُلْقومُ . وهذا المثل ممّا وُضع على لسان الذئب . يقولون : قيل للذئب : ما رأيك في غنيمة ترعاها جُوَيْرِيَة ؟ قال : شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي - يعني أنّها حاصلة بلا تعب،

وصغَّرها تقلّلاً واستسهالاً . قيل : فغنيمة يرعاها غُليم . قال شَعْرَاءُ في إبْطِي أخْشَى حَظَواتِهِ . الشّعْراء ذباب أزرق له لدغ، يقع على الابل والدوابّ، والحَظَوات سِهامٌ صغار من قُضُب ليّنة، يتعلّم عليها الغلمان ؛ وكذلك الجُمَّاح، ولا نَصْلَ له . قال الشاعر :

أصابَتْ حَـــبّةَ القَلبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَّاحِ

شَحْمَةُ الرُّكَى.

شَحْمَةُ الرُّكَى - على وزن رُبَى - وهو الذي يذوب سريعًا . يُضرب لمن يعينك في الحاجات.

أشَدُّ مِنَ الفَرَسِ .

الشِّدَّةُ - بالكسر - اسم من الاشتداد.واشْتَدَّ الأمْرُ فهو مُشْتَدٌّ ؛ والفَرَسُ معروف وتقدَّم .

أشَدُّ من الفِيلِ .

الفِيلُ - بالكسر - معروف .

أشَدُّ من الدَّلَمِ .

الدَّلَم - بفتحتين والدَّال المهملة - شيء شبه الحيَّة يكون بالحجاز . وقيل نوع من القُراد .

اشْتَدِّي، زِيَمُ !

الاشتداد هنا العَدْوُ ؛ وزِيَمُ - بكسر الزاي وفتح الياء المثنّاة من تحت، بوزن عِنَبٍ - اسم فرس . وهذا في شعر للحطم القيسي،[5] يقول :

5) «كذا» وفي هامش الصحاح (مادة زيم) أنه رُشَيْد بن رُمَيْض العنزي

هذا أوانُ الشّدّ فاشتدي زِيمْ(6)

وتمثّل به الحجّاج في خطبته الكوفيّة .

قال أبو العبّاس المبرد في **الكامل** : حدّثني الثوريّ في إسناد ذكره آخره عبد الملك ابن عمر الليثيّ قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة إذ ذاك في حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتانا آتٍ فقال : هذا الحجّاج قد قدم أميرًا على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه، متقلّدًا سيفًا، مُتَنَكِّبًا قوسًا، يؤمّ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلّم . فقال الناس بعضهم لبعض : قبّح اللّه بني أميّة حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتّى قال عُمَيْر بنُ ضَابِىء البُرجُمي : ألا أحْصِبُهُ لكم ؟ فقالوا : أمهل حتّى تنظر ! فلمّا رأى عيون النّاس إليه، حَسَرَ اللّثامَ عن فيه ونهض فقال :

أنا ابنُ جَلا وطلاّعُ الثّنايا متى أضَعِ العمامةَ تَعْرِفوني !

ثمّ قال : يا أهل الكوفة، إنّي لأرى رؤوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قطافُها، وإنّي لصاحبُها، كأنّي أنظر إلى الدماء بين العمائم واللّحَى ! ثمّ تمثّل فقال :

هذا أوانُ الشّدّ فاشتدّي زِيَمْ قد لفّها اللّيلُ بِسَوّاقٍ حُطَمْ

ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بِجزّارٍ على ظهْرِ وضَمْ

ثمّ قال :

قد لفّها اللّيلُ بعَصَلبيّ(7) أرْوَعَ خرّاجٍ من الدّوّيّ

مُهَاجرٍ ليسَ بِأعْرابِيّ

وقال :

قد شمّرَت عن ساقِها فشُدّوا وجدّتِ الحربُ بكُمْ فجِدّوا

والقوسُ فيها وتَرٌ عردٌ مثلُ ذراعِ البكْرِ أو أشَدّ !

إني : واللّه، يا أهل العراق، ما يُقَعْقَعُ لي بالشّنان، ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغْمَازِ التّين . ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وفُتّشْتُ عن تجربة . وإنّ أمير المؤمنين نَثَر كِنَانَتَه

---

6) يروى أيضًا : هذا مكانُ الشّدّ فاشتدّي زيَم

7) في **لسان العرب** : قد حسّها الليلُ بعصَلّبِيّ.
ثم قال ! ن الذي في خطبة الحجاج هو : قد لفّها....

فعجم عيدانها، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً، فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال . والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ! فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف . وإني، والله، ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت ! وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذه عطاءه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ! يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين !

فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك، أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين... فلم يقل أحد منهم شيئا . فقال الحجاج : اكفف ياغلام ! ثم أقبل على الناس فقال : أسلم عليكم أمير المؤمنين، فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن لهيعة ! أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أو لتستقيمن ! اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين ! فلما بلغ الى قوله : سلام عليكم ! لم يبق أحد في المسجد إلا وقال : على أمير المؤمنين السلام ! ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم . فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال : أيها الأمير، إني من الضعف على ما ترى، ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار، أتقبله بدلاً مني ؟ فقال له الحجاج : نفعل، أيها الشيخ ! فلما ولى قال له قائل : أتدري من هذا، أيها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمي الذي يقول :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطىء بطنه، فكسر ضلعين من أضلاعه . فقال : ردوه ! فقال له الحجاج : أيها الشيخ، هلا بعثت إلى أمير المؤمنين بدلاً يوم الدار، إن في قتلك، أيها الشيخ، لصلاحاً للمسلمين ! يا حرس، اضربا عنقه ! فجعل الرجل يضيق عليه أمره، فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده . وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا

هُما خُطَّتا خَسْفٍ نجاؤُكَ منهُما   ركُوبُكَ حولِيًّا من الثَّلجِ أشْهَبَا

فأضْحى ولو كانت خُراسانُ دونَهُ   رآها مكان السُّوق أو هي أقْربا !

وفي هذه القصَّة ألفاظ تخفى . فقوله : أنا ابنُ جلا، أي المنكشف الأمر، وهو لسحيم بن واثلة، وفيه كلام يأتي في حرف النون، إن شاء اللَّه تعالى.

وقوله : أرى رُؤوسًا قَد أيْنَعَتْ، أي أدْركَتْ، يقال : **أينعت الثمرة إيناعًا** ويَنَعَتْ أيضا يَنْعًا . قال تعالى : **انظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذا أثْمَرَ ويَنْعِهِ** .
وقال الشاعر في الفعل :

ولهـــا بالماطـــرون إذا   اكل النمل الذي جمعا

خرفة حتى اذا ارتبعت   ذكرت من جلق بيعا

في قِبابٍ حَولَ دَسْكَرَةٍ   حَوْلَها الزَّيْتونُ قد يَنَعا

وقوله : هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زيَمُ ! وهي فرس، كما مرَّ . وقال المبرّد : يعني فرسا أو ناقة .

وقوله : بِسَوَّاقٍ حُطَمٍ، الحُطَمُ : الذي لا يُبقي من السير شيئا، ويُهلك المال بذلك . ومنه قيل للنَّار التي لا تُبقي حُطَمَة.

وقوله : على ظَهْرِ وضَم، والوضَمُ - بفتحتين - كلّ ما يُقطع عليه اللَّحم . وتقدَّم في التَّاء . قال الشاعر :

وفِتْيان صِدقٍ حِسانِ الوجُوهِ لا يجِدونَ لشيءٍ ألمّ

من آلِ المُغِيرةِ لا يَشْهَدُونَ عنْدَ المجازرِ لَحْمَ الوضَمْ

وقوله : بِعَصْلَبِيّ، العَصْلَب - بالعين والصاد المهملتين، على مثال جَحْدَب؛ والعَصْلَبِيُّ - بياء النسبة -، والعُصْلُوبُ : القَوِيُّ، الشديد الخَلْق، العظيمُ ؛ وأروع، أي ذكيّ.

وقوله : خَرَّاج من الدَّوِّيِّ، الدَّوُّ - بتشديد الواو ؛ والدّوى والدَّاوية : الفلاة لا عَلَم فيها ولا أمارة . قال الحطيئة :

وأنَّى اهْتَدَت والدَّوُّ بيني وبينها   وما خِلْتُ ساري اللَّيلِ بالدَّوِّ يهتدي

يريد : بخروجه من الدَّوِّ أنْ يخرج من كل غمَّاء وشدَّة، على طريق التمثيل.

وقوله : وتَـرٌ عُـرُدٌ، أي شديد . ويقال أيضا عُـرُنْـدٌ - بالنون -.

وقوله : ما يُقَـعْقَـعُ لي بالشِّنان، واحدتها شَـنٌّ - بالفتح -، ويقال أيضا شَنَـةٌ، وهي القِربَـةُ البالية اليابسة، يُقَـعْقَـعُ بها فتنفِرُ الابل من صوتها . وضرب ذلك مثلا لنفسه في الثَّبات . قال النَّابغة :

كأنَّك من جِمال بني أقيشٍ يُقعقَـعُ بين رِجْليها بشنٍّ

وقوله : فُررتُ عن ذكاء، الذَّكاء هنا تمام السنّ . ومنه قول ابن زهير : جَـرْيُ المُذَكِّيَـاتِ غِلاَب.

ويطلق الذكاء أيضا على حدَّة القلب . ومنه قول زهير بن أبي سُلَـمى :

يُفضِّلُهُ إذا اجتهَـدا عليهـا تمامُ السِّنِّ منهُ والذَّكـاءُ

وقوله : عَـجَـم عِـيدَانَـها، أي مَضَـغَـها ليعرف الأصلب . قال النَّابغة :

فظلَّ يعجُـم أعلى الرَّوقِ مُنقبضًا في حالكِ اللَّون صَدقٍ غير ذي أودِ

وقال علقمة :

سُلاءَةٌ كَـعَـصَـا النَّهْديِّ غُلَّ بها ذو فَـيْـئَـةٍ من نَـوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ

وقوله : طالما أوضَـعْتُـمْ، الايضاع : ضرب من السير.

وقول الاسدي :

فأضْحَـى ولو كانت خُراسانُ دونَـهُ

أي دون سفره، فإنَّه يراها قريبة لخوفه وطاعته. وأمَّا قول ضابىء بن الحارث : هَـمَـمتُ ولم أفْعَـلْ... (البيت)، فكان من قصَّته أنـَّه وجب عليه حبس وأدب عند عثمان، رضي اللَّه عنه، فعثر عليه، فأحسن أدبه، فقال في ذلك :

وقائلةٍ : إن مات في السِّجْنِ ضابىءٌ لنِـعْمَ الفتى تخْلو به وتُـواصلُـهْ !

وقائِـلةٍ : لا يَـبْـعُـدَن ذلكَ الفَـتى ولا تبْـعُـدَنْ أخْلاقُـهُ وشَـمائِـلُـهْ !

وقائِـلةٍ : لا يُـبْـعِـدِ اللَّـهُ ضابِـئًا إذا الخَـصْمُ لم يوجَـد لهُ من يُقاولُـهْ !

فَلا تُـتْـبِـعيني إن هَـلَـكْتُ مَلامَةً فليسَ بعَـارٍ قتْـلُ من لا أُقاتِـلُـهْ !

هَـمَـمتُ ولم أفعَـل... (البيت)

وما الفتْـكُ ما آمَرْتَ فيه ولا الَّذي تُـخبِّـرُ من لا قيتَ أنَّـك فاعِـلُـهْ

ويُشْبِه ما وقع لابن ضابىء ما وقع لأبي شجرة السلميّ، وكان من فتّاك العرب . فأتى عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، ليحمله، فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلميّ . فقال له عمر : ألست القائل، حيث ارتددت :

وروّيْتُ رُمْحي من كَتِيبَةِ خالِدٍ ... وإنّي لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا

وعارضْتُها شُهبًا تُخطِّرُ بالقنا ... ترى البيض في حافاتها والسَّنَوَّرا ؟

ثمّ أنحى عليه بالدِّرَّة . فسعى إلى ناقته وحلّ عقالها وأقبل بها حرّة بني سليم بأحث سير هربًا من الدِّرّة وهو يقول :

قد ضنّ عنها أبو حفْصٍ بنائِله ... وكلُّ مُخْتبطٍ يومًا له ورَقُ

فمال يضربُني حتّى خذيْتُ لَهُ ... وجالَ من دونِ بعضِ الرَّغبةِ الشَّفقُ

ثمّ التفتُّ إليها وهْيَ حانِيَةٌ ... مثلَ الرِّتاجِ إذا ما لزّهُ الغلَقُ

في أبيات .

قوله : وكُلُّ مُخْتبِطٍ يومًا له ورقُ، أي كلّ مسؤول فله فضل يسديه، ونوال يوليه . وأصله في الشجرة أَنّك تحْتبطها بعصا ونحوها، فيسقط ورقها . قال زهير :

وليس مانِعَ ذي قُربَى ولا رحِمٍ ... يومًا ولا مُعْدمٌ من خابطٍ ورقا

قوله : حتّى خَذَيْتُ لَهُ، يقال : خَذالَهُ، وخَذِىءَ لَهُ - بالفتح والكسر مهموزا -، واسْتَخْذَى لَهُ، إذا خَضَعَ له وانقادَ ؛ وخَذا يخْذُو خَذْوًا إذا اسْتَرخَى ؛ وخَذِيَتْ أذنه - بالكسر - تخْذَى، إذا استرخت من أصلها وانكسرت، مقبلة على الوجه . فيحتمل أن يكون قوله : خَذَيْتُ له، من المهموز أو غيره.

اشْتَدّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي !

الاشتداد تقدّم ؛ والأزْمَةُ : الشّدّةُ والقَحْطُ، يقال : أصابتْهُم سَنَةٌ أزَمَتْهُم أزْمًا، أي استأصلتهم ؛ وأزَمَ الدهرُ، أي اشتدّ وقلّ خيره ؛ وأزَم الرجلُ بصاحبه : لَزِمَهُ، وأزَمَهُ : عَضّه ؛ والانفراج : الانفتاح والاتساع . وهذا اللّفظ حديث يُروى.

ولمّا كانت الحكمة الالهيّة جرت بتنقّلات الحوادث وتحوّلات الأحوال، وعدم استقرارها على حال، صارت الشدّة إذا تناهت لم يعقبها إلاّ الفرج، كما أنّ الفرج إذا تناهى لم يعقبه

إلاَّ شدَّة، فصارت الشدَّة مفتاح الفرج وسببا فيه بهذا الاعتبار . فإذا طلبت الشدَّة فذلك طلب الفرج، إقامة للسبب مقام المسبّب. قال تعالى : **فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**. وفي الحديث الآخر : **احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ! احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ ! تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ ! واعْلَمْ أنَّ ما أصَابَكَ لم يكُنْ ليُخْطِئكَ، وما أخْطَاك لم يكن ليُصيبَكَ ! واعلم أنَّ النَّصر مع الصَّبْر، وأنَّ الفَرجَ مع الكَربِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا ! وقال الشاعر :**

ضاقَتْ ولو لم تضِقْ لما انفرجَتْ فالعُسرُ مفْتاحُ كلِّ مَيْسورِ

غيـــره :

خفِّض الجأشَ واصبِرنَّ رُوَيْدًا فالرَّزايا إذا توالَتْ تولَّتْ !

قيل : وكان الامام سحنون يقول إذا ضاق عليه أمر ضيقي تنفرجي يا مالك يوم الدين إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين !

شَرَّابٌ بِأمْقُعٍ .

الشُرْبُ معروف، وتُثلّث شينه، شَرِبَ - بالكسر - شُرْبًا وتَشْرابًا، فهو شارب وشَرَّابٌ للمبالغة، وأشْربتُه أنا . وقيل : الشَّرب - بالفتح - مصدر، وبالكسر والضمّ اسمان، والشِّربُ - بالكسر أيضا - الحظُّ من الماء ؛ والمَقْعُ - بفتح الميم وسكون القاف -: أشدُّ الشرب . وفُلانٌ شَرَّابٌ بِأمْقُعٍ، أي معاودِ للأمور، يأتيها حتَّى يبلغ أقصى مراده.

شَرَّابٌ بأنْقُعٍ .

الانْقُعُ جمع نَقْعٍ - بفتح النون وسكون القاف -، وهو الماء المستنقع .
وهذا أيضا يُضرب لمن جرَّب الأمور وعاودها، كالذي قبله، أو للداهي المنكر، لأنَّ الدليل إذا عرف الفلوات حذق بسلوك الطرق إلى الماء، وعرف أين يهتدي إلى الانقُع حتَّى يشرب منها .

أشْرَدُ من نَـعَامَةٍ .

الشُّرودُ : الفِرارُ ؛ والنَّعامُ معروف، ولا أسرع منه عند شروده . قال :

وهم تركوكَ أسلَحَ من حُبارَى رأت صقْرًا وأشْردَ من نعامِ

غيـــره :

وولَّوْا سراعًا كشدِّ النَّعامِ ولم يكشِفوا عن ملط حَصِيرًا

غيـــره :

وكانوا نعامًا عند ذاك مُنَـفرا

والعرب تضرب به المثل في الجبن أيضا مع ذلك، كما قال عِمْرانُ بن حِطَّان :

أسدٌ عليَّ في الحُروبِ نعامَةٌ فتْخاءُ تنفُرُ من صَفير الصَّافرِ

وكما قال محكم اليمامة : إنَّ خالدًا لقي أسدًا وغطفان، فأشار عليهم بذباب السيف، فكانوا كالنعام الجافل، أو كما قال :

أشْردُ مِنْ وَرَلٍ .

الشُّرُودُ مرَّ ؛ والوَرَلُ ـ بفتحتين ـ حيوان على خلقة الضبِّ، وهو أعظم منه . وتقدَّم في حرف السين.

فائـــدة :

ذكر بعضهم أنَّه لا يجتمع الرَّاء واللاَّم في لغة العرب إلاَّ في أربعة ألفاظ : الوَرَل المذكور، وأُرُل اسم جبل، والغُرلَـة وهي القلفة، وجَرَل وهو ضرب من الحجارة . انتهى .

قلت : أمَّا الوَرَل فقد ذكرنا ضبطه ؛ وأمَّا أُرُل فبضمَّتين، وهو اسم جبل واسم موضع ببلد فزارة أيضا ؛ وأمَّا الغُرْلَـة فبضمّ الغين وسكون الراء . ورجل أرْغَلُ والجمع غُرْلٌ، كما في الحديث : يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ؛ وأمَّا الجَرَل فبالجيم والراء المفتوحتيْن، وهو الحجارة، أو مع الشجر أو مع المكان الصَّلب الغليظ، جَرِلَ المكانُ ـ بالكسر ـ فهو جَرِلٌ ـ ككَتِف ـ والجمع أجْرَالٌ .

شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبَرِيُّ .

شَرُّ اسم تفضيل . يقال : هذا أشَرُّ من هذا وشَرٌّ منه - بغير همز - تخفيفًا، كما يقال : هذا خيرٌ من هذا، وهو الأكثر استعمالا ؛ والرأيُ : الاعتقادُ، جمعه آراء ورُئِيٌّ، والدَّبَرِيُّ - بفتحتين - : الرأي [الذي][8] يَسْنَحُ للإنسان آخرا، بعد فوات الحاجة . والدَّبَرِيُّ أيضا : الصَّلاة آخر وقتها . قيل : والضمّ فيها من لحن المحدثين .

شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ .

الحُطَمَةُ - على مثال هُمَزَةٍ - من الرُّعاة : الذي يهلك الماشية ويهشّم بعضها ببعض، من الحَطْمِ، وهو الكسر . ويُضرب في سوء السياسة.

قال في **الصحاح** إنّه مثل، ومثله قول الرّاجز :

قد لفّها اللّيلُ بسوّاقٍ حُطَم ليسَ بِراعي إبلٍ ولا غَنَمْ

ووهّمه صاحب **القاموس** وقال إنّه حديث صحيح عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم.

قلت : وليس فيه كبيروهم، إذا لا منافاة . وكذلك وقع لأبي عبيد في **كتابه** أنّه مثَلٌ من أمثالهم .

وقال البكريّ في **شرحه** إنّه كلام يُروى في حديث مرفوع عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم . قال الحسن : دخل العائدُ بنُ عَمْرو المُزَنِيّ، وكان من صالحي أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم، على عبيد اللّه بن زياد فقال له : أي بني، إني سمعت رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم يقول : **منْ شَرِّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ** . فإيّاك أن تكون منهم ! قال عبيد اللّه : اجلس، فإنّما أنت من نُخالة أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ! قال : وهل كانت فيهم نخالة ؟ إنّما النخالة بعدهم في غيرهم.

فائدة : إذا كان راعي الابل أو الماشية كلّها أخرق يظلمها قيل له حُطَمَة، كما مرّ ؛ وإذا كان رفيقا بها يحسن رعايتها قيل له ترعية وترعاية . وقيل إنّ هذا لمَنْ كانت صناعته وصناعة آبائه رعاية الابل.

---

8) ناقص من د.

شَرُّ السَّيْرِ القَحْقَحَةُ .

السَّيرُ معروف ؛ والقَحْقَحَةُ : السير المُتْعِب . ويقال قَهْقَهَةٌ - بقلب الحا هاء-
ومنه قول رؤبة :

يُصبِحن بعد القَرَبِ المُقهْقِهِ   بالهَيفِ من ذاكَ البعيدِ الأمْقَهِ

قال أبو علي البغدادي في **نوادره** : قال مطرِّفُ بن الشِّخّير لابنه : عليك بالقصد، وإيَّاك وسَيْرَ القَحْقَحَةَ ! يريد الاتعاب .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : فيما يُضرب من الأمثال في التوسّط في الأمور : منه قول مُطرِّف بن عبد اللَّه بن الشِّخّير : الحسنة بين السيّئتين، وخير الأمور أوساطها، وشرُّ السير القَحْقَحَة . انتهى .

قال البكري : قال مطرِّف يوصي ابنه : يا عبد اللَّه، إنَّ هذا الدين مَتينٌ فأوغِلْ فيه برفق، ولا تنغّص[9] إلى نفسك عبادة ربّك ! فإنَّ الحسنةَ بين السيّئتين، وخيرَ الأمور أوساطُها، وشرَّ السير القَحْقَحَةُ،وإنَّ المُنْبَتّ، لا أرضًا قَطَع،ولا ظَهْرًا أبقى ! انتهى.

قال : ومن قوله : **إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِين**... إلى آخر الحديث، مرفوع الى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

وأسْيَرُ بيت في هذا قولُ الشاعر :

عليكَ بأوساطِ الأمورِ فإنَّها   نجاةٌ ولا تركَبْ ذَلُولاً ولاصَعْبا !

الشَّرُّ ألْجأهُ إلى مُخِّ العَراقِيبِ .

ويقال أيضا :

شَرٌّ ما أجَاءكَ إلى مُخَّةِ عُرقُوبٍ.

الشَّرُّ نقيض الخير ؛ ولجَأ الرجلُ إلى كذا - بالفتح والكسر - لا ذَبه، وألْجَأتُهُ إليه : اضْطَرَرْتُهُ، وأجأتُهُ إليه أيضا بمعناه ؛ والمخُّ نِقْيُ العَظْم، وعَظْمٌ مُمِخٌّ : ذو

9) في ب : ولا تُبغِّضْ.

نـِقْـيٍ ؛ والعراقيب جمع عرقوب، وهو العَصَب فوق عقب الانسان . وعُرقوب الدابـَّة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وكلّ ذات أربع فعرقوباها في رجليـْها، وركبتاها في يديـْها. والمعنى أنَّ الشرَّ هو الذي ألـْجَأك إلى سؤال اللئام . فيـُضرب عند الاضطرار الى مسألة البخيل . وإنـَّما خصَّ العرقوب لأنَّ مخـَّه شرُّ المخاخ، كما أنـَّه شرّ العظام، كما قال الاخطل لكعب بن جعيل :

وسُمِّيتَ كَعْبًا بشَرِّ العِظامِ وكان أبوكَ يـُسمَّى الجُعَل

شَرُّ المَالِ مالا يـُزَكَّى ولا يـُذَكَّى .

المالُ معروف ؛ والتـَّزْكـِيةُ إخراج الزكاة ؛ والتـَّذْكـِيـَةُ الذَّبح للأكل . والموصوف بما ذُكر الحمارُ ونحوه، لأنـَّه لا زكاة فيه ولا ذكاة له .

شَرٌّ أهـَرَّ ذانـَابٍ .

الشَّرُّ تقدَّم ؛ وهرَّ الكلبُ يـَهـِرُّ هَريرًا : صَوَّتَ ولم ينـْبـَحْ . قال حسَّان، رضي اللـَّه عنه :

يـُغْشَوْن حتـَّى ما تهرُّ كلابـُهم لا يـَسألون عن السَّواد المـُقبِل

غيــــره :

ويـُغشونَ حتـَّى ترى كلبهـُم يهابُ الهريرَ وينـْسى النـُّباحا

وذُو النـَّابِ : الكلب ؛ وأهـْرَرْتـُهُ أنا : حملتـُه على الهرير .

وهذا المثل يـُضرب عند ظهور أمارات الشَّرّ وتبيـّن مخائله .

وأصله أنَّ قائله سمع هرير الكلب في الليل، فأشفق من طارق يطرق بشرّ، فقال ذلك تعظيمًا للحال وتهويلا للأمر عند نفسه ومستمعه، أي : ما أهرَّ ذا ناب إلاَّ شرٌّ عظيم . ولأجل هذا الوصف المنويّ، حسن الابتداء بلفظة «شَرّ» حتـَّى حصل من ذلك الحصر .

شَرُّ يـَومَـيـْهـَا وأغـْوَاهُ لـَهـَا .

هذا يـُضرب عند إظهار البرّ باللـّسان لمَن يـُراد به الغوائل . وهو شطر بيت، تمامه:

رَكِبَتْ عَنْزٌ بِحِدْجٍ جَمَلاً

وسيأتي في حرف اللاّم استيفاءُ الكلام عليه، إن شاء اللّه تعالى .

الشَّرطُ أمْلك، عليكَ أمْ لَكَ .

الشَّرْط - بفتح فسكون - إلزامُ الشيء والتزامه . ويكون أيضا بمعنى شق الجلود، كفعل الحجّام، وأمّا الشَّرطُ - بالتحريك - فهو العَلامة، ومنه أشْراطُ الساعة، أي علاماتها ؛ والمِلْكُ - مثلث الميم - : الاحتواء على الشيء والقدرة عليه .

والمعنى أنّ ما اشترط فهو لازم وأولى أن يُتَّبع، سواء كان ذلك الشرط عليك أم كان لك.

وهذا المثل نطق به القاضي شُريح، ولا أدري أهو المخترع له أم قيل قبله.

ذكر السَّكّاكي في **المفتاح** أنّه حكى أنّ عديّ بن أرْطَأةَ أتى ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها . فلمّا جلس بين يدي شريح قال عدي : أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : إنّي امرؤ من أهل الشام . قال : بعيد وسحيق . قال : وإنّي قدمت العراق. قال : خير مقدم . قال : وتزوّجت هذه . قال : بالرفاء والبنين ! قال : وإنّها ولدت لي غلاما . قال : ليهنك الفارس ! قال : وأردت أن أنقلها إلى داري . قال : المرء أحقّ بأهله . قال : قد كنت شرطت لها وكرها . قال : **الشَّرط أمْلَكُ** مِنكَ ! قال : اقضِ بيننا ! قال : فعلت ! قال : فعلى من قضيت ؟ قال : على ابن أمّك !

قوله : أين أنت ؟ يريد : في أيّ شغل أنت هذا الوقت ؟ هل أنت متفرّغ للنظر فيما بيننا ؟ ولا يريد السؤال عن المكان حقيقة، لكن لما كان فضولا مع ما فيه من سوء الأدب حمله القاضي على حقيقته وأجاب بنفس المكان، تجهيلاً له وتعريضًا أنّه بين جمادين وهما عدي والحائط.

وقوله : بالرفاء والبنين، متعلّق بمحذوف، أي : تزوّجت وأعرست مصحوبًا بالرفاء، أي بالموافقة والألفة، وبالبنين، أي الذكور دون البنات.

وقوله : ليهنك الفارس ! دعاءٌ له وتفاؤلٌ، أي : ليكن ولدك هنيئا لك لاثقابه، ويبلغ مبلغ الفروسة !

وقوله : الشَّرطُ أمْلَكُ منْك ؟ أي ملكه وتصرّفه أقوى من تصرفك، فلا ينبغي أن يُخالف.

وقوله : على ابن أمّك، أي عليك . وإنّما عدل عن التصريح إلى ما ذكر، كراهية مواجهتِهِ بالحكم عليه، لما جُبِلت عليه النفوسُ من كراهة ذلك .

ومثل هذا ما يُحكى عن شريح أيضا من أن رجلاً أقَرَّ عنده بشيء ثمَّ أنكر . فلمَّا قال له : أعط الحقَّ ! قال : من يشهد عليَّ ؟ قال : شهد عليك ابن أخت خالتك . فعدل عن التصريح ستراً عليه وكراهية أن ينسبه إلى الحمق بالانكار بعد الاقرار .

شَرْعُكَ ما بَلَّغَكَ المَحَلَّ .

يقال : هذا الشيء شَرْعُك، أي حَسْبُكَ، ومررتُ برجلٍ شَرَعِكَ من رجُلٍ ! أي حَسْبِك . والمعنى أنَّه من النحو الذي يُشْرَعُ فيه ؛ والتَّبْليغُ معروف ؛ والمَحَلُّ : الموضع الذي تريده .

والمعنى أنَّ ما بلَّغك المحلَّ المراد فهو حسبك . يُضرب في التبليغ باليسير .

وقال أبو عبيد : من أمثالهم في جود الرجل بما فضل عن حاجته بماله قولهم :

يَكْفيكَ ما بلَّغَكَ المحَلَّ .

قال البكري : المشهور في هذا : شَرعُكَ ما بلَّغكَ المَحلَّ، أي حَسْبُكَ .

وقال آخر في هذا المعنى :

حَسْبُ الفَتى مِن دَهْرِهِ زادٌ يُبَلِّغُهُ المَحَلا
خُبْزٌ وماءٌ بَارِدٌ والظِّلُّ حينَ يُريدُ ظِلاّ

قال : والمحلّ هو الدار الباقية .

شَرِقَ مَا بَيْنَ القَومِ بِشَرّ .

يقال : شَرِقَ بالماء ـ بالكسر ـ إذا غصَّ به . قال عَدِيُّ بن زيد :

لو بِغيرِ الماءِ حلْقي شَرِقٌ كُنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري

ويقال هذا المثل إذا نشب الشرّ بين النّاس .

والمعنى أنّه امتلأ ما بينهم بالشرّ، فكأنّه غصّ . وهذا كما تقول : غصّ المجلس بأهله، أي امتلأ، على طريق التمثيل .

اشْتَرِ لنَفْسِكَ ولِلسُّوقِ !

هذا مثل يُضرب في الاحتياط . ومثله قولهم : إذا اشْتَرَيتَ فاذكُرِ السُّوقَ ! وقد تقدّم في الباب الأوّل . ومثله ما حكى البكري أنّ عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، كان يقول : إذا اشْتَرَيتَ بَعِيرًا فاجْعَلْهُ ضَخْمًا، فإن أخْطَأكَ خُبْرًا لم يُخْطِئْكَ سُوقًا.

شَغَلَتْ شِعَابِي جَدْوَايَ .

الشُّغْلُ ـ بالضّمّ وبضمّتيْن، وبالفتح وبفتحتيْن ـ ضدّ الفراغ، شَغَلَهُ شُغْلاً ـ بالفتح ـ، وأشْغَلَهُ أيضا ؛ والشّعابُ جمع شِعْبٍ ـ بالكسر ـ من الأرض ؛ والجَدْوَى: المطر العامّ والعطيّة أيضا.

ويُضرب هذا المثل فيما إذا لم يكن لمالك أو عطائك أو علمك أو نحو ذلك فضلٌ عن نفسك أو عن من يتعلّق بك، كالمطر تشغله شعابك، فلا يصل الى موضع آخر.

ومعنى ذلك أنّه إذا قلّ المطر الواقع في الشعاب أو النازل إليها من التلاع، شربته وشغلته بذلك عن أن يخلص الى ما بعدها من الأودية والبقاع.

أشْغَلُ من ذاتِ النّحْيَيْن .

الشُّغْلُ مرّ ؛ والنّحْيُ ـ بكسر النون وسكون الحاء المهملة ـ: الزّقُّ . وقيل مخصوص بما كان للسّمن ؛ وذاتُ النّحْيَيْن امرأة من تَيْمِ اللّه بن ثعلبة، كانت خرجت في الجاهليّة تبيع السمن، فأتاها خَوّاتُ بنُ جُبَيْرِ الأنصاري ـ رضي اللّه عنه ـ فساومها، فحلّت نِحْيًا مملوءًا، فنظر إليه ثمّ قال : أمسكيه حتّى أنظر إلى الآخر ! ثم حلّ نِحْيًا آخر فقال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ! فلمّا شغل يديها معًا وقع عليها حتّى قضى

أربه منها فهرب. فضربت العَربُ بشغلها المثل وقالوا : أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْنِ، وبَنَوْا أشْغَلَ من شُغِلَ، بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله، على وجه الشذوذ .وتقدَّم نظيره وتوجيهه.

وقال خَوَّاتٌ في ذلك :

وذات عِيالٍ واثقينَ بِعقلِها خَلَجْتُ لها جارَ استِها خَلَجاتِ

وشُدَّت يَداها إذ أردتُ خِلاطَها بِنِحْيَيْنِ من سمْنٍ ذوَيْ عجراتِ

فكان لها الويْلاتُ من تَرك سَمْنِها ورجَّعْتُها صِفْرًا بغير بتاتِ

فشدَّت على النِّحيينِ كفًّا شَحيحةً على سمْنِها والفَتْكُ منْ فَعَلاتي

قال في الصحاح : ثمَّ أسلم خَوَّاتٌ وشهد بدرًا، فقال له رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : يا خوَّاتُ، كيف شراؤك ؟ وتبسَّم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . فقال : يا رسول اللَّه، قد رَزَقَ اللَّهُ خَيْرًا، وأعُوذُ باللَّهِ من الحَوْر[1] وهجا رجلٌ تيمَ اللَّه فقال :

أُناسٌ ربَّةُ النِّحْيَيْنِ منهُمْ فَعَدُّوهَا إذا عُدَّ الصَّميمُ

شَغَلَهُمُ الصَّفْقُ بالأسْواقِ .

يُتمثَّل به، وهو من كلام عمرو بن أبي هريرة، رضي اللَّه عنهما، لما ذُكر لعمر حديث عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لم يروه . قال : اخفي عليَّ هذا من أمر رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم شغلني الصفق بالأسواق، أي الاشتغال بالبيع والشراء، لأنَّ المشتري والبائع يضرب أحدهما بيده على يد صاحبه، وهو الصَّفْقُ.

وقال أبو هريرة : إنَّ إخواني من المهاجرين والأنصار شغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وكنت ألزم رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم على شِبَعِ بطني، كما في الصحيح.

شَقُّ العَصَا .

الشَّقُّ : الصَّدْعُ ؛ والعَصَا ـ بالقصر ـ: العُودُ يُضرب به . والعصا أيضا : اللِّسانُ وعَظْم السَّاق وجماعة الاسلام . وقولهم : شَقَّ فُلانٌ العَصَا، أي فارق الجماعة .ويقال

1) في النهاية : نَعوذُ باللَّه مِنَ الحَوْرِ بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة.... وأصلُهُ من نقض العمامة بعد لفها.

في الخوارج : شقُّوا عصا المسلمين، أي فارقوا جماعتهم.
وقال الشاعر :

إلى اللّه أشْكو نـيـّةً شقّت العصا ... كذاك النـّوى بين الخليطِ شقوقُ

وقال الآخـــر :

إذا كانت الهيْجاءُ وانشقّت العصا ... فَحسبُك والضّحّاكَ سيفٌ مُهنّدُ !

أشْكَرُ مِنْ بَرْوَقَةٍ .

الشُّكْرُ - بالضمّ - أن تعرف الاحسان وتنشره : والشُّكْرُ من اللّه تعالى : المُجازَاة والثناء الجميل ؛ والبَرْوَقَةُ - بسكون الراء - واحدة البَرْوَق، وهو شجر ضعيف، إذا غامت السماء اخضرّ، فوُصف لذلك بالشكر .

أشْكَرُ مِنْ كَلْبٍ .

الشُّكْرُ مرّ ؛ والكَلْبُ معروف، وشكره رضاه بالموجود وقناعته وحياطته لصاحبه وقيامه عليه واتّباعه له مع ذلك .
وممّا يُحكى في هذا عن بعضهم قال : دخلت على العتّابي، فوجدته جالسًا على حصير وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض حوله يشرب كأسا ويولغه أخرى . فقلت له : ما أردت بهذا ؟ قال : إنّه يكفّ عنّي أذاه[2] ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قليلي، ويحفظ مبيتي ومقيلي، فهو من الحيوان خليلي.
قال الراوي : فتمنّيت واللّه أن أكون كلبا لأحوز هذا النعت منه !
ويقال إن الحَارِثَ بنَ صَعْصَعَةَ كان له نُدماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبّة لهم . فخرج في بعض متنزّهاته ومعه ندماؤه . فتخلّف منهم واحد، فدخل على زوجته، فأكلا وشربا ثمّ اضطجعا . فوثب الكلب عليهما فقتلهما . فلمّا رجع الحارث إلى منزله وجدهما ميتيْن وعرف الأمر . فأنشا يقول :

فيا عجبًا للخِلّ يهتِكُ حُرمتي ... ويا عجبا للكلبِ كيفَ يصونُ

2) في غير ب : يكفُّ عنه أذاه. وهو تحريف.

وما زال يرعى ذِمَّتي ويحُوطُني   ويحفَظُ عِرسي والخليلُ يخونُ !

ويُوثر في حديث أنَّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم رأى رجُلاً مقْتُولاً فقال : ما شَأنُهُ ؟ قالوا : إنَّهُ وثَبَ على غَنَمِ بَني زُهْرَةَ فأخَذ منها شَاةً، فَوثَبَ عليهِ كَلْبُ الماشِيَةِ فَقَتَلَهُ . فقَالَ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم : قَتَلَ نَفْسَهُ وأضاعَ دينَهُ وعَصَى رَبَّهُ وخَانَ أخَاهُ وكانَ الكَلْبُ خَيْراً منْهُ.

ويُحكى عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنه : كَلْبٌ أمِينٌ خَيْرٌ من صَاحِبٍ خَؤُونٍ

وقد ألَّف بعض العلماء[3] تأليفا في فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب.

شَاكِهْ أبَا فُلاَنٍ .

المُشَاكَهَةُ : المُشَابَهَةُ .

وأصله أنَّ رجلا عرض فرسًا له في السوق، فقال له رجل : أهذه فرسك التي كنت تصيد عليها الوحش ؟ فقال : رَبُّ الفَرسِ : شَاكِهْ، أي قارب في المدح ولا تُفرط . فيُضرب في الامر بالقصد في المدح.

ويُحكى أيضا في هذه القصَّة أنَّ الأعرابي أقام فرسه للبيع فقال صاحبه : إنَّها لَتُصاد عليها الوحش وهي رابضة . فقال له : رَبُّ الفرس، لا أبالك، اكذب كذبًا مؤامًّا به الدَّهر ! أي موافقا به الدَّهر في تقلّباته وأحواله الجائزة الوقوع.

وقيل إنَّ رجلا أدخل حمارا له السوق، فجعل رجل يقال له أبو يسار يمدحه ويقول : إنَّ حافِرَه جُلمود، وإنَّ ظهره حَديد . فقال صاحب الحمار : **شاكِهْ أبا يَسارٍ، دونَ ذا ويَنْفُقُ الحمارُ** ! وتقدَّم هذا في الدَّال .

شَكَا إلى غَيْرِ مُصَمِّتٍ .

الشَّكْوَى أن تذكر الغير بسوء فعله بك، تقول : شَكَوتُ فلانا أشْكُوه شَكْوىً وشِكايَة وشكية، فهو مَشْكُوٌّ ومَشْكِيٌّ ؛ وأشْكَيته : فعلتَ به ما يشكوه، أو أعتبتَه وأزلتَ شكواه . فهو من الأضداد . قال الراجز :

3.) هو أبو بكر بن محمد بن خلف ابن المرزبان.

تمُدُّ بالأعْنـاقِ أو تلويها وتشْتَكي لوْ أنَّنا نُشْكِيهَا

وصَمَت يَصْمُت صُموتا وصُماتًا، وأصْمَتَ إصْمَاتًا، وصَمَّت تَصْميتًا : سكت ؛ وأصْمَتُه أنا وصَمَّتْتُه تصميتًا : أسْكَتُّه، لا زمان متعدّيان . فيقال : شكا فلانٌ إلى غير مصمت، أي إلى من لا يبالي به، فلا يُصمِتُه لأنَّ من شكا الى من يُعْنَى بحاجته ويهتبِلُ بأمره ويقوم بحقّه يقضِي أربه ويُزِيل شكواه ويشفي ما في صدره فَيَصْمُتُ عن الشكوى حينئذ.

قال الراجز :

إنَّك لا تَشْكو إلى مُصَمِّتٍ فاصْبِرِ على الحِمل الثّقيل أو مُتِ !

ونحوه المثل الآتي : **هانَ على الأمْلَسِ ما لَقِيَ الدبر.**

الشَّماتَةُ لُؤْمٌ.

الشَّماتَةُ : الفرح بمصيبة العدوّ، ويقال : شَمِتَ به - بالكسر - يَشْمَتُ شَمَاتًا وشَمَاتَةً، فهو شَامِتٌ . قال أبو صَخْرٍ الهُذَلِي :

وتجلُّدي للشَّامتيـن أُريهُـمُ أنِّي لريْبِ الدَّهرِ لا أتضعْضعُ

واللُّؤمُ - بضمّ اللاّم وسكون الهمزة - ضدّ الكرم، لَؤُمَ - بالضمّ - لُؤْمًا، فهو لَئِيمٌ وهم لُؤماءُ . وهذا الكلام يُعزى لاكْثَمِ بْنِ صَيْفِيّ، حكيم العرب.

والمعنى أنَّه لا يَشْمَتُ بالغير ولا يفرح بِبَلِيَّتِهِ إلاّ مَن لَؤُمَ أصلُه.

وقال ابن أبي عُيَيْنَة.

كلُّ المصائِبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتَةِ الحُسَّادِ

وقال الآخـــر :

إذا ما الدَّهرُ جرَّ على أُناسٍ كلاكِلَهُ أنـــامَ بِآخرينــــا

فقُلْ للشَّامتين بنا: أفيقـوا سَيَلْقى الشَّامتُون كما لقِينا !

أشَمُّ مِنْ نَعَامَةٍ .

الشَّمُّ حَاسَّةُ الأنف، تقول : شَمِمْتُ - بالكسر والفتح، أشُمُّ - مفتوحًا ومضمومًا -

شَمًّا وشَميمًا وشِمِّيمَى ؛ وتَشَمَّمْتُهُ ؛ والنَّعام تقدَّم . يقال إنَّه لا سمع له، ومن ثمَّ يقال إنَّه أصلم . فأُعطي من قوَّة الشم بأنفه ما ينوب عن السَّماع، حتَّى إنَّه يشمّ رائحة القنَّاص من بعيد .

شِنْشِنَةٌ أعْرِفُهَا مِن أخْزَمَ .

الشِّنْشِنَةُ - بالكسر -: الطَّبيعة والخلُق ؛ وأخْزَمُ - بالزاي - رجل من طيّئ ، وهو ابن أبي أخزم، جدّ حاتم، أو جدّ جدّه . مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يوما على جدّهم فأدْمَوْه، فقال :

إنَّ بَنِيَّ زَمَّلُوني بالدَّمِ   مَن يَلْقَ آسادَ الرِّجال يُكْلمِ
ومن يَكُنْ ذا أودٍ يُقَوَّمِ   شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ(4)

لأنه كان عاقًّا كذلك.

ويُحكى أنَّ عَقِيلَ بن عُلَّفَةَ - بضمّ العين المهملة وفتح اللاّم المشدّدة بعدها فاء، على وزن قُبَّرَة - بن الحارث المريّ، خرج هو وابناه، جَثَّامَةَ وعَمَلَّس، وأختهما الحَوْراء، حتَّى أتوا ابنة له ناكحا في بني مروان بالشام، ثمَّ قفلوا حتَّى إذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قَضت وطرًا من دير سعدٍ وطالما   على عرضٍ نَطحْنَهُ بالحَماجِمِ

ثمَّ قال : أجِزْ، يا جَثَّامة !

فقال :

[وأصبَحنَ بالهَوماتِ يحمِلنَ فِتيَةً   نَشاوَى من الإدْلاجِ هيلَ العمائمِ(4م).

ثمَّ قال : أجِزْ، يا عملَّس !

فقال :

---

4) في لسان العرب ثلاثة أشطر فقط هكذا :
إنَّ بنيَّ زمَّلوني بالدَّمِ
شنشنة أعرفُها من أخْزمِ
مَنْ يَلْقَ أسادَ الرجالِ يُكْلَمِ
4م) ساقط من ب .

إذا علـمٌ غادرْنَهُ بنَتْـوفَـةٍ تَـذارَعْنَ بِالأيْـدي لآخرِ طاسِمِ
ثمَّ قال : يا حوراء، أجيزي !
فقالت :
كأنَّ الكَرى ساقاهُمُ صرخَديـّةٌ تدبُّ دبيبًا في المطا والقوائمِ
فقال عقيل : شَرِبَـتْها، وربِّ الكعبة ! ثمَّ شدَّ عليها بالسيف ليقتلها، فقال أخوها : ما ذنبها ؟ إنـَّما أجازت شعرا ! فشدَّ عليه أحدهم فخدشه بسهم، فجعل يتمعَّك في دمه ويقول :
إنَّ بَنيَّ ضرَّجُـوني بِالـدَّمِ مَن يلْقَ أبْطال الرِّجالِ يُكْلَمِ
شِنْشِنَـةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ
ثمَّ توجَّه ولده للطريق . فلمَّا مرّوا ببني القين قالوا لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا : نعم ! قالوا : الزموا أثر هذه الرَّواحل ! فذهب القوم حتَّى انتهوا إلى عقيل، فحملوه وعالجوه حتَّى برىء ولحق بهم. فقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : من أمثالهم في تشبيه الرجل بأبيه : **شِنْشِنَـةٌ أعْرِفُها من أخْزَم**. قال : وهذا المثل يُروى عن عمر بن الخطَّاب، رضي اللَّه عنه. قاله في ابن عبَّاس، رضي اللَّه عنهما، شبهه في رأيه بأبيه.
قال البكري : أخزم هذا هو جدّ حاتم بن عبد اللَّه الطَّائيّ، وهو حاتم بن عبد اللَّه بن سعد بن الحشرج بن أخزم بن أبي أخزم . وقيل هو جدّ عقيل بن عُلَّفَة . والشِّنْشِنة : النُّطفة، من شَنْشَنت إذا أرَقْت . يُراد ما أراق من النطفة في الرحم.
قال أبو بكر : وقال قوم : الشِّنْشِنة : الغَريـزة والطبيعة . فمن جعل أصل المثل لأخزم الطائيّ قال : كان أخزم جوادًا . فلمَّا نشأ حاتم وعرف جوده قال النَّاس : شِنْشِنة من أخزم، أي قَطْـرَةٌ من نُطفة أخزم . قال : وذكر علي بن الحسين أنَّ عقيل بن عُلَّفة ابن الحارث المرّي أتى منزله فإذا بنوه مع بناته وأزواجه مجتمعون . فشدَّ على عَمَلَّس منهم، فحاد عنه وتغنَّى ابنه عُلَّفة :
قِفي يا ابنـَةَ المرِّيّ أسْألْكِ ما الذي تُريدينَ فيما كُنت منَّيتِنا قبلُ
فإن شِئتِ كان الصَّرمُ ما هبَّت الصَّبا وإن شِئتِ لا يفْنى التَّكارمُ والبذلُ !
فقال عقيل : يا ابن اللخناء،متى منَّتك نفسُك هذا ؟ وشدَّ عليه بالسيف . فحال

علمس بـينه وبينه، وكان أخاه لأمّـه وأبيه . فشدّ على عملس بالسيف وترك عُـلّـفة ولم يلتفت إليه. فرماه عملسٌ بسهم وأصاب ركبته . فسقط عقيل يتمعّك في الدم وهو يقول :

إنَّ بنيَّ سَربَلـوني بالـدَّمِ من يَلْقَ أبْطالَ الرّجالِ يُكْلمِ
ومَن يكُن ذَا أودٍ يُقَوَّمِ شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ

قال المدائني : شِنْشِنةٌ أعْرِفُها من أخْزَمَ مثلٌ ضربه، وأخْزَمُ فحْلٌ كان لرجل من العرب وكان منجبًا، فضرب في إبل رجل آخر ولم يَعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال : شنشنة أعرفها من أخزم . انتهى كلام البكري.

وقال ابن ظفر، في **شرح المقامات** : هذا المثل ضربه جدّ حاتم، حين نشأ حاتم وتقيّل أخلاق جدّه أخزم في الجود، فقال : شنشنة... إلخ. وتمثّل عقيل بن عُلّفَة به حين قال: إنَّ بَنِيَّ...إلخ. ومن ادّعى أنَّ المثل له فقد سها فيه . انتهى.

شَاهِدُ البُغْضِ اللّحْظُ.

مثله قولهم أيضا : **رُبَّ لَحْظٍ أنَمُّ من لَفْظٍ**، كما مرَّ من قول زهير :

فإن تكُ في عَدُوٍّ أو صَديقٍ تُخبِّرك العيونُ عنِ القلوبِ

وقول ابن أبي حاتم :

خُذْ من العَيْشِ ما كَفَى ومِنَ الدَّهْرِ ما صَفَا
عَيْنُ مَن لاَ يُحِبُّ وَصْـ لكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

وقول الآخـر :

تُخْفِي العَداوةَ وهْيَ غير خفيَّةٍ: نظَرُ العَدوِّ بما أسَرَّ يبوحُ

وقالوا : يُعَبِّرُ عن الانسان اللّسان، وعن المودّةِ والبُغْضِ العِيَان.

يَشُوبُ ويَرُوبُ.

الشَّوْبُ : الخَلْطُ، تقول : شُبْتُ اللّبن وغيره بالماء، أشُوبُهُ شَوْبًا ؛ والرَّوْبُ : الرّائِبُ وهو اللبن الخاثِر قبل أن يُمخض . ولا يزال يُسمّى بذلك حتّى يَمخض ويُنزع زبده . ثمَّ يبقى ذلك الاسم عليه بعد . قال الشاعر :

سقاكَ أبو ماعِـزٍ رائبًـا ومَن لَـكَ بالرّائبِ الخاثرِ ؟

يقول : سقاك الممخوض، ومن لك بالذي لم يُـمخض ؟ وهذا قول أبي عبيد.

ورأبْـتُ اللـّبن ورَوّبْـتُـهُ، ورابَ هو يـَرُوبُ رَوْبـًا ورُؤُوبـًا . والمِرْوَبُ : السّقَـاء الذي يروب فيه.

ويقال : **ما لَـهُ شَـوْبٌ** ولا رَوْبٌ، أي مَـرَقٌ ولا لبن.

وقيل الشَوْب العَسَـل، والرّوْب اللـّبن، **وفلانٌ يَـشُـوبُ ويـَرُوبُ** : يَـخلط ويُـصفّـي، ويمزج الهزل بالجدّ.

يُـضرب في إصابته مرّة وإخطائه أخرى. ويقال : **يَـشُـوب ولاَ يـَرُوب**، أي يخلط ولا يخلص.

وأصل يـَرُوبُ في المثالين يـَريبُ، وإنـّما قيل يـَرُوبُ للازدواج.

شُـبْ شَـوْبـًا لَـكَ رُوبـَتُـهُ !

الشـّوْبُ تقدّم ؛ والرُّوبـَةُ - بضمّ الراء - [روبة][5] اللـّبن، وهي خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب.

وهذا كما يقال : **احْـلُـبْ حَـلَـبـًا لَـكَ تنظره** ! كذا في **الصحاح**. وهو يناسب أن تكون اللاّم في لَـكَ للملك والاستحقاق فيما يستقبل ؛ ويُـحتمل أن يكون الملحوظ فيها المُـضِيّ، فيقال لمن شبّ نار فتنة أو تسبـّب في أمر من الأمور، كأنـّه قيل له : اجر في فتنة أنت مثيرها أو منك كان أقوى أسبابها والاعانة فيها.

شَاوِرُوهُـنّ وخَـالِـفُـوهُـنّ !

أي النساء . يُـتمثـّل به، وهو حديث.

شَـالَـتْ نـَعَـامَـتـُهُ.

يقال : شَـالَـتِ النـّاقة بذنـَبها تـَشُـولُ شَـوْلاً وشَـوَلاَنـًا، وأشَـالَـتْـهُ : رَفـَعَـتـْهُ،

---

5) ساقط من د.

وشَالَ الذَّنَبُ نَفْسُهُ : آرْتَفَعَ، لازمٌ متعدٍّ ؛ وشال بالحجر أيضا وأشاله : رفعه ؛ والنَّعامة الحيوان المعروف . والنَّعامة أيضا : جماعة القوم وباطن القدم، يقال للقوم : شالت نعامتُهم إذا خفتْ منازلُهم أو تفرَّقت كلمتهم أو ذهب عزُّهم . وشالت نعامة فلان إذا خفَّ وغضِب، ثمَّ سكن. هكذا قال بعض العلماء . وقال آخرون : يقال شالتْ نَعَامَةُ فُلان إذا هلك . ومن هذا قول الشاعر :

يا ليتَما أُمَّنا شالت نعامتُها أيْمَا إلى جنَّةٍ أيْمَا إلى نارِ !

قيل وذلك لأنَّ النَّعامة باطن القدم، وشالت : ارتفعت، ومن شأن من هلك أن ترتفع رجلاه وينكسر رأسه فتظهر نعامة قدمه . ومن ثمَّ يقال : تَنَعَّمَ فلان إذا مشى حافيًا على نعامته، كقوله :

تنعَّمتُ لمَّا جاءني سوءُ فعلِهمْ ألا إنَّما البأساءُ للمُتَنَعِّمِ !

واختُلف في قول عنترة :

فيكونُ مركَبُكَ القَعُودَ ورحْلَه وابنُ النَّعامةِ عند ذلكَ مركبي

فقيل : ابن النَّعامة : الطريق، وقيل : باطن القدم . وسُمِّي الطريق بذلك لأنَّه مركب لها.

شَوى حتَّى إذا نضِجَ رمَّدَ .

شَيُّ اللَّحْم معروف ؛ والنُّضْج كمال الطَّبْخ ؛ والتَّرميدُ : جعلُه في الرَّماد وتعْفينُه به . فيقال لكلّ من أفسد الشيء بعدما صلُح.

شَيْئًا ما يَطلُبُ السَّوطَ إلى الشَّقْراءِ !

السَّوطُ معروف ؛ والشَّقْراءُ فرس لبعض العرب، ركبها فجعل كلَّما ضربها زادته جريًا.

يُضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . كذا في **القاموس**.

وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

أشْربْتَنِي ما لَم أشْربْ.

أي ادّعيتَ عليَّ ما لم أفعل . وقولهم :

الشَّعَرُ أحَدُ الوجْهَيْنِ .

أي النظر إليه كالنظر إلى الوجه.
وقول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم.

شاهَتِ الوجوهُ،

فإنّه كثيرًا ما يُتمثّل به . وقول الحريري :

شَوَى في الحريقِ سَمَكَتَهُ.

والحريقُ اسم، من الاحتراق ؛ والسَّمكَةُ : الحُوتَةُ، وهي إنّما تُشوى في النّار القويّة وفي اللّهب ما دام ؛ فإذا سكن تعب في شيّها.

فيُضرب ذلك مثلا لقضاء الحاجة من القاضي ما دام غضبه للكرام بتحريكه للنوال بالشعر، وانتهاز الفرصة منه قبل سكون غضبه، فقد لا يوجد إذ ذاك.

وإذ فرغنا من الأمثال المنثورة فلنذكر ما تسنّى من الشعريّة.

قال الشاعر :

لقَد كثُرَ الظّباءُ على خِداشٍ

وهذا المثل مشهور، وتمام البيت :

فما يَدْري خِداشٌ ما يَصيدُ

غير أنّه إذا تُمّم خرج عن هذا الباب.

وقال بعض الوُعّاظ، مضمّنا لهذا المثل، في ذمّ الدنيا :

يا راكِضًا في طلابِ دنْيا	ليس لمن تصرْعُ انتعاشُ
تنحّ يا عُرضَةً لِرامٍ	أسْهُمُهُ بالرَّدى تُراشُ
لا تَغْشَ نارًا[ ][6] لظاها	بِمَن له نحْوها انْحِياشُ !

6) بياض في الأصل

أعْذِرُ منكَ الفَراشُ حَالاً … علِمْتَ ما يجهَلُ الفَراشُ
تطْلُبها لا تنامُ عَيْنٌ … عَنْها ولا يسْتقِرُّ جَاشُ
مَن لك بالرِّيّ مِن شَرابٍ … يشْتدُّ من شُربِه العُطاشُ ؟
دعْها فطُلاَّبُها رَعَاعٌ … طاشَتْ بألْبابهِمْ فطاشُوا
وآظْمأْ لتَروى وكُنْ كَقَوْمٍ … ماتوا بها عِفَّةً فعاشوا !
لم يَردوها فَهُمْ رِوَاءٌ … ووَارِدُوها هُمُ العِطاشُ
كأنَّ آمالَنا ظِباءٌ … وأنتَ من حَيْرةٍ خِداشُ
إنَّ لأيَّامنا آنْبِساطًا … به لأعْمارنا آنْكِماشُ
كأنَّ آجَالَنَا صُقُورٌ … ونَحْنُ من تَحْتِها خَشَاشُ

وقال الآخر :

ما لقويٍّ عن ضعيفٍ غِنًى … لا بُدَّ للسَّهْمِ من الرِّيشِ !

وقال أبو الطيّب :

ونَهْبُ نُفوسِ أهل النّهب أولى … بأهْل المجدِ من نهبِ القُماش

وقال الآخر :

وقد كُنت مركَبَكُم في الصُّدور … فصرتُ بها مُلحقًا في الحواش

وقال سابق البربري :

فلا تُخْبر بسرِّك، كُلُّ سرٍّ … إذا ما جاوزَ الاثنين جاشا !

والاثنان هنا الشَّفتان .

ومثله عند بعضهم قول الآخر :

إذا جاوز الاثنين سرٌّ فإنَّه … ببثٍّ وإفشاءِ الحديث قمينُ

وقال القائم بأمر اللّه، أحد ملوك بني العبَّاس :

القلبُ من خمر التَّصابي مُنتشٍ … هل لي غديرٌ من شرابٍ مُعطِشِ ؟
والنَّفسُ من بَرْحِ الهوى مقْتولةٌ … ولكمْ قتيلٍ في الهوى لم يُنعَشِ !
جُمعَت عليَّ من الغرامِ عجائبٌ … خلَّفْنَ قلبيَ في إسارٍ موحِشٍ :
خِلٌّ يصُدُّ وعاذلٌ مُتَنَصِّحٌ … ومُنازعٌ يُغْري ونمَّامٌ يَشي

غيـــره :

إذا الواشي بَـغى يومًا صَديقًا ... فلا تَـدعِ الصَّديق لقول واشِ !

وقلت أنا :

ولائـمَـةٍ هبَّت بلـيـلٍ تلـومُـني ... وثوبُ الدُّجى ما للصَّباح به نَـقْشُ
وليس لِـديبَـاجِ السَّماء التَّذي سما ... علينا سوى ترقِـيشِ أنْـجُـمِـهِ رقْشُ
وقــد جوّبَـت آفاقهـــا فكأنَّهــــا ... من السُّندسِ الخُضرِ السُّرادِقُ والعرشُ
كأنَّ النُّجوم الزُّهر في جنباتها ... وجـوهٌ زهتْـهـنَّ الـملاحةُ والـبشُّ
تلومُ على أن لم تر الدَّهر مُـسعِـدًا ... مُـناي وصرفُ الدَّهر ليس له حفْشُ
وأشجى حشاها أن تبدَّى بعاتقي ... لأنْـيابِـه عضٌّ وفي عضُدي نهْشُ
وأن قد تفصَّى من رزاياه طارفي ... وأن قد جرى منه على أعْـظُـمي محْشُ
فباتت يُـناجيها الأسى ويجيشُـهـا ... إليَّ تناجيني ويغْـلِـبُـها الجهْشُا
وتمْحضُـني منها تخالُ نصيحَـةً ... ولم تدرِ أنَّ النُّصحَ آونَـةً غِـشُّ
تقول : التجِئْ للمُـتْـرفين فإنَّـه ... إلى نارهم مَـن نابَـهُ دهْـرُه يعْـشو
فقلت لهـــا إذ كان زورًا مقالُـهـــا[7] ... مقالَـة شهْـمٍ ليس في قيلِـهِ رفْـشُ :
هو الدَّهر ما يُـبْـقى على مُـتخشِّعٍ ... جزوعٍ ولا يرثي لشاكٍ إذا يكْـشو
وأحْـداثُـه تجري فَـمن ذي هوادةٍ ... أليفٍ وذي شحْـناء أخْـذَتُـهُ بَـطشُ[8]
وما الدَّهرُ إلاَّ واديانِ فمُـعْـشِبٌ ... أنيسٌ لمُرتادٍ وذو جَـردٍ وحْـشُ
وداران دارٌ ذاتُ نُـعْـمى هنيئةٍ ... وفُـرشٍ وأخْـرى لا نعيمٌ ولا فُـرشُ
ويومان يومٌ أنت فيه مُـتـوَّجٌ ... على العرش أو يومٌ به حسبُـك الفرشُ
وما المال إلاَّ مُزنُ صيفٍ وقلَّـما ... يدومُ ويُـجدي للصَّدى ذلك الطَّشُّ
ولـيلةُ سارٍ بينما هوَ مُـقْـمِـرٌ ... بصحراءَ غابَ البدرُ فاستوسقَ الغبْش
وليس الفتى من ليس يبْـرحُ ضارعًا ... هلوعًا إذا يرميه من دهْـره خَـدشُ
كئيبٌ بئيسٌ إن عرتْـه مُـلمَّةٌ ... وتغشاهُ إن أثرى الشَّراسةُ والفُـحشُ

7) في الديوان : فقلت لها إذكَـانَ جَـوْرًا مَـقَـالُـهَا.
8) في الديوان : أحْـدَاثُـهُ بَـطْـشُ.

سَؤولٌ لما وافى منوعٌ لما حوى[9] ودودٌ لمن أثرى بغيضٌ لمن يغشو
عزيزٌ على المولى ذليلٌ على العدا عبوسٌ إذا يسمو طليقٌ إذا يلشو
ولكنَّ مَنْ إنْ ناله لا شباتُهُ تُفلُّ ولا في حزْمِه يُدركُ النّفشُ
ضنينٌ بماءِ الوجه لا يستثيرهُ إلى مطْمعٍ في غير خالقِه حرشُ
صبورٌ على عِلاّتِه مُتجرّعٌ دوينَ الهوانِ ما تهوّعه الرّقشُ
عليمٌ بأنَّ النّائباتِ إذا عرتْ فملجؤها السّامي بسُلطانه العرشُ
هو المُرتجى في فتحِ ما كان مُرتجًا وتنويرِ ما أمسى به أظْلَم الغَطشُ
وثيقٌ بهذا لا تلينُ صَفاتُهُ إذا قَرعَتْ أحْشاءهُ النُّوَبُ المحش
قريبٌ من المولى صفيٌّ إذا اعتنى[10] ومُبتعدٌ عنه إذا مسّه خيشُ[11]
فلا عرضُه يبلى ولا حزْمُه يهي ولا وهْنُه يبدو ولا سرُّه يفْشو
فذلك ما عاش السّميُّ مكانُه وأخلِقْ بأن يسمو إذا حفّه النّعشُ !

قوله : السُّرادقُ والعرش، السُّرادق : البيت من الكُرسُف والذي يمدّ فوق صحن الدار؛
والعرش : الخيمة وسقف البيت وما يستظلّ به
والبَشُّ والبَشَاشة : طَلاقةُ الوجه.
والمُقْربَاتُ : الخيل تقرب مرابطها.
والبَرَشُ، في شَعَر الفرس، نُكَتٌ صِغَار تخالف سائر لونه.
والخفش : الطّرد[12]
والمَحْشُ : قَشْرُ الجلد من اللحم وشدّة الأكل.
والجَهْشُ : الفزَع، يقال : جَهَشَ إليه جَهْشًا إذا فزِع . وهو يريد البكاء كالصبيّ.
والرّفْشُ : الضّعْفُ والوهَنُ أو الخلط، من قولك : رفَشْتُ الشيء إذا دقَقْتَه وهَرَسْتَه، مجازًا.

9) في الديوان :«سؤول بما وافى منوعٌ بما حوى»
10) في الديوان :«قريب صفيّ بالصديق اذا اعتنى» وهو أنسب، لكن يظهر أن فيه تصحيفين وربما كان الاصل : «قريب حفيّ بالصديق إذا اغتنى».
11) في الديوان :«خَمْش» وهو أنسب.
12) كذا في الأصول، وهو ما يدلّ عليه سياق النظم أيضًا. لكن في الصحاح ولسان العرب أن الخفش ضعف في البصر وضيق في العين الخ ولم يذكر من معانيه الطرد.

والكَشْوُ : العَضُّ.

والغَبْشُ : ظلمةُ آخر الليل.

وأثْرى الرجلُ : كثُر مالُه.

وغَشَاه يَغْشوه، وغَشِيه يَغْشاه : أتاه.

ولَشَا الرَّجُلُ : خسَّ بعد رفعة.

والحَرشُ : التحريك والاصطياد.

ولنكتف بهذا القدر، واللّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

---

63) في الديوان : على هبة...

64) في د : وإني رأيت الصبر..

65) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

باب الصاد

أصْبَرُ من حِمَارٍ .

الصَّبْرُ خلاف الجزع، صَبَر - بالفتح - صَبْراً فهو صابر وصَبُور، وتصبَّر واصْطَبر. والصَّبْرُ أيضا : الحَبْس واللُّزوم ؛ والحمار معروف، وطبعه الصَّبْر على الأثقال والأحمال.

أصْبَرُ من ذِي الضَّاغِطِ .

الصَّبْر مرَّ ؛ وذو الضَّاغط : البعير، والضَّاغط انفتاق في إبطه.
وفي عبارة بعضهم هو البعير الذي حزَّ مَرفِقُه جنبَه.

أصْبَرُ من عَوْدٍ بِدفَّيْهِ الجُلَبُ .

العَوْدُ : المُسِنُّ من الابل، كما مرَّ ؛ والدَّفَّانِ : الجَنْبانِ ؛ والجُلَبُ جمع جُلْبَةٍ - على مثال غُرفَةٍ -، وهي أثر الدَّبَر .
والمثل الأوَّل من هذين . قال البكري : هو لسعيد بن أبان بن عُيَيْنة بن حِصْن ؛ والثّاني لحَلْحَلَةَ بنِ قيس بن أشْيم[1]، وكلاهما فَزَاريَّان.
قال : وخبر ذلك أنَّ كلبا أوقعت ببني فزارة وقتلوا منهم نيفا وخمسين رجلا. فتَلافَى عبد الملك أمرهم وتحمل لبني فزارة نصف الحمالات وأدَّاها إليهم، وضمن النصف الآخر الى العام المقبل . ثمَّ إنَّ فزارة أخفرت ذلك وغزت كلبا . فلقوهم ببنات قين فتعدَّوا عليهم في القتل، فغضب عبد الملك لاخفارهم ذمَّته، فكتب إلى الحجَّاج يأمره، إذا فرغ من ابن الزبير، أن يوقع ببني فزارة . فلمَّا فرغ الحجَّاج من شأن ابن الزبير نزل ببني فزارة . فأتاه سعيد وحَلْحَلَة المذكوران، فأوثقهما وبعث بهما إلى عبد الملك . فلمَّا مثلا بين يديه

1) كذا في لسان العرب (مادة عرک)
وفي جمهرة أنساب العرب (ص 258) : حَلْحَلَه بن قيس بن سيار بن عمرو بن فزارة.

قال عبد الملك : من كان عنده دين وتر فليقم إليهما ! فقام ابن سُوَيد الكلبيّ، وكان أبوه ممَّن قُتل ببنَاتِ قَيْن فقال : يا حَلْحَلَة، هل أحسست سويدا ؟ فقال : عهدي به يوم بنات قين وقد انقطع خروه في بطنه . فقال : اما واللّه لأقتلنّك ! قال : كذبت، ما أنت تقتلني، وإنّما يقتلني ابن الزرقاء ! والزرقاء إحدى أمهّات مروان بن الحكم، يُعابون بها . فنادى بشر بن مروان، وأمّه فزاريّة، فقال : صبرا، حَلْحَلُ ! فقال حَلْحَلَة :

أصْبَرُ من عَوْدٍ بدفَّيْه الجُلبْ قد أثَّرَ البِطانُ فيه والحَقَبْ

ثمّ التفت إلى ابن سويد فقال : يا ابن استها، أجِد الضربة ! فقد وقعت بأبيك منّي ضربة أسلحته. فضرب ابن سويد عنقه.

ثمّ قدم سعيد بن أبان ليضرب عنقه، فناداه بشر : صبرا يا سعيد ! فقال :

أصْبرُ من ذي ضاغطٍ عركْركٍ ألقى بواني زَوْرِهِ للمَبْركِ[2]

فضرب عنقه وألحق بصاحبه.

والعَرَكْركُ : البعير الغليظ ؛ والزّورُ : الصّدرُ.

أصْبَرُ من قَضِيبٍ .

قصيبٌ ـ بالقاف والضاد المعجمة، على مثال أمير ـ رجل من ضَبَّة.

صاحبُ الدّابَّةِ أولى بمُقدّمِها .

يُتمثّل به، وهو يُروى أثرا أو حديثا . ومعناه ظاهر.

صادفَ بَطْنُهُ بَطْنَ تُرَبَةَ .

يقال : صَادفَهُ إذا لقيه ووجده ؛ والبَطْنُ خلاف الظّهر، من الحيوان ومن الأرض أيضًا ؛ وتُربَةُ ـ على مثال هُمَزَة ـ وادٍ معروف يصبُّ في بستان ابن عامر . فيقال هذا عند مصادفة الخصب وسعة العيش، كأنّه صادف هذا الوادي.

---

2) نسب في لسان العرب هذا البيت لحَلْحَلَة بدل البيت السابق.

صاحِبُ السُّلْطانِ كَراكِبِ الأسَدِ يَهابُهُ النَّاسُ وهُوَ لمَركُوبِهِ أهْيَبُ.

هذا من الأمثال الحكميَّة، وهو قول الشاعر :

لا تَصْحَبِ السُّلطانَ في حالةٍ صاحبُهُ ليثَ الشَّرى يركَبُ
يهابُهُ النَّاس لمركُوبِهِ وهْو لما يركَبُهُ أهْيَبُ

وسيأتي استيفاء هذا المعنى في الحكمة، إن شاء اللّه تعالى.

أصَحُّ من عَيْرِ أبي سَيَّارة.

الصِّحَّةُ ضدّ السَّقَم ؛ والعيرُ ـ بالفتح ـ: الحمار الوحشيّ . قال امرؤ القيس :

كأنِّي وردِفي والقرابَ ونُمْرُقي على ظهْرِ عيْرٍ واردِ الخبراتِ

وقد يُطلق على الأهليّ، كما قال الآخر :

ولا يُقيم على ضيْمٍ يرادُ بهِ إلاّ الأذلاّن عير الحيِّ والوتِدُ
هذا على الخَسفِ مربوطٌ برمَّتِهِ وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحَدُ !

وأبُو سَيَّارَةَ ـ بفتح السين وتشديد الياء ـ عُمَيْلَةُ بن خالد[3] العَدْواني . وكان له حمار أسود جاز عليه من مُزْدَلِفَةَ إلى مِنَى أربعين سنة . قيل : ولا يُعرف حمار أهليّ عاش أكثر من هذا الحمار . وضُرب به المثل في الصحَّة وقال السُّهَيْليّ : هي أتَانٌ عوراءُ سوداءُ خطامها ليف . وكان أبو سيَّارة يقول :

لا هَمَّ لي في الحمارِ الأسْودْ أصْبحتُ بين العالمينَ أحْسَدْ
بِتُ أبا سيَّارةَ المحسَّدْ من شرِّ كلِّ حاسِدٍ يُحسَّدْ !

وهو الذي يقول : **أشْرِقْ ثَبِير، كَيْمَا نُغِير !**

وكان يقول في دعائه : اللّهمَّ بَغِّضْ بين رِعَائِنا، وحبِّبْ بيْنَ نِسَائِنا، واجْعَل المال في سُمَحَائِنا !

---

3) في **جمهرة انساب العرب** (ص. 243) عثميلة بن الاعز ـ بالعين المهملة او الغين المعجمة ـ وكذلك في **البيان والتبيين** (1 : 307). ونقل في الهامش 6 عن **ثمار القلوب** أن اسمه عُميلة بن خالد بن أعزل، وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه مزدلفة إلى منى أربعين سنة . انتهى . فيظهر أن اليوسي نقل عن **ثمار القلوب**، وأن العبارة حرفت قليلاً منه أو من الناسخ.

وفيه يقول الشاعر :

خلّ الطَّريقَ عن أبي سيَّارَهْ وعن مواليهِ بني فَـزَارَهْ
حتَّى يُجيزَ سالمًا حِمارَهْ مُستقبِلَ القِبْلَة يدعُو جَارَهْ !
وقد أجار اللّهُ مَن أجَارَهْ

صَرِّحْ حُجَيْرُ !

التَّصْريحُ خلاف التَّعريض ؛ وحُجَيْرُ رجل من اليمامة كان مؤذنا لمُسَيْلِمَةَ الكذّاب لعنه اللّه ! وكان أوّل ما أمر أن يذكر مسيلمة في الاذان توقف . فقال له محكم بن الطفيل : صَرِّح حُجَيْرُ ! فذهبت مثلا.

صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ .

التَّصريحُ خلاف التعريض، وصَرَّحَ فلان بما في نفسه : كَشَفَهُ ؛ والمَحْضُ : الخَالِصُ. وصَرَّحَ الحَقُّ عن مَحْضِهِ : انكشف واتَّضح.

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلاّم، لاعلان السرّ وإبدائه بعد كتمانه باللّفظ السَّابق.

فقال البكري : جميع العلماء إنَّما أوردوه : صَرَّح الحَقِينُ . قال . وتقدَّم ذكر الحَقينِ وتفسيره ؛ ومَحْضُهُ : خَالصُهُ . انتهى.

قلت : وهذا اللفظ أحسن وأبين تمثيلا، وأنسب لذكر المحض . وقد تقدّم لنا نحن أيضا تفسير الحَقين من اللّبن، والمحض : الخالص منه . قال طرفة :

ويشْربُ حتّى يغْمُرَ المحْضُ قلبه وإن أُعْطِهُ أترُكْ لقلبيَ مجثما

فإذا انكشف الأمر عن ستره وظهر بعد التباسه، كان كاللبن المنكشف رغوتُه عن محضه.

صَدَقَني سِنُّ بَكْرِهِ .

الصّدقُ خلاف الكذب، وصدقتُ الرجلَ : أخبرتُه بصدق، فهو مصدوق ؛ والسِّنُّ - بالكسر - واحدة أسنان الفم، ومقدار العمر أيضا ؛ والبَكْرُ - بالفتح -: الفَتِيّ من الابل، جمعه بِكار وبِكارة - بكسرهما -.

وهذا المثل يُضرب لمن يُخبرك بسرّه، وما انطوت عليه ضلوعه.

وأصله أن رجلا ساوم آخر في بَكْرٍ فقال : ما سنُّه ؟ قال : بازل . ثمّ نَفَرَ البكرُ، فدنا إليه صاحبه يسكنه وجعل يقول : هدع ! هدع ! وهي كلمة يُسكَّن بها الصغار من الابل . فلمّا سمعه المشتري قال: صدقَني سنُّ بَكْرِه. وهو، إمّا أن يكون برفع سنّ على إسناد الصدق إليه مجازًا، وإمّا بنصبه على حذف المضاف أو الجارّ، أي : صدقني خبر سن بكره، أو في سنّ بكره، وهما وجهان في المثل، وفاعل الفعل على هذا البائع، وهو إمّا أن يكون صدقه إيّاه بإخباره الأوّل أنّه بازل، ويكون هذا الكلام خرج مَخْرَج الهُزْء والسُّخريّة، أو بكلامه الثاني الذي يسكّن به البعير، وهو الأظهر.

أصْدَقُ من القَطَا .

الصّدقُ مرَّ ؛ والقَطَا طائر معروف، وتقدّم أيضا.

قيل : وسُمّيت قطًا لأنّها تقول في صوتها : قَطَا ! قَطَا ! فسُمِّيت بحكاية صوتها .

ومن ثَمَّ قالوا : أصْدَقُ من القَطَا وأنْسَبُ من القَطَا قال الكُمَيْت :

لا تكذِبِ القول إن قالت قطا صدقَت إذ كُلُّ ذي نسْبةٍ لابُدَّ ينحتِلُ

صِدقُكَ يُنْبِي عَنْكَ لا الوَعِيدُ.

الصّدقُ مرَّ ؛ ويُنْبِي، من النَّبْوةِ وهو الارتفاع . تقول : نبَا الشيء - غير مهموز -، يَنْبُو، نَبْوةً، أي آرْتَفَعَ ؛ ونَبَا الشيءُ عن الشيء : تجافَى عنه ولم يعمل فيه، أو لم يطمئنّ عليه . قال الشاعر[4]

إنّ جَنْبي عن الفِراشِ لَنابِ كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرابِ

والأسَرُّ : البعير يُصيبه السَّرُرُ داء في صدره يمنعه البروك والطمأنينة . وأنْبَيْتُهُ عَنِّي : جافيتُه ودافعتُه ؛ والوعِيدُ : الوعد بشرّ.

والمعنى أنّ صدقك في لقائك عدوّك ودفاعهم هو الذي يدفعهم عنك، لا وعيدك إيّاهم من غير فعل . وكذا كلّ أمر تزاوله إنّما يظفرك منه بما ترغب، ويُنجيك ممّا ترهب،

4) هو معدّ يكرب يرثي أخاه شرحبيل.

صِدْقُكَ وجِدُّكَ وسعيك جلبًا ودفعًا، لا مجرَّد اللّسان.

أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْبَاءَ.

الصَّرْدُ : البَرْدُ ـ بفتح فسكون ـ، وصَرِدَ الرجل ـ بالكسر ـ صَرَدًا، فهو صَرِدٌ : وجد البرد سريعًا . قال الشاعر :

أصْبَحَ قَلْبِي صَرِدًا لا يَشْتَهِي أن يَرِدًا

والعَنْزُ معروف ؛ والجَرَبُ ـ بفتحتين ـ معروف، جَرِبَ ـ بالكسر ـ فهو أجْرَبُ، وجَرِبَتْ فهي جَرْبَاءُ . والعنز الجرباء لا تستطيع ألمَ البرد، ولا تمسك نفسها عنده . فضُرِب بها المثل لمن يجد البرد سريعًا.

أصْرَدُ من عَيْنِ الحِرْبَاءِ .

الصَّرْدُ مرٌّ ؛ والحِرباءُ : الحيوان المعروف، وتقدَّم ما فيه، وأنَّه يستقبل عين الشمس أبدًا ويدور معها حيثما دارت . ومن ثمَّ شبَّه ابن الرومي الرقيب بالحرباء حيث قال:

ما بالُها قد حسُنت ورقيبُها أبدًا قبيحٌ قُبِّحَ الرُّقباءُ !

ما ذاك إلاَّ أنَّها شمسُ الضُّحى أبدًا يكونُ رقيبَها الحِربَاءُ

فصارت الحرباء لذلك كأنَّها صَرِدة أبدًا غاية الصَّرد.

وذكر الحريري عن بعضهم أنَّ المثل الأوَّل تصحيف هذا.

صَرَفانِيَّةٌ رِبْعِيَّةٌ، تُصْرَمُ بالصَّيفِ وتُؤكَلُ بالشُّتيَّةِ.

الصَّرفَانُ ـ بالفتح والتحريك ـ: تمْرٌ رزين صلب يُعدُّه العبيد والأجراء وذوو العيال لعيشهم لكفايته. ومنه قول الزبَّاء :

ما للجِمالِ مَشْيُها وئِيدًا أجنْدلاً يحْملْنَ أمِ حَديدًا

أم صَرَفانًا بَارِدًا شَديدا أمِ الرِّجالَ جُثَّمًا قُعُودًا ؟

وفي **الصحاح** : قال أبو عبيدة : ولم يكن يُهْدَى إليها شيء كان أحبَّ إليها من التَّمْر الصَّرفان . وأنشد :

ولمّا أتَتها العِيـرُ قالت : أبارد" من التّمر أم هذا حديد" وجَنْدَلُ ؟

وصَرمَ التّمْرَ قطَعَه ؛ والشّتيّةُ تصغير الشتاء.

والمثل ظاهر المعنى، ولم أقف بعد على أصله وسببه.

الصَّارِمُ يَنْبُو.

الصَّارمُ : السَّيفُ القاطع ؛ ونَبْوُهُ : تَجافِيهِ عن الضريبة، كما مرَّ آنفًا في تفسير النَّبْوة.

وهذا من أمثال أوْس بن حارثة . ومثله : **الجوادُ يَكْبو** . والمراد من ذلك أنَّ الكريم تكون له الزلّة، والشريف تكون له السقطة، واللّبيب تكون له الهفوة، والجواد تكون له الوقفة، ونحو ذلك.

أصْغَرُ القَومِ شَفْرَتُهُمْ .

الصّغَرُ ضدّ الكِبَر ؛ والشَّفْرَةُ ـ بفتح فسكون ـ: السكّين العظيم، جمعه شِفار. والمعنى أنّ أصغر القوم خادمهم.

صَفِرتْ وطَابُهُ.

يقال : صَفِرَ الشيء ـ بالكسر ـ فهو أصْفَرُ، والصُّفْرَةُ لون معروف . وصَفِرَ البلدُ أيضا والبيت ونحوه إذا خلا من سكانه . ومنه قولهم : نعوذ باللّه من صفر الاناء ! أي خلوّه بهلاك المواشي ؛ والوطْبُ ـ بالفتح ـ سقاء اللّبن، والجمع أوطُب" وأوطَاب" ووِطَابُ .

ويقال صَفِرتْ وِطَابُه، أي مات فخلا وَطبُه من روحه . قال امرؤ القيس :

ألا يا لهْفَ هِنْدٍ إثْرَ قَومٍ هُمُ كانوا الشّفاءَ فلم يُصابوا

وقاهُمْ جدُّهم ببني أبيهِمْ وبالاشْقَيْنَ ما كان العِقابُ

وأفْلتهُنَّ عِلْباء جَريضًا ولو أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ

أي : لو أدركنه لمات.

أصْفَى من عَيْنِ الدِّيكِ.

الصَّفاءُ ضدّ الكَدَرِ، صَفَا الشيء - بالفتح - يَصْفُو صَفَاءً، فهو صَافٍ ؛ والديك معروف ؛ والعَيْنُ تُطلق على الباصرة وعلى ذات الشيء . والمراد هنا الأوّل . ضربوا المثل بعين الديك في صفائها . قال الأخطل :

وكَأسٍ مثلِ عين الدّيكِ صِرْفٍ تُنسِّي الشَّاربينَ لها العُقولا

وسمعت أعرابيَّةٌ رجلا ينشد :

وكأسٍ سُلافٍ يحلفُ الديكُ أنَّها لدى المزج من عينيه أصفى وأحسنُ

فقالت : بلغني أنَّ الديك من صالحِي طيركم وما كان ليحلف كاذبًا !

ويحكى عن دِعْبِل قال : كنَّا يوما عند سَهْل بن هارون، فأطلنا الحديث حتَّى أضرَّ به الجوع . فدعا بغذائه، فإذا بصحفة فيها مرق لحم ديك لا يُؤثّر فيه ضرس . فأخذ قطعة من خبزة فقلع بها جميع المرق ثمّ بقي مطرقًا ساعة، فرفع رأسه إلى الغلام فقال له: أين الرأس ؟ قال : رميت به . قال : ولِم ؟ قال : ظننت أنّك لا تأكله . قال : ولِمَ ظننت ذلك ؟ فواللّه إنّي لأمقت من يرمي برجله، فضلا عن رأسه، والرأس رئيس، وفيه الحواسّ الخمس، ومنه يصيح الديك، وفيه عيناه اللّتان يُضرب بهما المثل فيقال : شرابٌ مثلُ عَيْنَي الدّيك، ودماغه عجيبٌ لوجع الكلب . فإن كان بلغ من جهلك أنّى لا آكله فإنَّ عندنا من يأكله . انظر أيْنَ هو ! قال : واللّه ما أدري أين رميت به ! قال : أنا واللّه أدري : رميت به في بطنك !

وسَهْل هذا ممَّن يُضرب به المثل في البُخْل، وسنلمّ بشيء من أخباره بعد، إن شاء اللّه تعالى.

وقال عَدِيُّ بنُ زيد :

قَدَّمَتْهُ على عُقارٍ كعَينِ الدّيك صَفا سِلافُها على الرّاووقُ

ولهذا الشعر حكاية حسنة لحمَّاد الراوية، وهي مشهورة، وعسى أن نذكرها في موضع آخر.

صَلاحُ رأْيِ النّساءِ فَساد، ونَفاقُهُ كَساد.

مثل مصنوع، فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى.

أصْلَحَ غَيْثٌ ما أفْسَدَ بَرْدُهُ.

الصَّلاحُ ضدّ الفساد كالصُّلوح، صَلُحَ الشيءُ - بالفتح والضمّ - صلاحًا فهو صَلِحٌ - بالكسر - وصَالِحٌ وصَلِيحٌ ؛ والغَيْثُ : المَطَرُ، وقد غَاثَ المطرُ الأرض أي أصَابَها، وغاثها اللّهُ بغيثها، فهي أرض مَغِيثَةٌ ومَغْيُوثَةٌ . والغيث أيضا : النبات، سُمّي بما نشأ عنه . قال امرؤ القيس :

وقد أغْتدي والطّير في وكُناتِها لغيثٍ من الوسْميّ رائِدُهُ خال

وقـال :

وغَيْثٍ من الوسْمِيّ حُوٍّ تِلاعُهُ تَبطَّنْتُهُ بشيْظمٍ صَلَتَانِ

ويحتمل الآخـر.

وهذا المثل يُضرب للرجل يكون فاسدًا ثمّ يصلح . والأنسب لمعناه أنّه للشيء يصلح من وجه بعد ما فسد من وجه آخر، كالجواد يَجْبَهُ السائل بالشتم ثم يحسن إليه ويعتبه أو يمطل زمانا ثم يوسع برا ومعروفا فيكون إكثارُه الخير جبرًا لما في المطل من الاساءة، ونحو هذا من الاعتبار.

أصْنَعُ من دودِ القَزِّ.

الصِّناعةُ - بالكسر - حرفة الصَّانع ؛ والصَّنْعَةُ - بالفتح - عملُه، صَنَعَ الشيء - بالفتح - يصْنَعُهُ صَنْعًا، ورجل صَنَعُ اليَدين - بالكسر وبفتحتين -، وصَنِيع اليدين وصَنَاعُهما : حاذق في الصنعة، وصَنَعُ اللسان، ولِسان صَنِعٌ[5] أي بليغ ؛ وامرأةٌ صَنَاعُ اليدين : حاذقة، وتقدّم هذا ؛ ودودُ القَزِّ هي دودُ الحرير، وصناعتها فيه أمر عجيب . ولو قيل أيضا : **أضْيَعُ مِن دُودِ القَزّ** - بالضاد والياء المثنّاة من تحت، كان حسنـــاً، لأنّها تلفُّ على نفسها حتّى تموت . وبها يضرب الحكماء المثل لجامع المال الحريص عليه، ثمّ يخزنه ويمنعه الحقوق حتّى يهلك في جمعه، فيأخذه الوارث، كما يؤخذ الحرير بعد موت الدودة.

---

5) في ب : صَنِيع

أصْنَعُ من سُرْفَة.

الصنع مرّ ؛ والسُّرفَةُ ـ بضمّ السين وسكون الراء المهملتين وبالفاء ـ دُوَيبّة، ويقال هي الأرَضَة، وهي تتّخذ بيتا من دقاق العيدان، ثمّ تلزقه بعود بمثل نسج العنكبوت، إلاّ أنّه أصلب . ثمّ تلزقه بعود من أعواد الشجر وقد غطّت رأسها وجميعها فتكون فيه . ويقال تدخل فيه. فتموت.

أصْنَعُ منْ تَنَوُّطٍ .

التّنَوُّط ـ بفتح التاء وضمّ الواو المشدّدة، وبضمّها وكسر الواو ـ: طائر، والواحدة تَنَوُّطَةٌ. وهذا الطائر يُدَلّي خيوطًا من شجرة وينسج عشّه كقارورة الدهن منوطًا بتلك الخيوط فيفرّخ فيه . ولذلك سُمّي التّنَوُّطَ.

صَابَتْ بِقُرٍّ.

الصَّوبُ مجيء السماء بالمطر، وصَابَ : نَزَلَ . قال :

فَلَستَ لانْسيٍّ ولكن لملأكٍ تَنَزَّلُ من جوِّ السَّماء يصوبُ

وصابَهُ المطر، أي مُطرَ ؛ والصَّوبُ أيضا : القَصدُ، تقول : صاب السَّهمُ أي قَصَدَ ولم يَجُرْ ؛ والصَّوبُ أيضًا والصَّواب ضدّ الخطإ ؛ والقُرُّ ـ بضمّ القاف ـ البردُ، وقُرَّ الرجل ـ بالضمّ ـ أصابه القُرُّ، فهو مَقْرورٌ ويوم قَرٌّ ـ بالفتح ـ: بارد . قال امرؤ القيس :

لا وأبيكِ آبنَةَ العَامريّ لا يدَّعي القومُ أنّي أفِرْ

تميمُ بنُ مُرٍّ وأشْياعُها وكِنْدةُ حولي جميعا صُبُرْ

إذا ركبوا الخيلَ واستلأَمُوا تحرَّقتِ الأرضُ واليومُ قَرْ

والقُرُّ أيضا ـ بالضمّ ـ القَرارُ، ومنه قولهم : صَابتْ بقُرٍّ، أي صارت الشدّة في قرارها . قال طرفة :

كنت فيكُم كالمُغطّي رأسَهُ فآنجَلى اليومَ قِناعي وخُمُرْ

سادرًا [أحْسَبُ غَيِّي رَشَدًا   فتناهيتُ وقد صابَت بقرْ][6]

* * *

[هذا تمام ما وُجد من هذا التأليف العجيب، والأسلوب الغريب، بخطّ الشيخ المؤلّف، رحمه اللّه تعالى ونفعنا به، على يد كاتبه وناسخه عبد السلام بن عبد الرحمن العدلوني، كان اللّه له وليًّا ونصيرًا، في ثاني عشر رجب الفرد الحرام، عام أربعة وثلاثين ومائة وألف][7]

* * *

[الحمد للّه !

قوبلت هذه النسخة بأصلها، أصل المؤلّف رحْمَة اللّه عليه، بجدّ، وجُدٌّ في طرق تصحيحها بذلك أحسن جدّ، وساعدها في ذلك أيمَنُ جَدّ، فشاركت أصلها المذكور في الحدّ، وقد كانت منه بفقدها ما وجدته في حيز الضدّ . والحمد للّه الذي هو سنى ذلك حقّ الحمد حمدًا واريَ الزّنْد، ساميَ البَنْد، ذاكيَ الرّنْد، وصلاة اللّه العديمة النِّدّ، الفائحة النّدّ، على من ليس لمن يرتجي شفاعة من الصلاة عليه مِن بُدّ، وعلى آله وسلّم تسليما.

قال هذا وكتبه بيده مصحّحها محمَّد بن قاسم بن محمَّد ابن زاكور الفاسي، عامله اللّه !][8]

* * *

[هنا انتهى ما وجد في أصل منقول من خط المؤلف رضي الله عنه][9]

---

6) سقط ما بين معقوفتين من د.
وقد سقط من جميع المخطوطات بيت في الأصل بين هذين البيتين، وهو :
ولقد كنتُ عليكُم عاتبًا   فعقبتم بذنُوب غيرِ مُرّ

7) هذه الزيادة في نهاية ب.

8) هذه الزيادة بخط العالم الأديب محمد ابن زاكور في د.

9) هذه كلمة الختام في المخطوط أ.

الفهارس العامـة

فهـرس موضوعات الكتاب

الجـزء الأول

الجـــزء الثاني

الجـزء الثالث

فهرس الأمثال النثرية
مرتبة بحسب الحروف المنطوقة، أصلية كانت أو زائدة (دون اعتبار ال)

الألــــــف

الْبَـــاء

الحاء

الخاء

الزّاي

السّين

الشّين

النّون

الهاء

الواو

الياء

فهرس
الأمثال النثرية العامية

فهـرس القـوافـــي

البـــاء

بُ

بـ

القافية	العدد	الشاعر	الموضع
عَطَبِهْ	1	محمود	304:1
عقاربِ	6	النابغة الذبياني	69:1 ـ 70
عُيوبِي	1+1	النابغة الذبياني	254:1 و259
غابِهِ	3	المعري	260:1
غُرابِها	1	المعري	205:3
غريبِ	1	المعري	259:1
فَارْغَبِ	1	المعري	254:1
فاغْتَرِبِ	3	ابن قلاقس	350:1
فاغْضَبِ	1	النمر بن تولب	303:1
قِبابِهِ	4	ابن رشيق	280:1
قِبابِي	3	ابن الخطيب	285:1
قريبِ	1	ابن الخطيب	259:1
قلبِي	1	ابن الخطيب	252:1
قلبِي	2	سحيم الفقعسي	305:1
قلبِي	2	سحيم الفقعسي	103:3
كالغائبِ	1	الحماسي	143:3
كَربِ	2	اليوسي	305:1
للحطَبِ	1	اليوسي	250:1
للخرابِ	1	اليوسي	180:3
للسِّبابِ	1	القتّال الكلابي	238:1
مآبِهِ	4	صُرَّدُرّ	278:1
مذهبِي	2	مالك بن المرحل	:9: (2) ،283:1
مَركبِ	4	خالد بن نضلة الأسدي	242:1
مَركبِي	1	عنترة	241:3
مَطلَبِ	2	بعض بني مازن	238:1
مُعذَّبِ	2	علي بن الجهم	278:1 ـ 279
مُغَلَّبِ	1	امرؤ القيس	222:1
مَكْسَبِ	1	المتنبي	237:1
مَنْصِبِي	1	أبو المظفر	281:1
مَنْصِبِي	4	أبو المظفر	244:2
مُهذَّبِ	1	أبو تمام	224:1
نَسيبِ	3	أبو تمام	281:1
نَصيبِ	4	أبو تمام	224:1
هُبُوبِ	3	ابن الخطيب	31:2
وأصحابِهِ	2	ابن الخطيب	282:1
والأدبِ	1	ابن الخطيب	227:1
والأدبِ	1	الصابي	50:2
والأقاربِ	1	محمد بن بشير	239:1

بْ

التّـــاء

تُ

تْ

ثَ

جَ

جِ

حَ

حْ

الخـــاء

خُ

خَ

خْ

الـــدّال

دُ

دِ

الصَّدِي	1	النابغة	199:1
الصَّفَدِ	2	أبو تمام	28:2
العائدِ	4	ابن المعتز	279:1
العِبادِ	1+1	ابن المعتز	261:2 و265
العَبْدِ	5	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	302:2
العِقدِ	2	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	291:2
الغَدِ	1	دريد بن الصمة	51:1
الفاسدِ	1	دريد بن الصمة	261:2
الفُؤادِ	6	أبو تمام	250:2 ـ 251
الفَرقدِ	2+2	أبو تمام	244:2 و291
الفسادِ	1	أبو تمام	262:2
الفوائدِ	1	أبو تمام	260:2
القَتَادَ	1	أبو تمام	244:2
القَتَادِ	3	أبو الحسن بن الحاج اللورقي	308:2
القَدُّ	2	المعمار	229:2
القَدُّ	1	المعمار	246:2
القَدُّ	2	المتنبي	256:2
القُرادِ	1	المتنبي	284:2
القَعُودِ	1	حبيب	71:1
اللَّحْدِ	5	محمد بن عبد الملك الزيات	297:2
المتقاودِ	3	نبهان العبشمي	288:2
المُتَوقِّدِ	1	عنترة	210:2
المَجْدِ	2	ابن الخطيب	289:2
المَجْدِ	2	البستي	292:2
المحامدِ	2	النابغة الذبياني	39:3
المَحْتِدِ	2	أبو الحسن بن أبي الطيب	288:2
المَزيدِ	3	أبو الحسن بن أبي الطيب	283:2
المَعِدِ	2	ابن الضرير النّهرواني	271:2
المُقَلَّدِ	3	شاس بن عبدهْ	199:1
المَهْدِ	3	شاس بن عبده	296:1
المَهْدِ	1	المجنون	63:3
المُهَنَّدِ	1	طرفة	259:2
النَّدُّ	1	أبو بكر بن عمار	307:2
النَّدِي	2	علقمة الفحل	267:2
النَّكَدِ	1	النابغة	59:1
الوالِدِ	1	النابغة	262:2
الوالِدِ	1	حبيب	37:3
الودُّ	3	حبيب	228:2

بِمُسْتَعَادِ	3	المتنبي	253:2 ـ 254
بمُستعادِ	1	المتنبي	264:2
بمَوجُودِ	2	أبو العباس بن الفياض	291:2
بِوجْدِي	2	أبو العباس بن الفياض	309:2
تَتَجَدَّدِ	2	أبو تمام	214:1
تُحْمَدِ	1	ابن رشيق	54:1
تُردِ	[illegible]	أعرابي	281:2
تَرشُدِ	1	هاتف	141:2
تُزَوَّدِ	1	طرفة	245:2،(3):141
تَعَدِّيهِ	2	طرفة	274:1
تُنادِي	1	طرفة	247:2
جَامِدِ	6	أبو تمام	248:2
جَسَدي	1	أبو تمام	261:2
جُهْدِ	3	أنشده سهل بن هارون	14:2 ـ 15
حِدادِ	1	أبو تمام	249:2
خَالِدِ	2	أبو تمام	290:2
خَدِّي	2	جارية أبي جعفر المنصور	293:2
خُلْدِ	6	اليوسي	14:1
رغْــدِ	2+2	شاعر + جارية	306:2
رُكودِ	1	اليوسي	260:2
رَوادِ	3	اليوسي	227:2
زَادِ	1	عبيد بن الأبرص	130:2
زَادِي	2	عبيد بن الأبرص	277:2
زَنْدِ	10	ابن اللبانة	288:2 ـ 289
زَنْدِهِ	11	المعري	257:2 ـ 258
زيَادِ	2	المعري	222:2
زيَادِ	1	الفرزدق	284:2
سَدِيدِ	1	أبو تمام	251:2
سَعْدِ	2	غسان بن وعلة	279:2
شَادِ	15	المعري	257:2
شَهِيدِ	2	المتنبي	253:2
صَلْدِ	1+1	المتنبي	249:1،(2):196
ضِدُّهُ	2	المعري	218:1
عَبْدِهِ	3	المعري	264:1
عَمْدِ	2	الامام الشافعي	293:2
عندي	1	الامام الشافعي	262:2
عُنقُودِ	2	الامام الشافعي	290:2
عِهَادِ	3	اليوسي	248:1،(3):170

يَـسْهَـرُ	1	الفرزدق	179:2
يَـسِيرُها	1	الفرزدق	244:1
يُـشِيرُ	1	الفرزدق	81:3
يَـصِيرُ	3	أبو نواس	96:3 ـ 97
يَـضِيرُ	2	جميل	179:2
يَـقْصُرُ	1	عمر بن أبي ربيعة	178:2
يُـكْسَرُ	1+	عمر بن أبي ربيعة	201:2، (3) :80

رَ

آخَـرَا	1	امرؤ القيس	272:1
آمِرَا	1	خنافر بن التوأم الحميري	119:3
أبِـي سَـيَّارهْ	5	خنافر بن التوأم الحميري	250:3
أُخرى	1	خنافر بن التوأم الحميري	84:3
أزْوَرَا	2	امرؤ القيس	96:1
اسْتَـطَارَا	3	الطائي	171:1
استعارَا	5	امرؤ القيس	168:1
إسْحَارَا	1	امرؤ القيس	134:3
أسْفَرَا	3	مالك بن المرحل	26:2
أعْذَ[illegible]	1	أبوتمام	206:1
أُعَـمَّرَا	2	أبو شجرة السلمي	224:3
إفطارَا	3	أبو شجرة السلمي	134:3
الأزْرَا	3	بعض الأعراب	77:3
الأكْـبَـرَا	1	بعض الأعراب	54:1
التَّاجِرهْ	4	الفضل بن العباس	313:1
التجارَهْ	3	الفضل بن العباس	23:3
الثَّـرَى	12	أبو الغنائـِم	349:1
الجِـدارَا	2	المجنون	76:3
الديارَا	1	قيس	243:1
الزيارهْ	1	قيس	82:3
السُّرورَا	1	أبو نواس	265:1
الشَّجَـره	1	هبنّـقة	139:2،(3):150
الشَّعِـيرا	1	الأعشى	47:3
العُذْرَا	2	الأعشى	135:3
العُرَى	1	الأعشى	79:3
ألْفَ مَـرَّهْ	2	الأعشى	89:2
لْفَ مرَّهْ	2	ابن معروف	116:3
القَـمَـرَا	1	ابن معروف	82:3
الكِـبَـارَا	1	ابن معروف	85:3

ر

رْ

الزّاي

زُ

زَ

زِ

زْ

السِّيــــن

سُ

سَ

سِ

الصّـــاد

صُ

صَ

صِ

الضّـــاد

ضُ

ضَ

ضِ

ضْ

الطّـــاء

طَ

طِ

الظّـــاء

ظُ

ظَ

العَـيْـن

عُ

لِ

لْ

الميـــــم

مُ

مَ

نِ

التـَقـَاضِيـَا	1	ذو الرمة	65:1
الدّ ُنـْيَـا	5	ذو الرمة	302:2
الغـَوانـِيـَا	2	حفص العليمي	153:1
المـَسـَاويـَا	1	حفص العليمي	210:2
المـَرامـِيـَا	1	حفص العليمي	215:1
المـَنـَائـِيـَا	1	حفص العليمي	179:1
بـَازيـَا	1	حفص العليمي	38:2
صـَبـِيـّا	1	حفص العليمي	340:1
مابـِيـَا	2	الطائي	248:1
مـَالـِيـَهْ	1	الطائي	165:3
والنـّهايـَهْ	2	الطائي	198:1
وريـّا	3	الطائي	208:2
وعـَشـِيـّا	2	الطائي	211:2

يِ

أرضـِيٌ	1	ابن الحجاج	85:2
بعـَصـْلـَبـِيٌ	3	تمثل بها الحجاج	220:3

فهـــرس الأعـــلام

الألـــــف

1) الأبنـــــاء :

الآبـــــاء

سائر حرف الألف

- البــــاء -

- التــــاء -

- الثــــاء -

- الجيــــم -

- الحــــاء -

ـ الخـــــاء ـ

ـ الـــــدال ـ

الــــذال

الــــراء

الــــزاي

السيــــن

الشيـــــن

الصـــــاد

الضـــــاد

الطـــــاء

العيـــــن

الغيــــــن

الفـــــاء

القـــــاف

الكـــــاف

الـــــلام

الـمـيـــم

النــــون

الهــــاء

الــــواو

اليـــــاء

فهرس الأماكن والقبائل والأمم والطوائف

الألـــف

البـــاء

التـــاء

الثـــاء

الجيـــــم

الحـــــاء

الخـــاء

الـــذال

السيـــن

الصـــاد

الضـــاء

الطـــاء

العيـــن

الغيـــن

الفـــاء

القـــاف

الكـــاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

فهرس الكتب المذكورة في المتن

مصادر المقدمة والتحقيق

1) ابن الاثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (أربعة أجزاء) المطبعة العثمانية بمصر 1311 هـ.
2) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1977.
3) ابن دريد، **ديوان ابن دريد**، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، 1973.
4) ابن المعتز، **ديوان ابن المعتز**، تحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت، دون تاريخ.
5) ابن منظور، **لسان العرب**، (3 أجزاء)، دار لسان العرب ـ بيروت، 1970.
6) ابن قيس الرقيات، **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت 1958.
7) أبو تمام، **ديوان أبي تمام**، بشرح الخطيب التبريزي (4 أجزاء)، دار المعارف، القاهرة، 1964.
8) أبو تمام، **ديوان الحماسة**، بمختصر شرح التبريزي، (جزآن)، المطبعة الازهرية، القاهرة، 1927.
9) أبو العتاهية، **ديوان أبي العتاهية**، دار صادر، بيروت، 1964.
10) أبو علي المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق أحمد أمين ومن معه، (4 أجزاء) القاهرة 1967.
11) الأب انطوان صالحاني، **رنات المثالث والمثاني، في روايات الأغاني**، (جزآن)، بيروت 1946.
12) الأعلم الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين** (جزآن) دار الآفاق الجديد، بيروت، 1979.
12) البحتري، **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (5 أجزاء) دار المعارف، القاهرة 77 ـ 1978.
14) الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، (4 أجزاء) دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
15) الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (6 أجزاء) دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
16) الحريري، **مقامات الحريري**، دار الكتب العربية الكبرى بمصر، 1333 هـ.
17) الحصري القيرواني، **زهر الآداب، وثمر الألباب**، تحقيق علي محمد البجاوي، (جزآن) دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1969.
18) الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979.
19) الصولي، **أخبار أبي تمام**، تحقيق محمود عساكر ومن معه، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
20) الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، (جزآن)، دار صادر، بيروت، 1966.
21) القالي أبو علي البغدادي، **الأمالي**، (4 أجزاء) دار الثقافة الجديدة، بيروت، دون تاريخ.
22) المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، (جزآن) مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
23) المتنبي، **ديوان المتنبي**، بشرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا ومن معه (4 أجزاء) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1936.
24) المعري، **لزوم مالا يلزم**، (جزآن) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
25) المقري، **نفح الطيب**، تحقيق إحسان عباس، (8 أجزاء) دار صادر بيروت، 1968.
26) الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (جزآن) دار الفكر 1972.
27) النابغة الذبياني، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، القاهرة، 1977.

28) اليوسي، **ديوان اليوسي**، المطبعة الحجرية بفاس، بدون تاريخ.
29) اليوسي، **المحاضرات**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1976.
30) امرؤ القيس، **ديوان امرىء القيس**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
31) رؤبة بن العجاج، **ديوان رؤبة ابن العجاج**، تحقيق وليم بن الورد البروسي، ليبسيغ، 1903.
32) طرفة، **ديوان طرفة ابن العبد**، دار صادر، بيروت، 1961.
33) طه حسين ومن معه، **المنتخب من أدب العرب**، (جزآن) المطبعة الأميرية ببولاق، 1934.
34) عنترة، **ديوان عنترة**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
35) فؤاد أفرام البستاني، سلسلة **الروائع**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
36) كثير عزة، **ديوان كثير عزة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971.
37) كعب بن زهير، **ديوان كعب بن زهير**، تحقيق سعيد الحسن السكري، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1965.
38) لبيد، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، دار صادر، بيروت، 1966.
39) لويس معلوف، **المنجد**، بيروت 1956.
40) مجد الدين الفيروزبادي، **القاموس المحيط**، (أربعة أجزاء) المطبعة المصرية، 1933.
41) مجنون ليلى، **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.
42) محمود كامل فريد، **ديوان أبي نواس**، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1956.
43) مصطفى السقا، **مختار الشعر الجاهلي** (جزآن) دار العلم للجميع، 1969.

مستدركات

الجزء الأول

الصفحة	السطر	بدلا من	إقرأ
15	18	الفضل،	، الفضل
24	3	وأعلم	واعلم
33	20	الضُّوَر	الصُّوَر
36	3	عِرق	غَرِقَ
52	12	أخطا	أخْطَأ
54	2	وروحُ اللهِ مُنتظرُ	والرّوحُ مُنْتَظَرُ
55	9	فيفع	فَيَقَعُ
62	24	مَرٍّ	مَرَّ
68	15	مِن جِذْعِ	مِنْ جِذْعِ
69	7	المخفِّفة	المُخَفَّفة
75	21	بِاْمرِءٍ	بِامْرِىء
78	18	لا نِرْتَجى	لانَرتَجِي
78	19	فإن أكَ	فإنْ أكُ
79	17	وساقُ	وساقِ
80	5	بين الغيلَ والسعْد	بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ
80	14	وأعلم	واعلم
82	10	كُلِيبًا	كُلَيْبًا
82	11	كُلِيب	كُلَيْب
82	15	نِعْم القتيُل قتيلُ	نِعْمَ القتيلُ قتيلٌ
85	13	المُممتليء	المُمْتَلِئى
86	1	لِغَصبِه	لِغَضَبِه
87	14	خيمته	خيمةٍ
88	1	لا تَزدارُ	لا تُزْدارُ
88	18	أثيتٍ	أثيثٍ
89	1	رجِيبة	رُجَبِيَّة
89	15	جذيلة	جُذيْلَه
89	18	وسرها	وشَرّها
94	5	صُبيْرَة	هُبَيْرة
94	20	فتقرّق	فتفَرّقَ
95	5	الجَزَعُ	الجَزَعْ
95	25	فيامًا	قيامًا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
96	1	عداوةٍ بيْنَنَا	عداوةٍ بَيْنِنَا
96	3	غُكَابَة	عُكابَة
96	17	اشمهُ	شَمَّهُ
97	21	فرِدهُ	فَزدهُ
101	8	وأعلم	واعلم
104	11	بآخرِ	بآخَرَ
104	21	ربيعة	ربيعة
105	8	لَيَحَسُ السَّعدي	لِيَحَسُ للِسَّعْدِي
106	19	بظنيت	بِظَنِينِ.
107	22	فلَما	فَما
114	2	أبي حَازم	أبي خَازم
114	14	جذيمةِ	جذيمةَ
115	22	ويارقٍ	وبارقٍ
118	1	فضحتك	فَضَحِكَتَ
118	1	سقط كلام من النص بعد قوله : فقلت لها	
124	2	المنكرُ	المنكَرِ
128	7	فرْعَ	قَرْعَ
128	8	أت	أتَى
131	9	اله	اللَّه
131	19	الحماسِّي	الحماسِيُّ
131	23	اللُّحمة	اللَّحمة
132	7	منكَ	منكِ
133	17	روِضٍ	رَوْضٍ
136	5	وسلم الزبرقانُ	وسلَّم وفيهم الزبرقانُ
139	13	أخبريه	أُخبرُ بِهِ
139	13	يه	بِهِ
140	12	يا جدُّ بنُ	يا جدُّ بْنَ
140	21	والحضاره	والحضارهْ
141	2	وحياه	وحَباه
141	10	وضمّها	وضمّها
141	17	أفِنانِه	أفنَانِهِ
142	13	باعمْرو	يا عَمْرو
142	16	إنَّمَا	أنَّما
142	17	إمامي وأني	أمامِي وأني
143	8	نُكبة	نَكْبة
150	5	يَمْنَيْك	يَمِينَك
150	8	المهذبِ	المُهذَّبُ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
152	20	قلبي سواكم	قلبي َسلاكُمْ
158	6	صدورِهِمْ	صدورِهِمُ
158	10	يذْعرك	يَذْعَرْكَ
160	11	ذا وفاءَ	ذا وفاءِ
161	7	أصل... أذُني وأُذُن	أصِلُ... إذْنِي وإذْنُ
164	14	لعِظمية	لِعَظِمِيةِ
166	16	العالِمُون	العالَمُون
167	18	يُقْتَلُو	يُقْتَلُوا
167	15	كِلْم	كَلْمِ
167	20	كما دماؤُكم من الكَلَب	كما دِماؤُكُم تَشْفِي مِنَ الكَلَبِ
168	8	المَفَتَّل	المُفَتَّلِ
168	21	هزيرَهُ	هزيمَهُ
168	18	هٌبَّ	هَبَّ
171	12	تألَّقَهُ	تَأَلُّقَهُ
172	16	فشأنُكَ	فشأنُكِ
174	7	جلَّها	جُلُّها
174	23	بينِهِمْ	بَنِيهِمْ
178	11	نكهة نسر	نكهة صَقْرِ
179	6	نَفُوس	نُفُوسُ
182	3	من حدٌّ الشبيبة	مِنْ جِدَّةِ الشَّبِيبَةَ
182	3	أخَيطُها	أخِيُطهَا
183	3	فأجار	فأجاز
183	14 ـ 15	(البيتان من قصيدتين مختلفتين، وبينهما كلام سقط من النص)	
190	14	بمجيئة	بمجيئه
192	5	وأبو ملك الملك بالخُذْع	وأبوه مَلِك الملك.. بالخُدَع
194	15	أقترح	اقْتَرِحْ
199	9	ريقيها	رِيقِهَا
206	18	زيادةُ	زيادةَ
207	الحاشية 17	تعرضت تَيم لي لأهجُوها	تَعَرَّضَ التَّيْمُ لي عَمْدَاً لأهْجُوها
211	14	فَيْن	قَيْن
212	16	يَبْرَ الجرح	يَبْرَا الجُرحُ
212	17	أدآة	أداة
224	1	كهولُهُمْ... أمرهُمُ	كهولُهُمُ... وأمرَهُمْ

217	23	كثرةُ السَّفر... نفيسَة العِقْيَان	كَثْرةُ الصُّفْرِ.. نَفاسَةِ العِقْيَانِ
227	17	ضيعتُهُ	ضيعتَـهُ
227	19	واجتنابٍ	واجتنابِ
228	14	لم تعلَمْ	لم تعلَمِي
228	14	فَمنْ شئتَ	فمِمَّنْ شِئْتَ
228	21	قِراق	فِراق
230	8	ويختلق	ويختلف
231	14	تُشركُ	تَشْركُ
231	20	العُجبْ	العَجَبْ
233	2	مِجلوب	مَجلوب
234	1	الرسالة الحِكْميَّة	الرسالة الحاتِمِيَّة
235	3	الوفيَّ قصاءُ	الوفيٌّ قضاءُ
336	11	الحَبُّ	الحُبُّ
236	22	لابذَّ	لا بُدَّ
244	14	نواد	نوادر
248	23	والثَّعْلَبانُ	والثُّعْلُبَانُ
249	17	جارة	جارِهِ
251	23	كبر حَسب	كِبْرٌ بِلاَ حَسبِ
154	18	والقلبُ	والقَلْبِ
261	15	المر	المرْءِ
262	19	حسْبي	حَسَبي
263	18	الدار، فتى	الدَّارَ فتَّى
264	5	ابنَ.... ابنَ	ابنُ.... ابنُ
264	10	المَؤمنُون	المُؤمِنُونَ
268	4	تَجْدبني	تَجْذبُني
269	14	لا أفْصَلْتَ	لا أفْضَلْتَ
272	20	مُستقرَّها	مُسْتَقَرٌّهَا
273	17	وإذا المليحي	وإذا المليحُ
273	23	الوشيات	الواشيات
276	1	أراد	أراكا
276	2	البُكَ	البُكا
282	6	لمَّا	لَمَا
285	5	وتعضبُ	وتَغْضَبُ
285	21	النَّفوس	النُّفُوس
289	23	شُعُوبُ	شَعُوبُ
295	11	حَتَّى	حَتَّى

299	23	أبثِتِــه	أبثَثْتُه ِ
299	1	وسرّها	وسِرّهَا
300	23	التحارب	التجارب
303	1	بَــؤسٌ	بُــؤسٌ
303	8	بنــي	بــن
312	11	ويستري	ويشتري
314	11	الاناث	الإناث
314	19	بوزنة	بِوزْنِهِ
317	9	حبّــار	جبّار٢
318	8	مأتَـورَ	مَأثُورَ
318	14	حمل بدر	حمل بن بدر
318	19	جذيمة	حُذيْفة
318	21	وود٢اهُ	ووداهُ
318	22	أن أردد	أن أردد
322	5	ومَستقيمُ	ومُستقيمُ
322	14	مذحــج	مدحــج
326	13	إمّهــم	أمّهــم
336	9	فصته	قصته
337	4	ولم أجدْ	ولم أجِنْ
341	4	يا مفردا سكن الثرى وبقيت لويا كنت أصدق....	مفردا سكن الثّرى وبقيت لَو كنت أصدق....
343	15	لطـــى	لَظَـــى
344	8	يَعرضُ	يُعرّضُ
345	18	بأحْسَنِ	فَأحْسَنَ
349	15	وغزلانُ	وأين غِزْ لانُ
349	19	وأصحابُ	وحظُّ أصْ حَابِ
349	21	العَيْثَرا	العِثْيَرا
350	5	ابن صرُّ درٌّ	صرُّ دُرٌّ
350	13	لا يَحْمِلُ	لا يَخْـ مُلُ...
350	19	وكنْ غَنيّا	وكنْ غانيًا
350	20	بِحره	بَحْرِهِ
351	23	أنّي	أنّـــى
354	7	وأعتادَها	واعتَادهَا
354	19	كان الناس صِنْفانِ	كان الناس صِنْفَيْن
356	15	خُضر الصَّوحِ	خُضْرٌ لَصَوِّحَ
356	23	وأحسن إذا أخطأتُ إن ..	وأحسن إذ أخطأتُ أن
357	10	حمائمُ الحلبي	حمائِم الحِلّ
357	11	لُفحت	لَفَحَتَ

الجــزء الثانـــي

5	20	تعهدّه	تعهّده
8	17	الشرّا	الشرَّا
14	23	فأعرهِ	فَأعِرْهُ
16	25	إئـت	ائْـتِ
19	9	وطفـلُ	وطفيـلُ
20	16	بـدي	بِـذي
24	11	ولاّ اشتهرت	ولمَّا اشْتَهرتْ
26	22	البِرّ	البِرَّ
27	2	يَريـدُ	يُريـدُ
37	12	إذ	إذا
38	1	كـل	كُـل
41	12	هـذا	وهـذا
46	7	فمّـا	فلمّـا
48	17	وأحْمَومَت	واحْمَومَتْ
56	9	ويُخفّف	ويُخفّفُ
63	19	يقضيهم	بِقَضيضِهِم
70	4	مَلْجَمٌ	مُلْجَمٌ
96	12	يؤمـر	يُؤمَـرُ
99	8	الروعَ	الرّوعِ
103	13	أولها	أوّلُها
107	17	لِمَثل	لِمِثْل
111	1	تحتب	تَحْتَ
111	5	المقـلاة	المِقْـلاتِ
114	3	حكـة	حَكّـهُ
121	16	أكتبـوا	اكْتُبُوا
122	1	تعانيه	تُعَايِنْهُ
124	10	الدجاز	الرُّجّاز
140	2	تَفْديه	تُفَدّيه
140	6	شِـنّ	شَـنٌّ
141	20	فأتـركـه	فأتـْرُكُهُ
143	14	صَفُورية	صَفُّورية
148	4	حالد	خالد
148	20	مَبْتلٌ	مُبْتَلٌّ
153	15	يستحقهّ	يستحقُّهُ
161	7	اللحطات	اللحظات
163	12	أذكُرونا	اذكُرونا

163	21	ألله	اللهُ
168	1	بِسُعْدي	بِسُعْدَى
169	18	مقمعه	مقمعة
177	9	مُطّلا	مُطِلاً
183	3	الدهرِ	الدهرَ
188	15	تُخْرَّس	تُخَرَّسْ
196	22	خلّ هَبْ	خَلّهِ يَذْهَبْ
198	6	زقد	وقد
198	8	فِمِنْ	فَمِنْ
200	19	بالموضَع	بالموضِع
203	3	بشي	بشَيءٍ
207	3	معنى	مَعْنَى
207	11	فقال : الاوس	فقال أوسٌ :
209	23	إتباعًا	اتّباعًا
210	2	قربَةً	قَرِيَةً
216	12	باللدّوَى	بالدّوَى
232	5	فليسِ	فلَيْسَ
246	16	رحل	رجُلٌ
253	22	السَّود	السُّودِ
255	13	قَطعٍ	قَطْعٍ
256	24	يحتني	يَجْتَنِي
267	2	وأحلهن	وأجلُهُنَّ
271	8	دراهيم ـ شئتي	دراهمُ ـ شِئْتِ
273	11	عيظًا	غَيْظا
276	18	فليتب	فَلَيْتَ
276	19	الزمراتس	الزّمِراتِ
279	7	الضمة	الصِّمَّة
282	6	أذوذُ	أذودُ
283	3	الضيفُ.. محافةٌ	الضيفَ... مخافةَ
283	6	عَلمِيَ	عِلْمِيَ
283	11	وكل)	وكُلُّ
283	17	إسمه	اسْمُهُ
292	14	تفرّقْن	تَفَرّقْن
292	23	غَدَ	غَدِ
293	1	فِكُنْ	فَكُنْ
302	10	وإن أتاه الدّهُر	وأن أتيهَ ـ الدّهْرَ
204	16	عيره	غيره
305	7	يُعشى	يُعشي
307	25	للَنّوى	للِنّوَى
309	13	طّرفي	طَرفِي
309	25	مبنٌ	مُبينٌ

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

رقم الإيداع القانوني 63 – 1981